



مركز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

١١٣١٣٠



مرکز تحقیقات کلمه و نور اسلامی

جمع‌داری اموال

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ش-اموال ۵۴۹۹۱

الإمام موسیٰ الکاظم علیه السلام

باب الحوائج



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الإمام موسى الكاظم عليه السلام

بابُ الجوائح

سيرة ، ودروس ، وتحليل

كتابخانه

مركز تحقيقات کامپوئری، علوم اسلامی

۳۷۸۰۴

شماره ثبت:

تاریخ ثبت:



مركز تحقيقات علوم اسلامی
بقلم

کامل سلیمان

دار التعارف للمطبوعات

بيروت - لبنان

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم مسقط
٢٠٠٠ م - ١٤٢١ هـ

مطار التعارف للمطبوعات، الإدارة والمعرض - حارة حريك - شارع دكاش

- بناية الحسين - تلفون: ٢٧١٩٠٧ / ٠١ -

١١/٢٧١٩٠٨ - ٠٣/٨٢٣٦٢٠ ص.ب: ٨٦٠١ / ١١

- ١١/٦٤٣ - فاكس: ٢٧١٩٠٨ (٠٠٩٦١١)



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الإهداء

إلى سابع الأوصياء الأبرار، الأئمة الأخيار،
إلى من كان يحيي الليل بالصلاة والاستغفار،
إلى ذي السجدة الطويلة التي تستغرقُ بعض الليل، ونصف النهار،
إلى حليف البلوى، والصبر على ظلم الأشرار،
إلى من أقام أمر الله بوجه النبي والاستكبار، ...
... إلى الإمام السابع، الشافع للزوار في يوم القسمة بين الجنة
والنار،
إلى موسى بن جعفر... بن محمد المختار، بن علي الكرار، بن
فاطمة ذات العز والفخار.
أهدي عملي هذا الذي هو من بحر هؤلاء السادة الأطهار، صلوات
الله وسلامه عليهم.

المؤلف



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بين يدي البحث

أحد الصادقين عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿فَبَشِّرْهُمَا بِمَا كَانُوا يَلْبِسُونَ الْقَوْلَ الْكَلِمَةَ أَحْسَنَهُ أَوْلِيَاءَكَ الَّذِينَ...﴾^(١) قال:

«هم المسلمون لآل محمد صلى الله عليهم وسلم؛ إذا سمعوا الحديث أدوه كما سمعوه، لا يزدون ولا ينقصون»^(٢).

وأنا على هذا الأساس أتابع سيرتي في بيان ما وصل إليه فهمي من سيرهم عليهم السلام، فأوصيه إلى قرائي الكرام، مستمداً تعليقاتي من أقوالهم، وأقوال أوليائهم أو خصومهم، لا أزيد ولا أزيد، ولا أنقص ولا أتقص، بل أبرز الحق وأثابر على صدق الكلمة، فأفسر مرة، وأوضح أخرى، وأرسم بعض الظلال لإيضاح ما أنا بصدد مرة ثالثة. وبين يدي باب الحوائج عليهم السلام أعتذر إلى الله سبحانه وإليه عن التقصير في فهم كل ما أتيت، وإبراز جميع معانيه، فإن ذلك يستعصي على جهابذة الفهم، ويستحيل على حملة العلم، وسائر أرباب القلم، لأن إمامته التي استغرقت أكثر من ثلث قرن، أفضت مضاجع أربعة من الخلفاء الجبابرة، وأتعبت وزراءهم والمُشيرين في قصورهم، ممن باعوا آخرتهم وعبدوا السلاطين، وطعام الغسلين.

(١) سورة الزمر: ١٧ - ١٨.

(٢) الاختصاص ص ٥.

أجل، كانت حياته أحجية في عصرٍ دام نصف قرنٍ وأعواماً، إذ بدأت تظهر مخابيل آياته وهو في المهد، وأذهلت مُعاصريه إلى نهاية ذلك العهد، ثم ما زال يسمو رفعةً وظهوراً كلما حاولوا إطفاء نور اللّٰه تعالى فيه، فبهر عقول العلماء، وأدهش الخلفاء والأمراء، وتَقَوَّعَ بين يديه الفقهاء والقضاة؛ ثم ما زاده كيدُ هؤلاء وهؤلاء إلا عظمتُ وسُموّاً، لأنَّ مَنْ وقفَ في وجهِ أمرِ الله تعالى، باءَ بِخزيه.



وفي كتابي هذا تراني عارضاً أحداثٍ وحوادث، ومحلّلاً مُبهماتٍ وغوامض، ومُزيلاً لغبار ظلم الحكّام الذي غطّى حقائق التاريخ، ومُعلناً لِحقائق خرسَتْ عندها أقلامُ الجبناء الذين لَهثوا وراء الرغيف، وأعمى أبصارهم بريقُ الدنانير، أو كم أفواههم لَمعانُ السّياط... وقد أصاب أبو نؤاس كبدَ الحقيقة يوم قال لإمامنا الكاظم عليه السلام حين تشرّف بـلقائه:

إذا أبصرتك العينُ من غيرِ رِيبةٍ وعارضٍ فيكَ الشكُّ، أثبتك القلبُ
ولو أن ركباً يَمُوكُ لقادهم نَسيمُك، حتى يَسْتَدِلُّ بك الرُكبُ
جعلتكَ حَسبي في أموري كُلِّها وما خابَ مَنْ أضحى وأنتَ له حَسبٌ^(١)

وأنا أجعله حَسبي.. وإنه عليه السلام لكما قال أبو نؤاس: بل هو فوق ذلك، ولا يعرفه على حقيقته إلا بارئُه الذي جعله للناس إماماً. وأنا إنما أحاول تقريبَ الآخرين من معرفته جزئياً، وبقدَرِ استيعابي لِمَا يصدر عن الله تبارك وتعالى؛ فهو مُتَدَبِّ من لدن ربِّه الذي صنعه على عينه، ورصده لأمره، حُجَّةً على خلقه.



(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٧.

والشيء الوقح عندنا أننا نعتبر أنفسنا شركاء لله تعالى في اختياره فنرضى ببعض الأمور الصادرة عنه، ونرفض البعض الآخر، كأنه كان ينبغي له أن يستشيرنا فيما يقضي ويقدر؛ فنقف في وجه انتخابه للأنبياء ونكذبهم، ونعارض انتخابه لأوصيائه رُسله، ونرفض عطاءاته لأصفيائه بالرغم من أنه سبحانه قد وبَّخ على ذلك بقوله الكريم: ﴿أَمْ لَمْ نَكْتُمِبْ مِنَ الْمَلِكِ - يعني مُلْكِهِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿١٣﴾﴾^(١)، أي يبخلون بالنعمة على الآخرين وإن كان المنعم بها غيرهم... ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ - وهذا هو الواقع الذي سفَّه سبحانه وتعالى، وقال: - فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا ﴿٢﴾﴾ رضي الحاسدون بذلك أم رفضوه... ومُلْك آل إبراهيم - أي محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم - يتجلى في ولاء مئات ومئات الملايين للأوامر التي حملوها للناس، وللنواهي التي سنَّها دستور السماء وجعلهم أمناء عليها... وطاعة أوليائهم لهم.

مركز تحقيقات كويتية علوم إسلامية

وفي مجال الكلام حول الإمام المنصب من الله تبارك وتعالى، نورد ما قاله الإمام الرضا عليه السلام الذي قال: «... فكيف لهم - أي للناس - باختيار الإمام، والإمام عالم لا يجهل، وراع لا ينكل، أي لا يضعف - معدن القدس والطهارة، والنسك والزهادة، والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرسول - أي بحمل الرسالة من بعده - ونسل المطهرة البتول؛ لا مغمز فيه في نسب... مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عز وجل، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله... ثم قال في حديث طويل:

(١) سورة النساء: ٥٣.

(٢) سورة النساء: ٥٤.

إن العبد إذا اختاره الله لأمر عباده، شرح صدره لذلك، وأودع قلبه
 ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يغمي بعده بجواب، ولا يحير فيه
 عن الصواب. فهو معصوم، مؤيد، موفق، مسدد، قد أمِن الخطايا والزَّلَل
 والعيثار، يخصه الله بذلك ليكون حُجته على عباده، وشاهدته على خلقه،
 ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (١).

وبالحقيقة إذا وقع اختيارُ الله سبحانه. وقضى بأمر، فليس للأهث
 وراء إبطال أمره واختياره إلا العيثارُ والحسار. . وقد حدث صفوان الجمال
 عن الإمام الكاظم عليه السلام قائلاً:

«سألتُ الشيخ - وهذا أحدُ ألقاب إمامنا - عن الأئمة عليهم السلام ؟

قال: مَنْ أنكرَ واحداً من الأحياء، فقد أنكرَ الأموات» (٢).

فلا يُبطل إنكارنا اختيارَ الله تعالى، ولا يقف في وجه تمييز الإمام عن
 الناس اعتراض أحد، بل إن إنكار الأئمة - أحياء وأمواتاً - هو كفرٌ ونفاق بما
 جاء به محمد صلى الله عليه وآله عن ربه، وقضاء الله سبحانه لا شأن للعباد فيه.



وبابُ الحوائج عليه السلام، هو فعلاً باب قضاء الحوائج التي يرفعها الناسُ
 بواسطته إلى الله تعالى. وقد ذكروا أنَّ امرأةً رُويت في بغداد وهي تهزول
 - تركض - فقيل لها إلى أين؟ قالت: إلى موسى بن جعفر. فقال لها قائلٌ
 مستهزئ: إنه - أي الإمام - قد مات في الحبس - يعني أنه لو كان يقدر على
 شيء لخلص نفسه من الحبس - وكان ذلك بعد وفاته بقليل.

(١) سورة الحديد: ٢١، وسورة الجمعة: ٤ والحديث طويل وهو في المحجة البيضاء ج ٤ من ص

١٧٤ إلى ص ١٨٢ نقلاً عن الكافي م ١ ص ٢٠٣.

(٢) الكافي م ١ ص ٣٧٣ وهو موجود في عدة مصادر إسلامية.

فقلت المرأة: بحق المقتول في الحبس أن تُرَيَّي القُدرة .

فإذا بابنها قد أطلق، وأخذ ابنُ المستهزىء بجنايته»^(١).

فبهذه السرعة يستجيب الله تعالى لمن تَوَسَّل بالإمام بإخلاص ومعرفة وانقطاع . ولو حاولنا ذكر أمثال هذه القصة لَلزِم أن نُفرد لذلك كتاباً ضخماً لا باباً في هذا الكتاب، فإن ذلك معروف لدى العام والخاص في بغداد وفي الأقطار الإسلامية . وقد قال العلامة القندوزي - وهو من فقهاء أهل السنة - :

«وأما جملة القول في أبناء علي رضي الله عنهم، فهم معظمون مكرمون عند الناس بدون اختيارهم، والمؤمنون بتعظيمهم وتكريمهم واثقون وموقنون . فلهم ميرٌ كريمٌ، وكمالٌ جسيمٌ، وشيخٌ عجيبٌ، وعرقٌ طيبٌ، وفضلٌ بينٌ، ووقارٌ متينٌ، وعرقٌ نامٌ، وخصنٌ باسقٌ، وأصلٌ ثابتٌ . فلذلك لم يكتفوا بذلك التعظيم والتكريم، فاشتغلوا بالتكاليف الشداد، والمحن الغلاظ، والعبادات الشاقة، والمجاهدات التامة»^(٢).

وإنهم ﷺ لكما قال وفوق ما قال، ولم يصل إلى معرفة قدرهم موالٍ ولا معادٍ أبداً، بل إن الموالِي لما تداخله نفث الشيطان تصوّرهم أرباباً، كما أن المعادي الذي لم يستوعب منزلتهم الإلهية قال فيهم مثلما قال الكفرة بكل ما ينزل من السماء حين رموا أنبياء الله بالكذب والسحر . ومع ذلك لم نجد ذاماً لأئمتنا ﷺ، لا من الحكام ولا من ذوي الأطماع، ولا العلماء، ولا الجهال وإن كان قد خالفهم الحكام، وحسدّهم العلماء، وأزورّ عنهم أهل التعصّب والعناد . وقد قال كمال الدين، محمد بن طلحة الشافعي بحق هذا الإمام العظيم ﷺ :

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٠ والأنوار البهية ص ١٧٣ .

(٢) بناهع المودة ج ١ ص ١٥٣ - ١٥٤ وج ٣ ص ١٠ وص ٣٢ شيء من ذلك .

«هو الإمام الكبير القدير، العظيم الشأن، الكثير التهجد، الجاد في الاجتهاد، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات، المشهود بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدقاً وصائماً، ولفرط جلوه وتجاوزه عن المعتدين عليه، دُعيَ كاظماً. كان يجازي المسيء بإحسانه إليه، ويقابل الجاني عليه بعفوه عنه؛ ولكثرة عبادته كان يسمى بالعبد الصالح؛ ويُعرف في العراق بباب الحوائج إلى الله لِنُجْح المتوسلين إلى الله تعالى به. كراماته تحارُبها العقول، وتقضي بأن له عند الله تعالى قدم صدقٍ لا تزُلُّ ولا تزول»^(١).

قال باب الحوائج - فيما رواه عنه أبو المغراء -:

«مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ، وَأَرَادَ أَنْ يَرَانَا، وَأَنْ يَعْرِفَ مَوْضِعَهُ مِنَ اللَّهِ، فَلْيَغْتَسِلْ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَنَاجِي بِنَا، فَإِنَّهُ يَرَانَا، وَيُغْفِرُ لَهُ بِنَا، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَوْضِعُهُ.

قلت: سيدي، فإن رجلاً رآك في منامه، وهو يشرب النبيذ؟

قال: ليس النبيذ يُفسد عليه دينه؛ إنما يُفسد عليه تركنا وتخلُّفه عنَّا. إن أشقى أشقيائكم من يكذبنا في الباطن بما يُخبر عنَّا؛ يُصدِّقنا في الظاهر، ويكذبنا في الباطن.

نحن أبناء نبيِّ الله، وأبناء رسول الله صلوات الله عليه، وأبناء أمير المؤمنين عليه السلام، وأحباب ربِّ العالمين. نحن مفتاح الكتاب، بحُيننا نطق العلماء، ولولا ذلك لَحُرسوا. نحن رفَعنا المنارَ، وعرفنا القبلة؛ نحن حَجَرُ

(١) الأنوار البهية ص ١٥٢ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٦٦ - ٢٦٧ نقلًا عن مطالب السؤل ص ٨٣.

البيت في السماء والأرض، وبنا هُفَيْرَ لآدم، وبنا أَبْتُلِيَّ أَيْوُب، وبنا افْتَقَدَ يعقوب، وبنا حُبْسَ يوسُف، وبنا رُفَعَ البلاء.

بنا أضاءت الشمس، ونحن مكتوبون على عرش ربنا. مكتوبون: محمدٌ خير البشر، وعليُّ سيّد الوصيين، وفاطمةٌ سيّدة نساء العالمين. مَنْ أَحَبَّنَا وَتَبَرَّأَ مِنْ عَدُوِّنَا كَانَ مَعْنَا، وَمَنْ فِي الظِّلِّ الممدودِ، والماءِ المسكوبِ^(١).

ولا عجب أن يكونوا كذلك مازال الله تعالى قد جعلهم كذلك، وجعلهم مطهّرين من كلِّ دَنَسٍ بِنَصِّ القرآن الكريم، وحملهم كلمته، وجعلهم تراجمةً وحيوةً، وَحَمَلَةَ أمره، وَالْحُجَجَ على خَلْقِهِ، فأعطاهم ما لم يُعْطَ أحداً من العالمين، ليكونوا جديريين باضطلاعِ مَنْصِبِ السفارة عنه في أرضه، وبتفسير الكتاب، وبيان السنّة والأحكام في الحلال والحرام.

ولا ينقضي العجبُ من الذين خاضموهم وناصبوهم العداوة، كيف سمّوا أنفسهم مسلمين، وكيف قعد كثير من منهم مقعد رسول الله ﷺ في حُكْمِ الأُمَّة، ثم لم يتورّعوا عن قتل ذريته وإبادة نسله، ناسين أن لهم موقفَ خصومةٍ معهم يوم القيامة. . . ويوم العدل. . . الذي يكون أشدُّ على الظالم من المظلوم.

وبالأخير نضع بين يدي القارئ الكريم صورة حيةً لإمامنا الكاظم عليه السلام أيام طفولته المبكرة تتجلى فيها مظاهر عطايا الله تعالى لأبناء هذا البيت الكريم. فقد قال الإمام الكاظم - نفسه -:

(١) أنظر الاختصاص ص ٩٠ - ٩١ والحديث طويل، وهو إشارة إلى أنه رواه موسى المبرقع أيضاً في بحار الأنوار ج ٧ ص ٣٣٦.

«دخلت ذات يوم من المكتب ومعني لُوحِي، فأجلسني أبي بين يديه
وقال: يا بُنَيَّ اكْتُبْ: تَنْعُ عَنِ الْقَبِيحِ وَلَا تُرُدَّهُ..»

ثم قال: أُجِزْهُ.

فقلت: وَمَنْ أَوْلَيْتَهُ حُسْنًا فَرُدَّهُ.

ثم قال: سَتَلْقَى مِنْ عَدُوِّكَ كُلِّ كَيْدٍ.

قلت: إِذَا كَادَ الْعَدُوُّ فَلَا تَكْذُهِ.

قال: فقال: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ (١).

«وقيل لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ما بلغ بك من حبك ابنك

موسى عليه السلام؟»

فقال: وَوَدِدْتُ أَنْ لَيْسَ لِي وَلَدٌ غَيْرُهُ، حَتَّى لَا يُشَارِكُهُ فِي حَبِّي لَهُ

أحد (٢).

وحدث الحسن بن علي الوشاء عن الإمام الرضا عليه السلام، فقال:

«سألته عن زيارة قبر أبي الحسن، موسى بن جعفر عليه السلام، مثل زيارة

الحسين عليه السلام؟»

قال: نعم (٣).

﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَكِيدٍ﴾ (٤).

(١) الآية في آل عمران: ٣٤ والحديث في مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٩ - ٣٢٠.

(٢) الأنوار البهية ص ١٥٣.

(٣) المحجة البيضاء ج ٤ ص ٤٧ نقلًا عن كتاب من لا يحضره الفقيه، باب زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ص ٢٩٨.

(٤) سورة الأنبياء: ١٠٦.

مَن هو الكاظم (ع)؟

كانت لأبي الحسن الكاظم عليه السلام مكانة مرموقة بين جميع معاصريه على اختلاف أهوائهم، ذلك أنه كان يتحلى بمزايا فذة لم يشاركه فيها أحد مطلقاً. ولقد ظهر من خلقه السَّمح، وبسماته الطيبة، وتديُّنه العجيب ما فتن به الألباب وانتزع به التقدير والإجلال من سائر من عرفه؛ فكان ذا هيبة علوية علوية تأخذ بمجامع القلوب فيتخاذل دونها الأمير والوزير، والعالم والسوقة؛ وهذا هو الذي أوغر عليه صدور الحكام وعبدة السلطان وأقلقهم، فبيتوا له ما لا يرضاه الله تعالى، وعاملوه بمنتهى القسوة وبكامل الجنوة.

وهو - بالحقيقة - حامل الرسالة، وناقل الكلمة الفصل إذا اختلط فقهاء الدين واختبط العلماء في تفسير القرآن وبيان السنة والأحكام، لأنه عليه السلام من بيتها وزيتها؛ ولقد قال أخوه علي بن جعفر:

«قال أبو عبد الله - الصادق عليه السلام -: إن الله عز وجل خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، وجعلنا خزانة في سمائه وأرضه. ولنا نطق الشجرة، وعبادتنا عبد الله عز وجل، ولولانا ما عبد الله»^(١).

نعم، لولاهم ما عبد الله حق عبادته، فرسول الله ﷺ كان البشير

(١) الكافي ١٤ ص ١٩٣.

النذير، وعليّ أمير المؤمنين عليه السلام كان ماحي الكفر وأهله، والحسن أبى على الدين يوم كادت تتجدد الوثنية على يد معاوية مجدد الأموية، والحسين أحياناً شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والإمام زين العابدين أنعش الدين في قلوب البقية من المؤمنين، والباقر والصادق علما هذه الأمة وكانا الفقيهين والأستاذين لمدرسة خرجت الأبدال من الرجال، وعلى ذلك درج سائر الأئمة من أهل هذا البيت الكريم. . فنعم ونعم، لولاهم ما عبّد الله حقّ عبادته، فإن أكثر المصلين كانوا من عبدة الشياطين وممن حاكوا المؤامرات، وأحكما المكائد والإفترافات أثناء الصلاة. في حين أن الأئمة عليهم السلام لم يطمعوا في ملك، ولا استهواهم شيء من زخرف الحياة، ولا فاهوا بكلمة، ولا رفعوا صوتاً إلا لإحقاق حق أو إبطال باطل. وهذا هو الذي جعل الناس يتعلّقون بحبل ولائهم، وجعل عبدة الدنيا يطاردونهم لينفضّ الناس من حولهم، بل كانوا يتكلمون بشيعتهم ومحبّيتهم ويقتلونهم على الظنّ والتّهمة كي يستقيم لهم أمر دنياهم.

وهم عليهم السلام علماء ملهمون، محدّثون مفهّمون، علمهم لدني مخلوق معهم، فلا يحتاجون إلى أحد، ويحتاج إليهم كلُّ أحد، فعن عليّ السائي، عن إمامنا الكاظم عليه السلام أنه قال:

«مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماضٍ، وغابر، وحادث. - الغابر هنا بمعنى الآتي. - فأما الماضي فمفسّر، وأما الغابر فمزبور - أي مذكور ومكتوب عندهم في عهد الولاية. وأما الحادث فقذف في القلوب، ونقر في الأسماع، وهو أفضل علمنا - أي أنه إلهام وكلام حسب المناسبة. . ولا شيء بعد نبينا.»^(١) أي لا يوحى إليهم ولا يتلقون أحكاماً جديدة مطلقاً.

(١) الكافي ١م ص ٢٦٤.

من أجل هذه المرتبة الإلهية السامية، تنمّر لهم هُواة التسلّط على رقاب العباد؛ فقد روى محمد بن فضيل أن إمامنا الكاظم عليه السلام قال في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾: نحنُ المحسودون. ^(١) وحسدُهم لم يخفَ على أحدٍ اليومَ ولا قبلَ اليوم، مع أنهم مفترضو الطاعة من قبل الله تبارك وتعالى. فكيف سوّغ الناسُ لأنفسهم عصيانَ أوامر الله وأوامرهم الرامية إلى مصلحة عباد الله لا أكثر ولا أقل، فلم يدعوا لأنفسهم ولا رغبوا في حطام. ولا استهواهم تسلّط ولا طمع. ولقد قال معمر بن خلّاد:

«سأل رجلُ فارسيّ أبا الحسن عليه السلام: طاعتك مفترضة؟

قال: نعم.

قال: مثل طاعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟

فقال: نعم. ^(٢)

فمن عصاهم في حلال الله تعالى وحرامه، وسائر أحكامه، فقد عصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعصى ربه عزّت قدرته، ولا أمر بين الأمرين، فقد حدّث أخوه عليّ بن جعفر أنه عليه السلام قال:

«نحن في العلم والشجاعة سواء، وفي العطايا على قدر ما نؤمر. ^(٣)»

فلا فرق بينهم صغاراً كانوا أم كباراً، لأنّ علمهم من الجامعة السماوية الوحيدة، وقد قال الصدوق رحمته الله:

«قد اشتهر في الناس أن أبا الحسن موسى عليه السلام، كان أجلُّ وُلد

(١) الآية في النساء: ٥٤ والحديث في الكافي م ١ ص ٢٠٦.

(٢) الكافي م ١ ص ١٨٧.

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٥.

الصادق عليه السلام شأناً، وأعلامهم في الدين مكاناً. وكان أعبد أهل زمانه، وأعلمهم وأفقههم»^(١).

وقال ابن شهر آشوب: «وكان أجل الناس شأناً، وأعلامهم في الدين مكاناً، وأسماهم بناناً، وأفصحهم لساناً، وأشجعهم جناناً؛ قد خص بشرف الولاية، وحاز إرث النبوة، وبؤى محل الخلافة»^(٢).

وقال ابن الجوزي: «كان يدعى العبد الصالح لأجل عبادته وقيامه بالليل، وكان كريماً، حليماً، إذا بلغه عن رجل أنه يؤذيه بعث إليه بمال»^(٣).

وقال علي بن عيسى الإربلي: «مناقب الكاظم عليه السلام وفضائله ومعجزاته الظاهرة، ودلائله وصفاته الباهرة، ومخائله تشهد أنه انتزع قبة المجد وعلاها، وسما إلى أوج المزايا فبلغ أعلاها، وذلت له كواهل السيادة فركبها وامتطأها، وحكم في غنائم المجد فاختر صفاياها واصطفأها، طالت أصوله فسمت إلى أعلى رتب الجلال، وطابت فروعه فعلت إلى حيث لا تُنال؛ يأتيه المجد من كل أطرافه، ويكاد الشرف يقطر من أعطافه»^(٤).

وقال العلامة القندوزي: «ومن أئمة أهل البيت أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق رضي الله عنهما. وكان رضي الله عنه صالحاً، عابداً، جواداً، حليماً، كبير القدر»^(٥).

وروي عن الخطيب البغدادي، وهو من أعظم أهل السنة، وثقات

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٢٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) كشف الغمة ج ٣ ص ٤٠ وتذكرة الخواص ص ٣١٢.

(٤) كشف الغمة ج ٣ ص ٤٦.

(٥) ينابيع المودة ج ٣ ص ٣٣.

المؤرخين وقدمائهم، أنه قال: «كان موسى عليه السلام يدعى العبد الصالح من شدة عبادته واجتهاده»^(١).

ثم ذكر عند الخطيب البغدادي في (تاريخه) والسمعاني في (الرسالة القوامية) وأبو صالح، أحمد، في (الأربعين) وأبو عبد الله بن بطة في (الإبانة) والثعلبي في (الكشف والبيان) قالوا: «وكان أحمد بن حنبل، مع انحرافه عن أهل البيت عليهم السلام لما روى عنه قال:

حدثني موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي، جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي، محمد بن علي، قال: حدثني أبي، علي بن الحسين، قال: حدثني أبي، الحسين بن علي، قال: حدثني أبي، علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ... ثم قال أحمد بن حنبل وهذا إسناد لو قرىء على المجنون لأفاق»^(٢).

وصدق الإمام ابن حنبل بقوله فيهم هذا القول، بل يصدق كل من يعطيهم حقهم ويقول فيهم قولاً كريماً، لأنهم أولو العلم الذين لم يسبقهم سابق، ولا يلحقهم لاحق، ولأنهم لم يصنعوا سوى وجوبهم، ولا طمعوا في غير رضاه. هكذا خلقهم الله، وعلى ذلك برأهم وأنشأهم... ومن أحسن من الله صنعاً!

علمهم من علم الله تعالى، وقد أطلعهم على ما كان، وعلى ما سيكون في سابق علمه وتقديره لئلا تخفى عليهم خافية مما يجري حولهم فتبطل حجتهم على الناس. وقد قال لأبي الحسن عليه السلام رجل من فارس:

أتعلمون الغيب؟

(١) الأنوار البهية ص ١٦١.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٦-٣١٧.

فقال: قال أبو جعفر - أي جدّه الباقر عليه السلام -: يُسَطُّ لنا العلم فنعلم،
ويقبض عنّا فلا نعلم. وقال: سِرُّ الله عزّ وجلّ أسرّه إلى جبرائيل عليه السلام،
وأسرّه جبرائيل إلى محمدٍ صلى الله عليه وآله، وأسرّه محمدٌ إلى من شاء الله^(١) أي إلى
وصيه أمير المؤمنين عليه السلام، فأسرّه عليّ وبنوه المعصومون عليهم السلام واحداً إلى
واحدٍ فهم حاملو مواريث النبوة إلى الأبد، دون أن يحتاجوا إلى موافقة من
يوافق، ومن غير أن يطعن في ذلك رفض من يرفض. . وقد روى محمد بن
حكيم عن إمامنا الكاظم عليه السلام أنه قال له:

«السلاحُ موضوعٌ عندنا - وهو يعني مواريث النبوة - مدفوعٌ عنه. ولو
وُضع عند شرٍّ خَلقَ اللهُ كان خيرَهم. لقد حدّثني أبي أنه حيث بنى بالثقيفة
- أي تزوجها - وكان قد شقّ له في الجدار - أي للسلاح - فنجد البيت - يعني
جعل له رفوفاً وفرشاً - فلما كانت صبيحة عرسه رمى ببصره فرأى حذوه - أي
بجانِب الشق - خمسة عشر سماراً؛ ففرغ لذلك، وقال لها: تحولي
- اخرجي من البيت - فإني أريد أن أدعو موالِي في حاجة. فكشطه - يعني نزع
الطين عنه - فما منها سمارٌ إلا رجده مصروفاً طرفه عن السيف، وما وصل
إليه منها شيء»^(٢).

فهل ذلك السلاح سوى آلة إمامة الناس الموروثة عن الأنبياء لأنها من
مستلزمات السفارة السماوية التي تجهز هذا المنصب بكل مقومات الولاية
والقيام بالأعمال السماوية؟. إنها هي لو عقّلنا، لأن الله عزّ وجلّ ما كان
ليبتدب لأمره مخلوقاً أعزل، بل لا بد من أن يُسّر له أن يقول للشيء كُنْ،
فيكون، بإذنه جلّت قدرته. فعن أحمد بن حمّاد، عن إبراهيم، عن أبيه، عن
أبي الحسن الأول عليه السلام - أي الكاظم - قال:

(١) الكافي ١م ص ٢٥٦.

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٥ وهو في بصائر الدرجات ج ٤ ص ١٨١ عن يونس بن عبد الرحمان.

«قلت له: جعلت فداك، أخبرني عن النبي ﷺ، ورث النبيين كلهم؟!»

قال: نعم.

قلت: من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟

قال: ما بعث الله نبياً إلا ومحمد ﷺ أعلم منه.

قلت: إن عيسى بن مريم كان يحيي الموتى بإذن الله.

قال: صدقت.

قلت: وسليمان بن داود كان يفهم منطلق الطير، وكان رسول الله ﷺ يقدر على هذه المنازل؟!

قال: إن سليمان بن داود قال للهدد حين فقدته وشك في أمره: ﴿فَقَالَ مَا لِي لَأَرَى الْهَدَّهْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (١) حين فقدته؛ فغضب عليه فقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّكَ أَوْ لِيَأْتِيَنَّكَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٢) وإنما غضب لأنه كان يدلّه على الماء.

فهذا، وهو طائر، قد أعطي ما لم يُعطَ سليمان؛ وقد كانت الريح والنمل، والإنس والجن، والشياطين المرردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكان الطير يعرفه. وإن الله يقول في كتابه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ . . .﴾ (٣) وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما نسير به الجبال، ونقطع به البلدان، ونحيا به الموتى. ونحن نعرف الماء تحت الهواء؛ وإن في كتاب الله آيات ما يُراد

(١) سورة النمل: ٢٠.

(٢) سورة النمل: ٢١.

(٣) سورة الرعد: ٣١.

بها أمر إلا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله مما كتبه للماضين ، جعله الله لنا في أم الكتاب . إن الله يقول : ﴿ وَمَا مِنْ قَائِمٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (١) ثم قال : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ... ﴾ (٢) فنحن الذين اصطفتانا الله عز وجل ، وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شيء (٣) .

نعم إنهم مصطفون على علم من الله سبحانه ، ولا يقاس بهم أحد ، وأمرهم لا ينسحب على أحد من العالمين . . .
قال أنس بن مالك رضي الله عنه :

«قال رسول الله ﷺ : نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد» (٤) . وقد أخرجهم الملاء ، وصححه رواة الحديث من كافة الفرق الإسلامية . كما أنه قد صح عن نبينا ﷺ قوله :

«لا يحبنا ، أهل البيت ، إلا مؤمن تقي ، ولا يبغضنا إلا منافق شقي» (٥) .

فلا اعتراف بما هم فيه وعليه من السهولة بمكان عند من يؤمن بالله ورأسله وكتبه وملائكته ؛ كما أنه من الصعوبة بمكان لدى من يجحد فضل أهل الفضل وينتفس بالنعمة على غيره ولو كانت من غيره . وإن أمر الأئمة لصعب مستصعب في كلا الحالين أيضاً لأن المحب لا يصبر عليه حتى يبوح به إلى غيره من المحبين ، والمُعادي «لا يريد» أن يستوعب أمرهم ، بل يحشو

(١) سورة النمل : ٧٥ .

(٢) سورة فاطر : ٣٢ .

(٣) الكافي ١م ص ٢٢٦ رصاصات الدرجات ج ١ ص ٤٧ - ٤٨ .

(٤) ذخائر العقبى ص ١٧ وهو في أكثر المصادر الإسلامية المعتمدة .

(٥) المصدر السابق ص ١٨ وهو مكرر في كتب كثيرة .

أذنيه فطناً لئلا يسمع فيهم، أو منهم، شيئاً. . . ولينطح الجبل إذا شاء فعسى أن يرد غليله. . .



قال علي بن يقطين: قلت لأبي الحسن، موسى بن جعفر عليه السلام:
أيجوز أن يكون نبي الله عز وجل بخيلاً؟
فقال: لا.

فقلت له: فقول سليمان عليه السلام: ﴿ رَبِّ أَضْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي
لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۗ ﴾ (١) ما وجهه، وما معناه؟

فقال: المُلْكُ مُلْكَانِ: ملك مأخوذٌ بالغلبة والجور واختيار الناس،
وملك مأخوذٌ من قِبَلِ الله تبارك وتعالى، كملك آل إبراهيم، وملك طالوت،
وذو القرنين. فقال سليمان عليه السلام: ﴿ رَبِّ أَضْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِحَدِيثٍ مِّنْ
بَعْدِي ۗ ﴾ (٢) أن يقول إنه مأخوذٌ بالغلبة والجور واختيار الناس، فسخر
الله تبارك وتعالى له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، وجعل غدوها
شهرًا، ورواحها شهرًا، وسخر له الشياطين كل بناء وغواص، وعلم منطق
الطير، وتمكن في الأرض، فعلم الناس في وقته وبعده أن ملكه لا يشبه
ملك الملوك المختارين من قِبَلِ الناس، والمالكين بالغلبة والجور.

فقلت له: فقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رَحِمَ اللهُ أَخِي سُلَيْمَانَ مَا كَانَ
أَبْخَلَهُ؟

فقال: لقوله وجهان: ما كان أبخله بعرضه وسوء القول فيه. والوجه
الآخر يقول ما كان أبخله إن كان أراد ما يذهب إليه الجهال.

(١) سورة ص: ٣٥.

(٢) سورة ص: ٣٥.

ثم قال ﷺ: قد والله أوتينا ما أوتي سليمان، وما لم يأت سليمان، وما لم يأت أحد من العالمين. قال الله عز وجل في قصة سليمان: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١). وقال في قصة محمد ﷺ: ﴿ وَمَا أَلَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا... ﴾ (٢).

فهم أهل أمر ونهي يصدر عن ذلك عن السماء؛ وقولهم ينبغي أن يكون مسموعاً لأنه عن الله عز اسمه؛ وهم عيبة عليه، ومستودع سره، وأمنائه على وحيه وعزائم أمره. وقد قدر سبحانه ذلك لهم دون أن يستشير أحداً من خلقه لأنه لا شريك له، ولا ينزع سربالهم الذي ألبسهم إياه ربهم بخُلنا به، ولا رفضنا له، ولا اعتراضنا عليه. . . ويكفي في هذا الموضوع أن تُورد ما قاله معاوية بن أبي سفيان الذي قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن هذا الأمر في قريش، لا يُعاديتهم أحد إلا أكبه الله على وجهه ما أقاموا الدين» (٣) وقد قالها لنا أبو يزيد ليحجر النار إلى قُرصه، ولكنه خرج من قول رسول الله ﷺ بما ابتدع في الدين، وإن كان من قريش في جناحها الذي ضل وحارب النبي ودعوته وحزب لذلك الأحزاب.

أما سيدنا الإمام الكاظم ﷺ، فهو من ذروة قريش وسنامها، وهو ابن رسول الله ﷺ، سيد ولد آدم، القائل:

«ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع؟ إن كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة، إلا سببي ونسبي. وإن رَجَمِي موصولة في الدنيا والآخرة» (٤)

(١) سورة ص: ٣٩.

(٢) سورة الحشر: ٧ والخبر في معاني الأخبار ص ٣٥٣.

(٣) ذخائر العقبى ص ١٢.

(٤) المصدر السابق ص ٦.

فمن أبي هريرة أن سبيعة بنت أبي لهب رضي الله عنها، جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن الناس يقولون: أنت بنت حطب النارا. فقام رسول الله ﷺ وهو م غضب فقال:

ما بال قوم يؤذونني في قرابتي؟ من أذى قرابتي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله^(١).

أفلا يحسن بالمسلمين أن يسمعوا كلام الله وكلام رسوله العظيم الذي لا ينطق عن الهوى؟ لقد آن أن يخجلوا منهما، ويعملوا بقولهما؟ بلى، ولو كان عند المسلم بقية من حياء لذكر أن له موقفاً بين يدي الله ورسوله حين لا ينفع الندم نادماً. ومن اللياقة أن يتمسك المسلم بالمبادئ، التي اعتنقها، وأن يدور في فلك مبادئه وعقيدته. أما أن يسمع من نبيه شيئاً ويسد أذنيه عن شيء، فهذا ليس من الإيمان في حال. بل نحن نبالغ فنقول: يجب على المسلم أن يتعصب لرب خلقه ورزقه وكفل حياته، ولرسول هداه إلى الصراط المستقيم، وعمل على تخليصه من النار والجحيم. فإن من إخلاص المرء لفضيلته أن ينسجم معها، ولا يؤمن ببعض مقوماتها ويكفر ببعض. وكيف نسئ أنفسنا مسلمين، ولا نعمل بعقيدة الإسلام ككل، لا يتجزأ؟ هذا ما ينبغي أن لا يكون. وهو كله في أعناق أئمة الجور الذين وقفوا في وجه كلمة الله الصافية المصفاة، وحججوها عن الناس، ووضعوا في طريقها القيود والسدود، وأوقفوا مسيرة الدين، وداسوا - بكبرياتهم - جميع مقدسات الله ليؤثّلوا ملكاً عضوضاً قام على جماجم أهل الحق. ولكنهم لم يعضوا السماء، ولا خربوا نظام الشمس، بل بقيت القافلة تمشي وهم

(١) المصدر السابق ص ٧.

يلهثون وراءها ووراء عيشٍ انقضى، فطحنهم البلى بكلِّكِلِه، وباؤوا بخزي الدنيا والآخرة.

قال محمد بن منصور: سألت عبداً صالحاً - أي الإمام الكاظم عليه السلام - عن قول الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ . . ﴾ (١).

فقال: إن القرآن له ظهر وبطن؛ فجميع ما حرّم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور. وجميع ما أحلّ الله تعالى في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الحق (٢).

فأبو الحسن إمام، ابن أئمة، وأبو أئمة حملوا أمانة الله إلى الناس، وقالوا كلمة العدل في وجه الحاكم الظالم، وكفّفخوا فقهاء السوء في القصور، وانسجموا مع الحق الذي حملوه عن ربهم في أشدّ أزمنة الظلم والغشم، غير هيّابين ولا وجلين، ولا قوا في سبيل ذلك تشريداً، وحبساً. وقتلاً. ولم تُرغ فيهم قرابة نبي ولا سفارة سماء. ولكنهم ظلّوا مع الحق وجاهروا به، وضربوا مثلاً أعلى في الخلق الرفيع، وكانوا خير أنموذج للإنسان الكامل الذي يسفح أنانيته في سبيل تبليغ دعوة ربّه، وبسبيل إصلاح مجتمعه.

. . «ومرّ - إمامنا الكاظم عليه السلام - برجل من أهل السواد، دميم المنظر - أي قبيح الوجه - فسلم عليه ونزل عنده، وحادثه طويلاً. ثم عرض عليه نفسه في القيام بحاجة إن عرضت له.

فقيل له: يا بن رسول الله، أتتزل إلى هذا، وتساله عن حوائجه وهو إليك أحوج؟!

(١) سورة الأعراف: ٣٣.

(٢) الكافي ١ ص ٣٣٤.

فقال عليه السلام: عبد من عبىد الله، وأخ في كتاب الله، وجزا في بلاد الله، يجمعنا وإياه خير الآباء آدم عليه السلام، وأفضل الأديان الإسلام. ولعل الدهر يرد من حاجاتنا إليه، فيرانا - بعد الزهو عليه - متواضعين بين يديه. ثم قال عليه السلام:

ثواصل من لا يستحق رصا لنا مخافة أن نبقى بدون صديق^(١)

وإنه لمن الخلق العظيم الذي كان يمتاز به جدّه الأعظم محمد عليه السلام، حيث كان يجالس أهل الصفة من فقراء المسلمين حين كانوا يأوون إلى البقيع في المدينة المنورة ليتلقوا صدقات الناس وليأكلوا مما يقدمونه لهم؛ ثم كان يحادثهم، ويأكل معهم، ويمنحهم كل عناية ورعاية. وهذه هي أخلاق الأنبياء الذين صدحوا بدعوة السماء، وجاؤوا ليعلموا الناس الخلق الكريم، والسيرة الفاضلة.

أما كبراؤنا وأغنياؤنا فيتجنبون مجالسة مثل هذا الرجل الفقير، ولا يحتكون به لئلا يلتصق بهم فقره عنه عليه السلام

ومن خلقه السامي: ما حدث به حماد بن عثمان الذي قال:

«بيننا موسى بن عيسى^(٢) في داره التي في المسمى، أشرف على المسمى إذ رأى أبا الحسن عليه السلام مقبلاً من المروة على بغلة. فأمر ابن هياج^(٣) أن يتعلّق باللجام ويدعي البغلة فاتاه، فتعلّق باللجام، فادعى البغلة.

فثنى أبو الحسن عليه السلام رجله فنزل عنها وقال لغلمانه: خذوا سرجها وادفعوها إليه.

(١) تحف العقول ص ٣٠٥.

(٢) هو الرائي على البصرة من قبل العباسيين.

(٣) هو رجل من همدان كان منقطعاً إليه.

فقال الهمداني - ابن هياج - : والسَّرج أيضاً .

فقال أبو الحسن عليه السلام : كذبت ، إنَّ عندنا البيئة بأنَّ السرج سرجُ - بغلة - محمد بن علي عليه السلام - أي اشتراه جدُّه - وأما البغلةُ فإنَّنا اشتريناها منذ قريب ، وأنت أعلمُ وما قلتُ! ^(١) .

أجلُ يا سيدي ، هو أعلمُ وما قال من كذبٍ وافتراء . وقد عرفت كيف تفضح كذبه ، وكيف تدوس برجلك كبرياء سيده موسى بن عيسى ، البارک على شرفة منزله كما يبرك البعير . ولو حاول الإنسان أن يتكلَّم حول صبرك على الأذى والظلم لخأته بيانه ، واستعصت عليه اللغة التي نعرفها ، فأنت من شجرة النبوة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء . . . وأنت يا موسى بن عيسى : مُتٌ بغيظك وحسدك وحقْدك فإنك دون هذه المعمارک الشريفة التي يخسر فيها المُبطلون! . وبغلك الهمداني ، ابن هياج ، تصرف تصرف الأحمق الذي أشار عليه عتُلُّ زعيم ، فأطاعه وكان مثله عتلاً زعيماً .

مرکز تحقیقات کتب و تاریخ و علوم اسلامی

«وقال علي بن حمزة : رأيت أبا الحسن عليه السلام يعملُ في أرضٍ له . قد استنقعتُ قدماء من العرق ؛ فقلت له : أين الرجال ؟! .

فقال : يا علي ، قد عملَ باليد مَنْ هو خيرٌ مني في أرضه ، ومن أبي .

فقلت : ومن هو ؟! .

فقال : رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، وأمير المؤمنين عليه السلام ، وآبائي كلُّهم قد عملوا بأيديهم ؛ وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين ^(٢) .

(١) حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٨٩ نقلًا عن الروابي ج ٢ ص ١٨٩ .

(٢) حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٧٩ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ١٤٧ .

فمرحى لسليل الأطنار الذين خلقهم ربهم قُدوةً للعالمين، وهُدأةً للدين،
يَسْعون في مناكب الأرض، ويأكلون من رزق الله الحلال الطيب بكذأيديهم . .
وإنكم يا سيدي لكذا قال جدكم الأكرم ﷺ: «يا علي ما عرف الله إلا أنا
وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا . . .» وإن الذين
كادوا لكم، وأزالوكم عن مراتبكم قد رحلوا عن الدنيا بأوزار ينوء بها
الجدار . . ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا . . . ﴾ (١).

أجل، هذه هي العظمة التي تنتهي دونها كل عظمة .

فإن رسول الله ﷺ، الذي هو أشرف الخلق لم يعيش على حساب
تعب الآخرين، بل كان يعمل بيده، ولا يأكل الصدقة - وإن كان يقبل
الهدية - . وكان يضرب أعظم مثل اجتماعي يشجع به الناس على العمل
المثمر الذي يسد الحاجة، ويغني عن تكلف ما في أيدي الناس . . ثم هذا
حذوه وصيه أمير المؤمنين سلام الله عليه، وسائر أوصيائه، لأن هذا من
شان الرسل وأوصيائهم والصالحين من الناس .
وإن إمامنا الكاظم عليه السلام ليرى العز كل العز في أن تستنقع قدماء
بالعرق، ويرى الدل كل الدل في أن يقف أمام مخلوق يطلب عطاءه ويرفده .

(١) سورة الأحزاب: ٢٥ .

بُزوغُ الفجر.. ..وأفولُ النور

وجاء أمرُ الله تبارك وتعالى.. فبُزغَ النورُ حين إشراقِ الطلعة الهاشمية، وأتمعتْ سناءُ هالة الإمام السابع الشافع، سليل النبوة والوصية، في قرية (الأبواء) التي فيها قبرُ السيدةِ المظهرةِ آمنَةَ بنتِ وهبِ أمِّ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وعليها، على بُعدِ ثلاثةٍ وعشرين ميلاً من (الجحفة) ممّا يلي المدينة المنورة، وعلى طريق مكة المكرمة، في السادس من شهر رجب سنة مئة، وثمانٍ وعشرين للهجرة النبوية الشريفة^(١).

وقد عاش في ظلِّ أبيه عشرين سنة خرس المؤرخون عن ذكر شيءٍ عنه فيها، خصوصاً ومن عادة الإمام أن لا يتكلم بوجود الإمام الذي يسبقه، إذ

(١) أنظر كشف الغمة ج ٣ ما بين ص ٢ وص ٤٢ والكافي م ١ ص ٤٧١ و ٤٨٦ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢١٧ وإعلام الوري ص ٢٤٣ و ٢٨٦ والإرشاد ص ٢٦٩ و ٢٧٠ وتذكرة الخواص ص ٣١٢ وص ٣١٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٢٣ و ٣٢٤ والأنوار البهية ما بين ص ١٥٢ وص ١٧٢ وتواريخ أهل البيت ص ١٨٢ وص ١٨٣ ووفاء الإمام موسى الكاظم عليه السلام ص ٤٩ وص ٥١ ونبأ المودة ج ٣ ص ١ وص ١١ وص ٣٣.
وقيل: وُلد سنة مئة وتسع وعشرين، وأنه أقام مع أبيه أربع عشرة سنة، أو تسع عشرة سنة، وأن أمه أندلسية، وكلُّ ذلك خطأ.

ليس من تكليفه الرباني أن يقوم بأيّ تحرُّكٍ أو نشاطٍ في مجتمعه أثناء حياة سلفه .

ثم حملَ أعباءَ الإمامة بعد أبيه مدَّة خمسٍ وثلاثين سنةً، فكان عُمره الشريف خمساً وخمسين سنةً تقريباً .

وقد لحق بالرفيق الأعلى يومَ الخامس والعشرين من شهر رجب سنة مئة وثلاثٍ وثمانين، ومات مسموماً في حبس هارون الرشيد، ودُفن في مشهده الشريف المعروف في ضاحية بغداد، حيث ترتفع القُبَّة والمآذن المذهبة التي تُناطح السماء، وتحتضن يوماً آلاف وآلاف الزائرين^(١) .

وهو الإمام موسى، ابنُ الإمام جعفر الصادق عليه السلام، واسم أمه حميدة البربرية، ولها غيره إسحاق وفاطمة . ويلقَّب بالكاظم لكظمه الغيظ تجاه ما لقي من الظالمين، ولكثرة تجاوزه وجلمه وسمو أخلاقه .

ومن ألقابه: الصابر، والصالح، وزين المجتهدين، والنفسُ الزكية، والأمين، والوفى، والزاهرُ لأنه زهرٌ بأخلاقه وكرمه^(٢) .

ويكنى بأبي الحسن الأول، وأبي إبراهيم، وأبي إسماعيل، وأبي علي^(٣) .

وقد كان أزهرَ اللون، إلا في حال الغيظ لحرارة مزاجه .

وهو رُبَّع، تمام، خَضِرٌ، حالكٌ، كثُ اللُّحية^(٤) .

(١) انظر أكثر المصادر السابقة .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

وبخصوص ولادته روى علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير أنه قال :
«حَجَجْنَا مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّنَةِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا ابْنُهُ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فلما نزلنا (الأبواء) - وهو موضعٌ بين الحرَمين - وَضَعْنَا لَنَا الْغَدَاءَ .
وَكَانَ إِذَا وَضَعَ الطَّعَامَ لِأَصْحَابِهِ أَكْثَرَ وَأَطَابَ . فَبَيْنَا نَحْنُ نَأْكُلُ إِذْ آتَاهُ رَسُولُ
حَمِيدَةَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ «حَمِيدَةَ» تَقُولُ : قَدْ أَنْكَرْتُ نَفْسِي ، وَقَدْ وَجَدْتُ مَا كُنْتُ
أَجِدُ إِذَا حَضَرْتُ وَوَلَدْتِي ، وَقَدْ أَمَرْتَنِي أَنْ لَا أُسْتَبَقَّ بِأَبْنِكَ هَذَا .

فَقَامَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَانْطَلَقَ مَعَ الرَّسُولِ .

فلما انصرف - أي انتهى من الأمر - قال له أصحابه : سرُّك اللهُ وجعلنا
فِداك . فما أنت صنعت من «حميدة» ؟ .

قال : سلّمها اللهُ ؛ وقد وهب لي غلاماً ، وهو خيرٌ من برأ اللهُ في
خَلْقِهِ . وقد أخبرتني «حميدة» عنه بأمرٍ ظننتُ أنّي لا أعرفه ، ولقد كنت أعلمُ
به منها .

مركز تحقيقات كويتية علوم إسلامية

فقلت : جعلتُ فِداك ، وما الذي أخبرتك «حميدة» ؟ .

قال : ذكرتُ أنّه سقط من بطنها ، حين سقط ، واضعاً يديه على
الأرض ، رافعاً رأسه إلى السماء . فأخبرتها أنّ ذلك إمارةٌ رسول الله ﷺ ،
وإمارة الوصي من بعده .

فقلت : جعلتُ فِداك ، وما هذا من إمارة رسول الله ﷺ ، وإمارة
الوصي من بعده ؟ .

فقال لي : إنّهُ لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي عَلِقَ فِيهَا بِجَدِّي ، أَتَى آتٍ جَدُّ أَبِي
بِكَاسٍ فِيهِ شَرْبَةٌ أَرَقُّ مِنَ الْمَاءِ ، وَاللَّبَنُ مِنَ الزُّبْدِ ، وَأَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ ، وَأَبْرَدُ مِنَ
الثَّلْجِ ، وَأَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ ؛ فَسَقَاهُ إِيَّاهُ ، وَأَمَرَهُ بِالْجَمَاعِ ، فَقَامَ فَجَامَعَ ، فَعَلِقَ

بجدِّي . ولما أن كانت الليلة التي علق فيها بأبي ، أتى آتٍ جدِّي ، فسقاه كما سقى جدُّ أبي ، وأمره بمثل الذي أمره ، فقام فجامعَ فعلقَ بأبي . ولما أن كانت الليلة التي علق فيها بي ، أتى آتٍ أبي فسقاه ممَّا سقاهم ، وأمره بالذي أمرهم به فقام فجامعَ فعلقَ بي . ولما أن كانت الليلة التي علقَ فيها بابني ، أتاني آتٍ كما أتاهم ، ففعل بي كما فعل بهم ، فقمْتُ بعلم الله ، ولأني مسرورٌ بما يهبُ الله لي ؛ فجامعتُ فعلقَ بابني هذا المولود . فدوّنكم ، فهو والله صاحبكم من بعدي .

إن نُظفَةَ الإمامُ ممَّا أخبرتُك . وإذا سكنتِ النُّطفَةُ في الرحمِ أربعةَ أشهرٍ وأنشأَ فيه الرُّوحَ ، بعثَ اللهُ تبارك وتعالى ملكاً يقال له : حَيَّوَان ، فكتبَ على عضده الأيمن : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١) . وإذا وقع من بطن أمه ، وقع واضعاً يديه على الأرض ، رافعاً رأسه إلى السماء .

فأمَّا وضعه يديه على الأرض ، فإنه يقبض كلَّ علمٍ لله أنزله من السماء إلى الأرض .

وأما رفعه رأسه إلى السماء ، فإنَّ منادياً ينادي به من بُطنان العرش ، من قِبَلِ رَبِّ الْعِزَّةِ ، من الأفق الأعلى ، باسمه واسم أبيه يقول : يا فلان بن فلان أثبتْ تثبت ، فلعظيم ما ، خلقتك ا . أنت صَفوتي من خلقي ، وموضع سرِّي ، وَحْيِيَّةٌ عَلَمِي ، وأميني على وحيي ، وخليفتي في أرضي . لك وَلِمَنْ تَوْلَاكَ أوجبْتُ رحمتي ، ومنحتُ جناني ، وأحللت جوارِي . . ثم وعزتي وجلالي ، لأضليينَ من عاداك أشدَّ عذابي ، وإنَّ وسعتُ عليه في دُنْيَاي من سعةِ رزقي .

فإذا انقضى الصوتُ - صوتُ المنادي - أجابَ هو واضعاً يديه ، رافعاً

(١) سورة الأنعام: ١١٥ .

رأسه يقول: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١).

فإذا قال ذلك أعطاه الله العلم الأول، والعلم الآخر، واستحق زيارة الروح - أي الروح القدس - في ليلة القدر.

قلت: جعلت فداك، الروح ليس هو جبرائيل؟

قال: الروح هو أعظم من جبرائيل، إن جبرائيل من الملائكة؛ وإن الروح هو خلق أعظم من الملائكة. أليس يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ ﴾ (٢).

وهكذا بين الإمام الصادق عليه السلام أشياء كثيرة من مواهب الله عز و علا للإمام الذي يجتبيه للناس، وهي مواهب يؤمن بها من هدى الله تعالى قلبه للحق، ويسلم بها كأمر مخلوقة مع الإمام، وهي لا بد منها له، كما أنه لا بد لنا من العينين للنظر، والأذنين للسمع، والرجلين للمشي، وبقية الأعضاء لتتمام خلق الإنسان الذي جعله سبحانه في «أحسن» تقويم؛ والإمام لا بد له من تلك المواهب حتى يتم خلقه ويكون في «أعظم» تقويم، ممتازاً عن الآخرين بتلك المواهب الربانية.

وأما من كان لا يؤمن بهذا الواقع المؤكد، فليئن صرحاً ويطلع إلى السماء ليسجل اعتراضاً على «إرادة الله تعالى» ويثته على الهواء... فيذهب هو واعتراضه هباءً في هباء...

(١) سورة آل عمران: ١٨.

(٢) سورة القدر: ٤ والخبر في الكافي م ١ من ص ٣٨٥ إلى ص ٣٨٧ والأنوار البهية ص ١٥٣ تلك الأول المتعلق بولادته عليه السلام، وهو بتمامه في حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٢٦ إلى ٢٢٧ وأورد قريباً منه في ص ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ وأورده أيضاً باختصار عن أبي جعفر، محمد بن علي مرفوعاً.

وكذلك روى البرقي أن منهل القصاب قال:

«خرجت من مكة وأنا أريد المدينة، فمررتُ (بالأبواء) وقد وُلد لأبي عبد الله عليه السلام، فسبقتُهُ إلى المدينة.

ودخل عليه السلام بعدي بيوم، وأطعمَ الناس ثلاثاً. فكنْتُ آكلُ في مَنْ يأكل، فما آكلُ شيئاً إلى الغد حتى أعودَ فأكل. فكنْتُ بذلك ثلاثاً أطعمُ - أي آكل - حتى أرتفق - يعني أتكىءُ على مرفقي - ثم لا أطعمُ شيئاً إلى الغد»^(١).

وهنيئاً لك يا منهل هذا الطعام الطيب الذي كنت تنهال عليه «بالكف» والأربع أصابع» ثم لا تشبع منه حتى ترتفق لفرط لذته. وحقُّ لأبي عبد الله أن يُطعم أهلَ المدينة ثلاثة أيام متتالية ليُشاركوه هذه الفرحة السماوية، وليشكروا معه هذه النعمة الربانية التي تجلّت بيزوغ نور مولودٍ مباركٍ هو - بعد أبيه - أظهرُ مَنْ على ظهر الأرض.



أما طفولته فهي فذة كطفولة آبائه وأبنائه صلواتُ الله وسلامه عليهم.

وقد بدأها بمثل ما رواه زكريا بن آدم الذي قال:

«سمعتُ الرضا عليه السلام يقول: كان أبي ممن تكلم في المهد»^(٢).

وهذا ليس بعجيب وإن كان خرقاً للنواميس الطبيعية. فإن أولياء الله تعالى لا ينسحب عليهم ما ينسحب على الآخرين من الناس، لأنهم مصنوعون على عين الله تعالى، ومجهزون بعطايا ربانية لا تقع تحت قدرتنا على الفلسفة والتحليل، ولا أتاح لنا البرهنة عليها يسر، إذ خلقوا هكذا. ولكن التاريخ المكذوب، الذي كتب تحت حكم الظالمين، طمس هذه

(١) الأنوار البهية ص ١٥٣.

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٣٤ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٧٨.

المعالم المميّزة التي كانت تُظهر فضلهم من جهة، وتفضح أعداءهم المتسلّطين على الناس بالسيف من جهة ثانية. ولذلك فإنّ الكتب التاريخية تبدو صمّاءً بكماءٍ أمام بيان بصّمات السماء التي تظهر على هذه الفئة المختارة حين ترصد السماء عظماءً للأمور العظيمة. فما من أحدٍ ذكر شيئاً من ذلك إلاّ وكان جزاؤه القتل المؤكّد، فلم يبق في ميدان التاريخ إلاّ المأجورون الذين باعوا ضمائرهم حين دوّنوا التاريخ المزور فملأوا بطوناً شرهةً، وأفرغوها كذباً وزوراً.

فكلُّ واحدٍ من أئمّتنا الإثني عشر معجزةً إلهيةً. وقد عرف الناس كونهم معاجز خارقة، ولكن من أين لهم أن يفوهوا بكلمة واحدة بشأنهم؟ لا سبيل إلى ذلك ولو كان يعرف ذلك المحبّون والمبغضون. ولذلك ترانا نجتهد كثيراً حتى نجد فلتات لسان هنا وهناك، فنجمعها ونؤلف بينها حتى تكمل الصورة التي نكون بصددّها. بل قد لا نعثر على شيء أحياناً بسبب ارتفاع حرارة حقد الحاكمين.

مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

وقد دخل أبو حنیفة المدينة ومعه عبد الله بن مسلم، فقال له:

يا أبا حنیفة، إن ها هنا جعفر بن محمد من علماء آل محمد، فاذهب بنا إليه نقبّس منه علماً.

فلما أتيا إذا هما بجماعة من علماء شيعة ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه. فبينما هم كذلك إذ خرج غلامٌ حدّث فقام الناس هيبّةً له. فالتفت أبو حنیفة فقال: يا بن مسلم، من هذا؟

قال: موسى، ابنه.

قال: والله لأخجله بين يدي شيعة.

قال له: لن تقدر على ذلك.

قال: والله لأفعله..

ثم التفت إلى موسى فقال: يا غلام أين يضع الغريب في بلدكم هذه^(١).

قال: يتوارى خلف الجدار، ويتوقى أعين الجار، وشطوط الأنهار، ومساقط الشمار، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها. فحيث يضع حيث شاء.

ثم قال: يا غلام ممن المعصية..

قال: يا شيخ، لا تخلو من ثلاث:

إما أن تكون من الله وليس من العبد شيء، فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله.

وإما أن تكون من العبد ومن الله؛ والله أقوى الشريكين، فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه.

وإما أن تكون من العبد وليس من الله شيء، فإن شاء عفا، وإن شاء عاقب.

قال: فأصابت أبا حنيفة سكتة كأنما ألجم فوه الحجرة^(٢).

وفي مصادر أخرى رويت القصة هكذا:

«فقد اشتهر عند الخاص والعام حديث أبي حنيفة حين دخل دار الإمام الصادق عليه السلام، فرأى ابنه موسى عليه السلام في دهليز الدار، وهو صبي في

(١) أي أين يتفوط فيتخلى ويضع حاجته الطبيعية. وتصور هذا السؤال موجه لطفل في الخامسة من عمره، وبمحضر من العلماء.

(٢) الاحتجاج ج ٢ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ وتحف العقول ص ٣٠٣.

الخامسة من عمره، فقال في نفسه: إن هؤلاء يزعمون أنهم يُعْطُونَ العِلْمَ صِيبَةً، وأنا أسبرُ ذلك - أي أمتحنه - .

فقال له: يا غلام، إذا دخل الغريب بلدةً أين يُحدثُ؟ .

فنظر إليه نظر مُغْضَبٍ وقال: يا شيخ، أين السلام؟ .

قال: فخرجتُ، ونَبُلَ في عيني، وعَظُمَ في قلبي. فسَلَّمْتُ عليه وقلت: يا بن رسول الله، الغريبُ إذا دخلَ بلدةً أين يُحدثُ؟ .

فقال: يتوارى خلف الجدار، ويتوقى شُطوط الأنهار، ومَسَاقِطِ الثُّمَارِ، ومَشَارِعِ المَاءِ، وأَفْنِيَةِ الدُّورِ - أي ساحاتها - وجادَّةِ الطريق، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، ثم يُحدثُ أين شاء .

فقلت: يا بن رسول الله، ممَّن المعصية؟ .

فنظر إليّ وقال: إجلس حتى أُخبرك .

فجلستُ . فقال: إمَّا أن تكونَ من الله، أو من العبد، أو منهما معاً .

فإن كانت من الله، فهو أكرمُ من أن يأخذ العبد بما لم يجِبْه .

وإن كانت منهما، فالله أعدلُ من أن يأخذ العبد بما هو شريكٌ فيه .

فلم يبق إلا أن تكونَ من العبد . فإن عفا الله فبفضله، وإن عاقب فبِعَدْلِهِ .

قال أبو حنيفة: ﴿ ذُرِّيَّةٌ مِّمَّنْ لَمَّ يَتَّبِعُنَّ وَمِنَ بَنَاتِهِنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(١) .

.. وقيل: إنه ~~عليه~~ نظم في هذا المعنى شعراً، فقال:

(١) سورة آل عمران: ٣٤ والخبر في مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٤ والأنوار البهية ص ١٥٤ - ١٥٥ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٢٩ - ٢٣٠، و ٢٣٠ - ٢٣١ مكرراً. وإعلام الوري ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

لم تخلُ أفعالنا اللآتي نُدْمُ بها إحدى ثلاثٍ خلالِ حينِ نُبديها
 إمّا تُفردُ باريناً بصنعتها فيسقطُ اللومُ عنّا حينِ نأتيها
 أو كانِ يَشْرِكُنَا فيها فيلحقُه ما سوفِ يلحقُنَا منِ لائمٍ فيها
 أو لم يكنْ لإلهي في جنائيتها ذنبٌ، فما الذنبُ إلا ذنبُ جانيها^(١)

وكيف لا يَنْبَلُ في عيني أبي حنيفة مَنْ يجيبُ بهذه الأجوبة المسددة
 القوية وهو في الخامسة من عمره، وأجوبته هذه تحملُ أحكامَ الله من فوق
 عرشه ١٩. ونحن نزيد على قول الإمام أبي حنيفة أننا نحمل - لإمامنا - أسمى
 مظاهر التقديس والولاء، ونعترف أنه إمام حقٌ مميّزٌ عنّا من عند ربه،
 ومرصودٌ لهذا الأمر العظيم الذي لا يُنال بامتداد الأعناق، ولا بانتخاب الناس
 واختيار الرفاق للرفاق، ونجزم أن حال كونه صغيراً لا يختلف في التمكّن
 والمقدرة عن حال كونه كبيراً - كما هو شأن كلِّ إمام - وإن كان من المحتوم
 على الإمام الصغير أن يصمتَ مُدَّةَ حياة الإمام الكبير الذي يسبقه. ولكن إذا
 تحدّى أحدٌ قدرةَ الله تعالى فيه، فإنَّ الله سبحانه يُري هذا المتحدّي عجباً،
 ويُمكِّنه من الدفاع عن كرامته، ومن الثار للاعتراض على اختيار الله تعالى
 له.

●
 وللإمام أبي حنيفة موقفٌ آخر مع إمامنا عليه السلام أيامَ صغره. فقد دخل
 أبو حنيفة على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: رأيتُ ابنك موسى يصلي والناسُ
 يمرُّون بين يديه.

فقال أبو عبد الله: ادعوا لي موسى.

فدعاه، فقال له في ذلك.

(١) إعلام الوري ص ٢٩٨ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢١٤ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٣١.

فقال: نعم يا أبة. إن الذي كنتُ أصلي له، كان أقرب إليّ منهم.

يقول الله تعالى: ﴿... وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١).

فضمّه أبو عبد الله إلى نفسه، ثم قال: بأبي أنت وأمي يا مودع الأسرار (٢).

وورد اعتراضٌ يشبهه رواه محمد بن عمير الذي قال:

رأى سفيان الثوري أبا الحسن، موسى بن جعفر عليه السلام، وهو غلام، يصلي والناس يمرّون بين يديه؛ فقال له: إن الناس يمرّون بك وهم في الطواف!

فقال عليه السلام: الذي أصلي له أقرب إليّ من هؤلاء (٣).

وكيف لا يكون عند إمامنا مثل هذا الجواب المُسكت، وهو من قوم زُقوا العلم زقاً ولم يجعلهم خالقهم مفتقرين إلى طلب علم من أحدٍ من خلقه، ولا إلى زيادة من المعرفة الدينية أو الدنيوية يأخذونها من الغير، بل هم علماء غير معلّمين، جديرون بمركز خلافة الله تعالى على الأرض، وهو سبحانه معلّمهم الذي وهبهم معرفة كل شيء يحتاجون إليه.

هذا وقد سكت المؤرخون عن ذكر شيء مفصّل عن حياته الكريمة في فترة عشرين عاماً من حياته الكريمة التي قضاها في كنف والده صلوات الله عليهما، ولكنهم لم يحجبوا نور الشمس!

فمناقبه سلام الله عليه كثيرة، ولو لم يكن منها إلا العناية الإلهية لكفاه ذلك منقبة.. فهو الإمامُ لاجتماع خِلال الفضل فيه، ولكماله الربانيّ،

(١) سورة ق: ١٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢١١.

(٣) التوحيد ص ١٧٩ - ١٨٠.

ولنصُّ أبيه عليه وإشارته إليه بالولاية من بعده^(١).



أما وفاته عليه السلام، فكانت بالسُّم الذي قُدِّم إليه من خليفة المسلمين - خائن رسول الله ﷺ في ولده - هارون الرشيد، وعلى يد النذل اللئيم السندي بن شاهك، الذي كان يحتجزه يومئذٍ في سجنه، بعد أن امتنع آخرون عن قتله حين كان في سجونهم وخافوا من تلك الجريمة النكراء، في البصرة وفي بغداد كما ستري.

وأبى الحقُّ إلا أن يظهرَ جلياً مهما أُقيمت في وجهه السُّدود، فإنَّ تلك الجريمة البشعة من جرائم البيت العباسي، قد لبس عارها وشنارها أشهر خلفاء ذلك البيت الذي لُقِّب بالرشيد ولم يكن برشيدٍ ولا بذي رأيٍ سديد، إذ لم تخفَ حقيقتها على أحدٍ. ففي أول محاولةٍ معه فضحه اللهُ تعالى وانكشف أمره على يد صنف الكلاب، فقد قال عمر بن واقد:

«إنَّ الرشيد وضع في صينيةٍ عشرين رُطبةً - من التمر - وأخذَ سِلْكَاً ففركه في السُّم وأدخله في سَمِّ الخياط - أي ثقب الإبرة - وأخذ رُطبةً منها فأقبل يرود عليها ذلك السُّم حتى حصل فيها، وقال لخادم: احمل هذه الصينية إلى موسى بن جعفر وقلْ له: إنِّي ادخرتها لك بيدي. بحقي، لا تُبقِ منها شيئاً، ولا تطعم منها أحداً.

وأتاه بها الخادم، فكان يأكل منها بالخلال - أي بقشَّةٍ حتى لا تلمسها يده الشريفه فيعلق بها شيء من السُّم -.

وكان للرشيد كلبه تَعَزُّ عليه، فجذبت نفسها، وخرجت تجرُّ سلاسلها

(١) الإرشاد ص ٢٣٠ ومكشف الغمة ج ٣ ص ٢ و ص ٧ و ص ٩ والكافي م ١ ص ٤٧ وأكثر مصادر بحثنا.

من ذهبٍ وجوهرٍ، حتى جاءت موسى بن جعفر. فبادر بالجلال إلى الرُّطبة المسمومة ورمى بها إلى الكلبة فأكلتها، ولم تلبث أن ضربت نفسها بالأرض، وعوت، وتهرت قطعةً قطعةً - أي تهرأ جسمها وتقطع من شدة فعل السم - واستوفى ~~عليه السلام~~ باقي الرُّطب. فأخبر الخادم الرشيد الذي قال: ما رَبِحنا من موسى إلا أن أطعمناه الرُّطب وضيّعنا سُمنا فقتلَ كلبتنا! . ما في موسى حيلة»^(١).

ما في موسى حيلة ١٩

ويكون خليفة رسول الله ﷺ، محتالاً! .

ومن هو موسى، ومن أنت يا هارون من مقعد جدّه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ١٩ .

وما هو عُدرك غداً أمام ربك، وبين يدي ذلك الجد العظيم الذي تربعت على عرش خلافته تتحكّم بأمرته والصالحين من أمته ١٩. لقد التفت من حولك أرباب بطون من الأمراء والوزراء الخونة، وأهل كروش من قضاة السوء، وعبداء فروج من هاهنا وهناك، وأطاعك - أو خاف سيفك - مؤرخون مزورون، واصطنع لك العظمة ناس آخرون بأجر وبلا أجر. ونحن نهمس في أذنك أيها الظالم، وفي الأذان الطويلة من حولك فنقول: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾^(٢).

لقد سها عن بالك أن ربك يراك وأنت تُجيب الخيط المسموم في

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٠٣ - ٣٠٤ وتواريخ أهل البيت ص ١٨٣ ووفاء الإمام موسى الكاظم ص ٢٩ إلى ص ٣١.
(٢) سورة النساء: ١٠٨ .

الرطوبة، لأنك لم تؤمن بيوم عدلٍ يثاب المرء فيه أو يُعاقب، إذ أعمى بصرك الملك والتسلط... نقول لك ذلك، ونقول لأعدائك من كافة الفئات: ﴿هَتَانِمْ هَتَوْلَاہِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّدُ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَصِيلاً﴾ (١).

إنها يومئذٍ ستتهار جبهة دفاع الأولين والآخرين عنك وعن سلفك وخلفك، وستظهرون على حقيقتكم: سلاطين سوء، وحكاماً طغاة، ما آمنوا بالله ولا برسوله، ولا راوَدَ أذهانهم يومَ حسابٍ يقتصرُ فيه المظلومُ من الظالم، بالرغم من أنها قد نُبِّهتكم لسوءِ فعالكم كلبنةً رفضتكم ورفضت سلاسلكم الذهبيةً وجواهركم التي زُيِّتموها بها من بيت مال المسلمين، وجرت مسرعةً إلى منزل الإمام لتنتحر بالسُّم وتعلن للناس سوءَ صنيع خليفة المسلمين!



في عيون أخبار الرضا «عن ابن بابويه»، أن موسى بن جعفر عليه السلام، دعا بالمسيب، وذلك قبل وفاته بثلاثة أيام، وكان موثقاً به، فقال له:

«يا مسيب، إني ظاعنٌ في هذه الليلة إلى المدينة، مدينة جددي رسول الله ﷺ، لأعهد إلى عليّ ابني كما عهد إليّ أبي، وأجعله خليفتي ووصيي، وأمره بأمرِي».

قال المسيب: كيف تأمرني أن أفتح لك الأبواب وعليها أقفالها والحرس معي على الأبواب؟

فقال: يا مسيب، ضعف يقينك بالله عز وجل وفينا؟

قلت: لا، يا سيدي.

(١) سورة النساء: ١٠٩.

قال : فَمَه .

فسمعتُه يدعو ، ثم فقدته عن مُصلاًه ، فلم أزل قائماً على قَدَمي حتى رأيتُه قد عاد إلى مكانه وأعاد الحديدَ إلى رجليه ، فخررتُ لله ساجداً ، شاكراً على ما أنعم عليّ بذلك من معرفة - أي من اعترافٍ بالإمامة - .

فقال لي : إرفع رأسك يا مسيَّب ، واعلم أني راحلٌ إلى الله عزَّ وجلَّ في ثالث هذا اليوم ، لا تَبك يا مسيَّب ، فإنَّ عليّاً ابني هو إمامك ومولاك بعدي ، فائتبه فتمسَّك بولايته ، فإنك لن تفضل ما لزمته^(١) .



قال المسعودي : «وقبض موسى بن جعفر ، بن محمد ، بن عليّ ، بن الحسين ، بن عليّ بن أبي طالب ببغداد مسموماً ، لخمس عشرة سنة من ملك الرشيد»^(٢) .

وكذلك ذكر العلامة القندوزي : «أنه مات مسموماً»^(٣) .

وروى القطب الراوندي عن محمد بن الفضل الهاشمي ، أنه قال : «إني أتيتُ موسى بن جعفر عليه السلام قبل وفاته بيومٍ واحدٍ ، فقال لي : إنني ميتٌ لا محالة ، فإذا واريثني في لحدي فلا تُقيمَنَّ وتوجَّهْ إلى المدينة بودائمي هذه ، وأوصلها إلى عليّ بن موسى الرضا ، فهو وصيي وصاحبُ الأمر بعدي .

ف فعلتُ ما أمرني ، وأوصلتُ الودائع إليه»^(٤) .

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٠٣ .

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٥٥ وهو في وفاة الإمام موسى الكاظم ص ٥١ .

(٣) ينابيع المودة ج ٣ ص ١١٤ .

(٤) الأنوار البهية ص ١٦٧ .

وقال الشيخ المفيد رحمه الله: «رُوي أنه لما حضرته الوفاة، سأل السندي بن شاهك أن يُحضره مولىً مدنياً، ينزل عند دار العباس بن محمد في مشرعة القصب، ليتولى غسله وتكفينه، ففعل ذلك.

قال السندي: وكنت سألتُه في الإذن أن أكفنه، فأبى وقال: إنا أهل بيتٍ مهوورٌ نساتنا، وحجٌ صيرورتنا، وأكفانٌ موتانا، من طاهر أموالنا، وعندِي كفنٌ، وأريد أن يتولى غسلِي وجهازي مولاي فلان، فتولى ذلك منه»^(١).

والحقيقة أنه لا يتولى غسل الإمام إلا الإمام الذي يليه، ولا يصلي عليه غيره. وأبو الحسن عليه السلام إنما أوصى بذلك ليصرف أذهان السامعين عن هذا المعنى الخافي عليهم، الواضح لأهل المعرفة بحالهم. ففي الخبر المروي عن المسيّب أنه قال في حديث:

«والله لقد رأيتهم بعيني وهم يظنون أنهم يغسلونه، فلا تصل أيديهم إليه؛ ويظنون أنهم يحنطونه ويكفونونه، وأراهم لا يصنعون به شيئاً.

ورأيت شخصاً أشبه الأشخاص به يتولى غسله وتحنيطه وتكفينه، وهو يظهر المعاونة لهم، وهم لا يعرفونه.

فلما فرغ عليه السلام - من أمره قال لي ذلك الشخص - وهو ابنه عليّ الرضا قطعاً -: يا مسيب، مهما شككت فيه فلا تشكَّنْ في، فإني إمامك ومولاك وحجة الله عليك بعد أبي. يا مسيب، مثلي كمثل يوسف الصديق عليه السلام ومثلهم مثل إخوته حين ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾^(٢) فهذا

(١) المصدر السابق ص ١٦٨.

(٢) سورة يوسف: ٥٨ والخبر في الأنوار البهية ص ١٦٩ ووفاء الإمام موسى الكاظم ص ٣٣ -

هو الذي حصل بالضبط . والإمام إنما عرف المسيب بنفسه ليثبت عقيدته وعقيدة أصحابه الذين يسمعون ذلك منه فيبقوا على ما هم عليه من الولاية . وقد كان المسيب موثقاً بالإمام عليه السلام حين كان في حبس السندي بن شاهك ، وكان من الشيعة المخلصين . «وقد دعاه الإمام عليه السلام قبل وفاته بثلاثة أيام وقال له : إني على ما عرفتك من الرحيل إلى الله تعالى ، فإذا دعوت بشربة من الماء فشربتها ، ورأيتني قد اخضر لوني واحمر ، فخبّر الطاغية بوفاتي . وإذا رأيت هذا الحدث فإياك أن تظهر عليه أحداً إلا بعد وفاتي .

قال المسيب : فلم أزل أرقب مواعده حتى دعا بشربة فشربتها ، ثم أتيت بالخبر إلى الرشيد»^(١) .

وقال أحمد بن عبد الله : «لما نقل الكاظم عليه السلام من دار الفضل بن الربيع ، إلى الفضل بن يحيى البرمكي ، كان ابن الربيع يبعث إليه في كل ليلة مائدة ، ومنع أن يدخل من عنده غيره حتى مضى ثلاثة أيام بلياليها .

فلما كانت الليلة الرابعة ، قدمت إليه مائدة الفضل بن يحيى البرمكي . قال : فرفع رأسه إلى السماء فقال [عليه السلام] : يا رب ، إنك تعلم أنني لو أكلت قبل اليوم كنت أعنت على نفسي .

قال : فأكل ، فمرض . فلما كان من الغد الذي فعل السم فيه فعله ، بعث إليه الطبيب ، فسأله عن حاله ، فتغافل . فلما كرر عليه السؤال قال عليه السلام :

هذه جلتي .

(١) وفاة الإمام موسى الكاظم ص ٣٢ - ٣٣ .

وكانت خُضرةً في وسط راحته تدلُّ على أنه سُم.

فانصرف الطيبُ إليهم وقال: واللَّهِ لَهَوَ أَعْلَمُ بما فعلتم به منكم! ثم توفِّي^(١).

أجل.. لقد بعثوا إليه الطيبَ ليقول الناس إنهم مهتمُّون بمرض الجريمة.. ولكن ذلك الطيبَ المسيحيَّ الشريفَ فضحهم بعد أن فضحتهم الكلبةُ من قبل! وإنَّ لهم موقفاً مع تلك الكلبة، ومع هذا الطيب، تدوس فيه الكلبةُ كبرياءهم، ويعلن الطيبُ لعنتهم على الأَشهاد، ثم ترقى الكلبةُ أعواد عرشهم لتعلن غضبَ السماءِ النازل على أولئك القتالين، ثم ينادي الطيبُ بشماتته بهم في يوم العدل الإلهي!

وإذا كنتَ أيها الخليفة قد خذلتك الكلبةُ مرةً، وصدفك الطيبُ مرةً ثانيةً، فكيف بك إذا وقفتَ بين يدي ربِّك وأنت تحمل في عنقك دماءً ثلاثةً من أئمة أهل البيت صلواتُ الله وسلامه عليهم، قد قتلتهم جميعاً دون ذنبٍ أو جرمٍ! طاش سهمك، وضباع فهمك!

ولكنم كان تفكيرك قاصراً - أيها التعيس - حتى ظننت أنه قد خفي شيءٌ من مكرك وغدرك على الإمام عليٍّ! ولكن قلَّة دينك، وعدم إيمانك برَبِّك وبرسوله وكتبه، إلى جانب صبر الإمام على ظلمك، كلُّ ذلك حملك على التماذي في الكيد لله ولآل رسول الله الذين طهرهم الرحمان والقرآن.

ألا إن صبرَ الإمام على الأذى، كشف زيفَ سلطانتكم، وفضحَ مروقكم من الدين.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٢٧ وحلقة الأبرار ج ٢ ص ٢٥١ - ٢٥٢ وهو في العيون ج ١ ص ٨٨ ووفاة الإمام موسى الكاظم ص ٢٨ ومن ص ٤٩ إلى ص ٥١ والأنوار البهية ص ١٦٧.

وفي خبرٍ مفصَّلٍ لِمَا جرى بعد وفاته، قال عمر بن واقد:

«أرسل إليَّ السندي بن شاهك في بعض اللَّيْلِ وأنا ببغداد، يستحضرني، فخشيتُ أن يكون ذلك لسوءٍ يريدُه بي، فأوصيتُ عيالي ما احتجْتُ إليه، وقلت: إنَّا لله، وإنَّا إليه راجعون.. ثم ركبْتُ إليه.

فلَمَّا رآني مقبلاً قال: يا أبا حفص، لعلنا أربناك وأفزعاك؟

قلت: نعم.

قال: فليس هنا إلا خَيْر.

قلت: فرسولٌ تبعهُ إلى منزلي يُخبرهم بخبري.

قال: نعم.

ثم قال: يا أبا حفص، أتدري لِمَ أرسلتُ إليك؟

فقال: لا.

قال: أتعرف موسى بن جعفر؟

فقلت: إي واللَّهِ إنِّي لأعرفُه، وبينني وبينه صداقةٌ منذ دهر.

فقال: مَنْ هاهنا ببغداد تعرفه ممَّن يُقبلُ قوله؟

فسميتُ له أقواماً. ووقع في نفسي أنه عليه السلام قد مات.

فبعثتُ وجاءَ بهم كما جاء بي، فقال: هل تعرفون قوماً يعرفون

موسى بن جعفر؟

فسموا له قوماً. فجاءَ بهم. فأصبحنا - في الدار - ونحن نُئِفُّ

وخمسون رجلاً ممَّن يعرف موسى بن جعفر عليه السلام وقد صَحَّبه.

ثم قام فدخل، وصلينا.

فخرج خادمه ومعه طومار، فكتب أسماءنا، ومنازلنا، وأعمالنا،
وخللنا ثم دخل إلى السندي.

ثم خرج السندي فضرب يده إليّ فقال لي: قُم يا أبا حفص،
فنهضتُ، ونهض أصحابنا ودخلنا.

فقال لي: يا أبا حفص، اكشف الثوبَ عن وجه موسى بن جعفر،
فكشفته، فرأيتَه فبكيت واسترجعت.

ثم قال للقوم: انظروا إليه.

فدنا واحدٌ بعد واحدٍ، فنظروا إليه.

ثم قال: تشهدون كلكم أن هذا موسى بن جعفر بن محمد. ثم قال: يا
غلام اطرح على عورته منديلاً، واكشفه. ففعل.

فقال: أترون به أثراً تُنكرونه؟

فقلنا: لا. ما نرى به شيئاً، ولا نراه إلا ميتاً.

قال: لا تبرحوا حتى تغسلوه، وأكفنه وأدفنه.

فلم نخرج حتى غُسل وكُفن، وحمل فصلى عليه السندي بن
شاهك^(١). تبَّحه الله وتبَّح صلاته، فهو يقتل إماماً مفترض الطاعة ويمشي
في تشييعه.

.. وهكذا تمت المراسمُ الشرعيةُ المدبَّرةُ المفضوحةُ، «فحِيلَ على
نعشٍ وثوذي عليه: هذا إمامُ الرافضة، فاعرفوه!».

(١) الأنوار البهية ص ١٦٨ - ١٦٩ ووفاء الإمام موسى الكاظم ص ٣٥ و ص ٣٦ مكرراً، وهو في
الكافي م ١ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٢٧ - ٣٢٨ مع زيادة يسيرة
واختلاف في بعض الألفاظ، ولم يُصل عليه قاتله.

ثم أتى به إلى السوق فوضع هناك، ثم تُودِي عليه: هذا موسى بن جعفر قد مات حتف أنفه، ألا فانظروا إليه!

فحفَّت به الناسُ، وجعلوا ينظرون إليه، لا أثر به من جراحة ولا خنق، وكان في رجله أثر الجناء.

ثم أمروا العلماء والفقهاء أن يكتبوا شهادتهم في ذلك.

فكتبوا جميعاً إلا أحمد بن حنبل فكلما زجره لم يكتب شيئاً^(١).

فكما أنه يكتب للميت حين دُفِنه شهادة أربعين مؤمناً بأنهم لا يعلمون منه إلا خيراً، فكذلك استكتب خليفة المسلمين نيفاً وخمسين كذاباً من علماء قصره وفقهائه وقضاة، شهدوا بأن الإمام عليه السلام لا أثر فيه من جراحة أو خنق... ووقف - فقط - أحمد بن حنبل - وحده - أمام بقر بغداد الذي تفوق على بقر معاوية... ولم يُذعن لتهديدهم، ولا شهد بغير ما يعلمه من قتلهم للإمام عليه السلام.

مركز تحقيقات كويت

ونقل الشيخ المفيد رحمه الله، عن جملة رواة، عن مشايخهم، هذه الرواية التي نظنها الأصدق، فقال:

«وكان السبُّ في قبض الرشيد على أبي الحسن عليه السلام، وحبسه وقتله، ما ذكره أحمد بن حنبل بن عبيد الله بن عمارة، عن علي بن محمد النوفلي عن أبيه. وأحمد بن محمد بن سعيد، وأبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى، عن مشايخهم، قالوا:

كان السبُّ في أخذ موسى بن جعفر عليه السلام، أن الرشيد جعل ابنه في

(١) الأنوار البهية ص ١٦٩ - ١٧٠.

جِجْر جعفر بن محمد بن الأشعث، فحسده يحيى بن خالد بن برمك على ذلك وقال: إن أفضت إليه الخلافة زالت دولتي ودولته ولدي.

فاحتال على جعفر بن محمد، وكان يقول بالإمامة، حتى داخله وأنس إليه، وكان يكثر غشيانه في منزله فيقف على أمره ويرفعه إلى الرشيد، ويزيد عليه في ذلك بما يقدح في قلبه. ثم قال لبعض ثقاته: تعرفون لي رجلاً من آل أبي طالب ليس بواسع الحال يعرفني بما يحتاج إليه!

فدلّ على عليّ بن إسماعيل بن جعفر بن محمد، فحمل إليه يحيى مالا.

وكان موسى بن جعفر عليه السلام يأنس بعليّ بن إسماعيل ويصله ويبره. ثم أرسل إليه يحيى بن خالد يرغبه في قصد الرشيد ويعدّه بالإحسان إليه.



فعمل على ذلك.

فأحسّ به موسى بن جعفر عليه السلام، فدعا به فقال: إلى أين يا بن أخي؟ قال: إلى بغداد.

قال: وما تصنع؟

قال: عليّ دين، وأنا مُمليق - فقير -.

فقال له موسى عليه السلام: أنا أقضي دينك، وأفعل بك وأصنع.

فلم يلتفت إلى ذلك، وعمل على الخروج.

فاستدعاه أبو الحسن عليه السلام فقال له: أنت خارج؟

قال: نعم، لا بدّ لي من ذلك.

فقال له: أنظر يا بن أخي، واتق الله، ولا تؤتم أطفالاً. . وأمر له

بثلاثمائة دينار، وأربعة آلاف درهم.

فلما قام بين يديه قال أبو الحسن عليه السلام لمن حضره: واللّه ليسعين في دمي ويؤتمن أولادي.

فقالوا: جعلنا الله فداك، وأنت تعلم هذا من حاله وتُعطيه وتصله؟!

قال: نعم؛ حدثني أبي، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أن الرجم إذا قطعت فوصلت فقطعت، قطعها الله. وإني أردت أن أصله بعد قطعه، حتى إذا قطعني قطعهُ الله.

فخرج علي بن اسماعيل حتى أتى يحيى بن خالد - البرمكي - فتعرّف منه خبر موسى بن جعفر عليه السلام، ورفعه إلى الرشيد. فسأله - أي الرشيد - عن عمه - الإمام عليه السلام - فسعى به إليه وقال: إن الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب. وأنه اشترى ضيعة سماها السيرية بثلاثين ألف دينار. فقال له صاحبها وقد أحضره المال: لا آخذ هذا النقد، ولا آخذ إلا نقد كذا وكذا. فأمر بذلك المال فردّ، وأعطاه ثلاثين ألف دينار من النقد الذي سأل بعينه.

مركز تحقيقات كويت - علوم إسلامية

فسمع ذلك منه الرشيد، وأمر له بمائتي ألف درهم تُسبب على بعض النواحي.

فاختار بعض كور المشرق - أي بعض المقاطعات في المشرق -.

ومضت رسله لقبض المال، وأقام ينتظرهم. فدخل في بعض تلك الأيام إلى الخلاء، فزحر زحرة - أي أصابه إسهال انطلاق بطن - خرجت منها حشوته كلها! فسقط! وجهدوا في ردّها فلم يقدرُوا، فوقع لما به، وجاءه المال وهو ينزع، فقال: ما أصنع به وأنا في الموت! ^(١).

(١) إلى هنا موجود في مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٠٨.

وخرج الرشيد في تلك السنة إلى الحج، وبدأ بالمدينة فقبض على أبي الحسن عليه السلام .

وإنه لما ورد المدينة استقبله موسى عليه السلام في جماعة من الأشراف . وانصرفوا من استقباله، فمضى أبو الحسن عليه السلام إلى المسجد على رسمه - أي على عادته - . وأقام الرشيد إلى الليل، وصار إلى قبر رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنني أعتذر إليك من أمر أريد أن أفعله: أريد أن أحبس موسى بن جعفر، فإنه يريد التشييت بين أمتك، وسفك دماهم .

ثم أمر به فأخذ من المسجد، فأدخل إليه فقيدًا، واستدعى قُبَيْنَ فجعله في إحداهما على بغل، وجعل القُبَيَّة الأخرى على بغل آخر، وخرج البغلان من داره عليهما القُبَتَانِ مستورتين، ومع كل واحدٍ منهما خيل . وافترقت الخيل، فمضى بعضها مع إحدى القُبَتَيْنِ على طريق البصرة، والأخرى على طريق الكوفة . وكان أبو الحسن عليه السلام في القُبَيَّة التي مضى بها على طريق البصرة .

وإنما فعل الرشيد ذلك ليُعمي على الناس الأمر في باب أبي الحسن، وأمر القوم الذين كانوا مع قُبَيَّة أبي الحسن أن يسلموه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور، وكان على البصرة حينئذٍ - أي كان والياً عليها - .

فسلم إليه، فحبسه عنده سنة، وكتب إليه الرشيد في دمه - أي بقتله - فاستدعى عيسى بن جعفر بعض خاصته وثقاته فاستشارهم فيما كتب إليه الرشيد، فأشاروا عليه بالتوقف عن ذلك والاستعفاء منه .

فكتب عيسى بن جعفر إلى الرشيد يقول له: قد طال أمر موسى بن جعفر ومقامه في حبسي، وقد اختبرت حاله ووضعت عليه العيون طول هذه

المدة، فما وجدته يفتر عن العبادة. ووضعت من يسمع منه ما يقول في دعائه، فما دعا عليك ولا علي وما ذكرنا بسوء، وما يدعو إلا بالمغفرة والرّحمة لنفسه. وإن أنت أنفدت إلي من يتسلمه مني، وإلا خلّيت سبيله فأني متحرّج من حبسه - أي متضايق ومتأثم - .

وروي أن بعض عيون عيسى بن جعفر رفع إليه أنه سمعه كثيراً يقول في دعائه وهو محبوس عنده: اللّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَسْأَلُكَ أَنْ تُفَرِّغَنِي بِعِبَادَتِكَ، اللّهُمَّ وَقَدْ فَعَلْتُ، فَلَكَ الْحَمْدُ،^(١).

فوجه الرشيد من تسلّمه من عيسى بن جعفر، وصار به إلى بغداد فسُلم إلى الفضل بن الربيع فبقي عنده مدة طويلة، فأراده الرشيد على شيء من أمره - أي على قتله - فأبى . .

فكتب إليه بتسليمه إلى الفضل بن يحيى، فتسلّمه منه - في رجب يوم المبعث سنة ١٨٠ هجرية - . وجعله في بعض حُجَر دُوره ووضع عليه الرصد. وكان مشغولاً بالعبادة، يُحْيِي اللَّيْل كُلَّهُ صَلَاةً وَقِرَاءَةً لِلْقُرْآنِ وَدَعَاءً وَاجْتِهَاداً، ويصوم النهار في أكثر الأيام، ولا يصرف وجهه عن المحراب .

فوسّع عليه الفضل بن يحيى وأكرمه، فاتصل ذلك بالرشيد وهو في الرقة، فكتب إليه يُنكر عليه توسيعه على موسى بن جعفر ويأمره بقتله! فتوقّف عن ذلك ولم يُقدِّم عليه .

فاغتاظ الرشيد لذلك، ودعا مسرور - الخادم - وقال له: أخرج على البريد في هذا الوقت إلى بغداد، وادخل من فورك على موسى بن جعفر، فإذا وجدته في دعة ورفاهية فأرسل هذا الكتاب إلى العباس بن محمد، ومُرّه بامثال ما فيه، وسلم إليه كتاباً آخر إلى السندي بن شاهك يأمره بطاعة العباس بن محمد .

(١) انظر حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٥٢ .

فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحد ما يريد . ثم دخل على موسى بن جعفر فوجده على ما بلغ الرشيد؛ فمضى من فوره إلى العباس بن محمد، والسندي بن شاهك، وأوصل الكتابين إليهما^(١).

فلم يلبث الناس أن خرج الرسول إلى الفضل بن يحيى، فركب معه وبدا مشدوهاً دهباً، حتى دخل على العباس.

فدعا العباس بسياط وعقابين، وأمر بالفضل فجرّد، وضربه السندي بن شاهك مائة سوطاً . وخرج متغيّر اللون خلاف ما دخل، وجعل يسلم على الناس يميناً وشمالاً .

وكتب مسرور بالخبر إلى الرشيد، فأمر بتسليم موسى ~~إلى~~ إلى السندي بن شاهك . وجلس الرشيد مجلساً حافلاً وقال: أيها الناس، إن الفضل بن يحيى قد عصاني وخالف طاعتي، ورأيت أن ألعنه، فالعنوه . فلعنه الناس من كل ناحية حتى ارتج البيت والدار بلعنه .

وبلغ يحيى بن خالد - أي والده - الخبر، فركب إلى الرشيد فدخل من غير الباب الذي يدخل الناس فيه، حتى جاءه من خلفه وهو لا يشعر، ثم قال: التفت يا أمير المؤمنين! فأصغى إليه فرعاً . فقال له: إن الفضل حدث - أي صغير - وأنا أكفيك ما تريد .

فانطلق وجهه، وسر، وأقبل على الناس وقال: إن الفضل كان قد عصاني في شيء فلعنته . وقد تاب وأناب إلى طاعتي فتولّوه .

قالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، وقد تولّيناه .

ثم خرج يحيى بن خالد على البريد حتى وافى بغداد، فهاج الناس

(١) أنظر حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٥٢ .

وأرجفوا بكل شيء . فأظهر أنه ورد لتعديل السواد والنظر في أمور العمال
- أي الموظفين - . وتشاغل ببعض ذلك أياماً ، ثم دعا السندي فأمره فيه بأمره
- أي في الإمام عليه السلام - فامتثله .

وكان الذي تولى به السندي قتله سماً جعله في طعام قدمه إليه . ويقال
إنه جعله في رطب أكل منه فأحسّ بالسّم ، ولبت بعده ثلاثاً موعوكاً منه - أي
محموماً مضطرب المزاج - ثم مات في اليوم الثالث .

ولمّا مات موسى عليه السلام ، ادخل السندي بن شاهك الفقهاء ووجوه أهل
بغداد ، وفيهم الهيثم بن عدي وغيره ، فنظروا إليه ولا أثر به من جراح ولا خنق ،
وأشهدهم على أنه مات حتف أنفه ، فشهدوا على ذلك . - كما مرّ سابقاً - .

وأخرج ووضع على الجسر ببغداد ، فتودي : هذا موسى بن جعفر قد مات
فانظروا إليه . فجعل الناس يتفرسون في وجهه وهو ميت صلوات الله عليه .

وقد كان قومٌ زعموا في أيام موسى عليه السلام أنه هو القائم المنتظر ،
وجعلوا حبسه هو الغيبة المذكورة للقائم ، فأمر يحيى بن خالد أن ينادى عليه
عند موته : هذا موسى بن جعفر الذي زعم الرافضة أنه لا يموت ، فانظروا
إليه . فنظر الناس إليه ميتاً ، ثم حمل ودُفن في مقابر قريش من باب التبن ،
وكانت هذه المقبرة لبني هاشم . وقد مرّت بقية الحديث سابقاً^(١) .

(١) كشف الغمة ج ٣ من ص ٢٠ إلى ص ٢٥ والإرشاد من ص ٢٧٩ إلى ص ٢٨٧ وانظره في مناقب
آل أبي طالب ج ٤ من ص ٣٢٦ إلى ص ٣٢٨ وهو بكامله في الأنوار البهية من ص ١٦٣ إلى
ص ١٦٧ وفي بنابيع المودة ج ٣ ص ١١ ذكر شيئاً منه باختصار ، وهو كذلك في أعلام الوري
ص ٢٩٩ - ٣٠٠ وفي حلية الأبرار من ص ٢٥٤ إلى ص ٢٥٩ مكرراً بجملة روايات ، وهو في
وفاة الإمام موسى الكاظم من ص ٣٨ إلى ص ٤١ باختلاف يسير عن عتاب بن أمثل ، وهو
أيضاً في تحف العقول ص ٣٠٤ باختصار ، ومثل ذلك تجده في الكافي م ١ ص ٤٧٦ .

وأنت حين تقرأ وقائع هذه القصة الطويلة العريضة، لا بد أن يصيبك القرف من هذا الخليفة المتعدّي على حرمة النبي ﷺ، وعلى الأعراف والأديان والأخلاق، أجل يصيبك القرف عند محطات تستوقفك لتفكر بأساليب الحكم العباسي الغاشم الذي حاد عن الخط الإسلامي بونا شاسعاً، وفاق الأمويّة التي جنّدت ليني عليّ وفاطمة ولنسل رسول الله ﷺ علناً، وحرابتهم على رؤوس الأشهاد، في حين أن العباسية فعلت الأفاعيل في العلن والخفاء بسبب وبلا سبب مطلقاً، وكان من مقومات عرشها الظالم أن تُقيمه على جماجم أهل البيت النبويّ، وجماجم صلحاء الأمة. فالمتهم في عُرف العباسيين ينبغي أن يُقتل في كل حال، ولا مجال لمحاكمته أو البحث عن براءته.

فما هو ذنب هذا الإمام العابد الزاهد سلام الله عليه، سوى أنه كان يفضح مروق الحكام، ويلقي كلمة الحق والعدل في مجالات الباطل والظلم؟ وهل ذنبه أنه كان يعبد الله تعالى، ولا يعبد الخليفة المتأله المتغطرس؟ هل كان قتله سوى عقاب لصيامه النهار، وقيامه الليل، وانصرافه للعبادة، إزاء قصر ينطوي على المفاسد من خمور وفجور ومنكرات، فلا تقع العين فيه إلا على محرّم، وكان الخليفة فيه مكلف بجمع الكذبة والسرقه والفسقة والمردة، والراقصات والمغنيات وأهل الخنى والزور، وكان القصر حانة للسكاري، ومربّع لا يصدر عنه شيء يمت بقراءة إلى الإسلام والمسلمين.

فتعساً لمثل هذه الخلافة الإسلامية الكاذبة التي ترتكب مثل هذه الجريمة الشنعاء وهذه الفعله النكراء؛ وسحقاً للقائمين في هذه الخلافة على كل ما يغضب الرحمان ويرضي الشيطان! إن الله تعالى يمهّل، ولكنه لا يمهّل وسيقف الحُصماء بين يديه ونرى لمن تكون عُقبى الدار، ولمن يكون الويل في يوم لا ينفع فيه ندم نادٍ.

لقد سها عن بال خليفة المسلمين أن ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (١).

ولكن . . عفو القول، لا يسهو عن باله مثل ذلك الجزاء لو كان مسلماً حقاً . . فقد كان المفروض - يومئذ - بخليفة المسلمين أن يكون على تمام التجاهل بأحكام الدين، وأن يتخطى أوامر الله في القرآن الكريم، ولا يطلع على ذلك إلا من باب: تعلم السحر ولا تعمل به .



ما هو دليلك يا هارون أن موسى بن جعفر كان يُريد التشتيت بين الأمة، وسفك دماؤها؟ .

وإذا كان ذلك فلم لم تُحاكمه علناً وتحكم عليه؟ .

وما النشاط الذي قام به حتى استحق قيود الحديد قبل السؤال والجواب؟ .

مركز تحقيقات كويتية علوم إسلامية

وما هي الأسباب الموجبة التي حملتك على الكتابة لعيسى بن جعفر بأن يقتله في البصرة بلا أخذ ولا رد؟ .

وكيف لعنت الفضل بن يحيى، وأمرت المسلمين بلعنه، ثم لما دخل عليك أبوه من باب سري مهتداً متوعداً خفت منه على نفسك - مع أنك لا تخاف من الله - وحكمت رأساً بتوبة الفضل، وأمرت الناس بتولييه؟ .

وبم استحق ابن يحيى المائة سوط بعد تجريده من ثيابه؟ .

لله ما أغلظ رقبة خليفة الزمان التي تحمل شهادة زور إذاها فقهاء قصره، وجلالوزة حكمه، والوجهاء الذين يدورون في فلك حكمه؟ .

(١) سورة النساء: ٩٣ .

ومن أين جاء ببدعة كون الرافضة يعتبرون الإمام الكاظم عليه السلام أنه الإمام المنتظر، ليُغطّي على زلّته وزلّة فقهاءه الذين شهدوا أنه عليه السلام مات بدون جرح وبدون خنق؟ . نعم هو كذلك لأنه مات بالسّم . .

هذه التساؤلات، والمثبات غيرها، لا تفضح القليل القليل من موبات سلطانه ولا تُظهر للملا صورته المُلحدة التي ما كانت من الإسلام في شيء . . بل ولا من الإنسانية في حال . .

لقد مضى إمامنا طاهراً مطهراً، قد أذهب الله تعالى عنه الرجس بمُحكّم كتابه الكريم .

ومات الخليفة الظالم وفي نفسه حسرات سيري أوزارها يوم يُدعّ إلى نار جهنّم دعاً . . ويوم لا تنقضي حسراته، ولا يُخفّف عذابه . .

فيا ربّاه، إذا ضاع دينُ الخلفاء، فأين يضيع الفهم والعلم؟ ١٩ .

لقد رأيت - يا قارني الحبيب - كيف تمت تواقيعُ شهود الزور من الطغمة الماجورة في قصر الظلم: فقهاء ووجهاء، وقواداً. ثم حمل الجثمان الشريف بعد عرضه على الجسر حيث احتشد أهل بغدادَ جميعهم، وشيعوه في موكب مهيب لم يسبق له نظير؛ فلما أن أتى الموكب مجلس الشرطة، أقام أربعة نفرٍ فنأدوا: ألا من أراد أن يرى موسى بن جعفر فليخرج .

وفي هذه الأثناء خرج سليمان بن جعفر، ابن أبي جعفر المنصور، من قصره إلى الشطّ في يوم ماطر، إذ مرّت الجنازة ووراءها الحشد من الناس . فسمع الضوضاء والصياح فقال لولديه وغلماّنه: ما هذا؟ . هذه جنازة من؟ ١٩ .

قالوا: السندي بن شاهك ينادي على موسى بن جعفر - عليه السلام - على نعش . فقد مات في حبس الرشيد، وأمر أن يُدفن بحاله - أي كما هو . .

فقال: موسى بن جعفر يُدفن هكذا ١٢١. فإن في الدنيا من كان يخاف على المُلْك، وفي الآخرة لا يوفى حقّه!

ثم قال لولده وغلماؤه: يوشك أن يفعل به هذا في الجانب الغربي؛ فإذا عبّر به فانزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم، فإن مائعوكم فاضربوهم وخرقوا ما عليهم من السواد.

فلما عبروا به نزلوا إليهم، فأخذوه من أيديهم وضربوهم وخرقوا ما عليهم من سوادهم، ووضعوه في مفرق أربعة طرق، وأقام المنادين ينادون: الأمان أراد أن يرى الطيب بن الطيب، موسى بن جعفر - عليه السلام - فليخرج.

وحضر الخلق، وغُسل وحُطَّ بِحُنُوطٍ فاخر، وكفنه بكفن فيه حبرة استعملت له بالفين وخمسمائة دينار، عليها القرآن كله. واحتفى ومشى في جنازته متسلباً - أي حافياً منزوع الثوب - مشقوق الجيب، حاسر الرأس إلى مقابر قريش في باب التبن؛ وكانت هذه المقبرة لبني هاشم ولأشراف من الناس قديماً، فدفنه هناك، وكتب بخبره إلى الرشيد.

فكتب له الرشيد: وصلتك رحم يا عم، وأحسن الله جزاءك. والله ما فعل السندي بن شاهك لعنه الله ما فعله عن أمرنا^(١).

«ويقال في رواية أنه - عليه السلام - دُفن بقيوده، وأنه أوصى بذلك»^(٢).

فتصور معي هذا الخليفة الحُسين، العامل بوسوسة إبليس. فإنه من مقعد رسول الله ﷺ، يُقسم يمينا كاذبة وقحة بأن ما فعله السندي بن شاهك لم يكن عن أمره، ثم يلعنه ويخزيه!

ولو أننا وقفنا على ما في نفس اللعين السندي بن شاهك لوجدناه يلعن

(١) الأنوار البهية ص ١٧١ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٢٨ وإعلام الوري ص ٣٠٠.

(٢) الأنوار البهية ص ١٧٢.

أميرَه الذي أغراه بقتل الإمام عليه السلام، ويسبُه ويخزيه، بعد أن عرف أنها هذه هي مكافأة خدمة الظلمة والجبايرة.

ونحن نقول لِرُوَادِ ذَلِكَ الْقَصْرِ الَّذِي تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمَكْرِ، وَالسُّكْرِ، وَالشُّجْرِ، وَالْقَهْرِ، وَالْكَفْرِ، مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِأَمْثَالِهِمْ مِنْ مَنْكِرِي الرِّسَالَاتِ: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا أَخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِنَا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَنُكُمْ النَّارُ وَمَالَكُمْ مِنْ نَصِيرِينَ﴾ (١).

وبخصوص وفاته أيضاً، روى محمد بن عيسى، عن مسافر، أنه قال:
«أمر أبو إبراهيم عليه السلام، حين أخرج به، أبا الحسن - الرضا - عليه السلام - أن ينام على بابِه في كل ليلة أبداً ما كان حياً إلى أن يأتيه خبرُه.
فكنا في كل ليلة نفرش لأبي الحسن في الدهليز، ثم يأتي بعد العشاء فينام، فإذا أصبح انصرف إلى منزله. تكملة في تاريخ طبرستان
فمكث على هذه الحال أربع سنين، فلما كان ليلة من الليالي أبطأ عنه، وفرش له فلم يأت كما كان يأتي. فاستوحش العيال وذعروا، ودخلنا أمرٌ عظيم من إبطائه.
فلما كان من الغد أتى الدار، ودخل إلى العيال، وقصد إلى أم أحمد زوجة الإمام الكاظم عليه السلام فقال لها: هاتي التي أودعك أبي.
فصرخت ولطمت وجهها، وشقت جيبها وقالت: مات والله سيدي.
فكفها وقال لها: لا تكلمي بشيءٍ تُظهره حتى يجيء الخبر إلى الوالي.

(١) سورة العنكبوت: ٢٥.

فأخرجت إليه سلفاً وألقي دينار، أو أربعة آلاف دينار، فدفعت ذلك
أجمع إليه دون غيره وقالت: إنه قال لي فيما بيني وبينه - وكانت أثيرة
عنده -: احتفظي بهذه الوديعة عندك، لا تطلعي عليها أحداً حتى أموت. فإذا
مضيت، فمن أتاك من ولدي فطلبها منك فادفعيها إليه، واعلمي أنني قد مت.
وقد جاءني والله علامة سيدي.

فقبض ذلك منها، وأمرهم بالإمساك جميعاً إلى أن ورد الخبر.
وانصرف ولم يعد لشيء من المبيت كما كان يفعل.

فما لبنا إلا أياماً يسيرة حتى جاءت الخريطة بنعيه. فعددنا الأيام،
وتفقدنا الوقت، فإذا هو قد مات في الوقت الذي فعل أبو الحسن عليه السلام ما
فعل من تخلفه عن المبيت وقبضه لِمَا قبض^(١).

ونقول لمن قتله، ولعن أميره الذي أغراه بقتله، ما قاله الله تبارك
وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١١﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ
نَصِيرَةٍ ﴿١٢﴾﴾^(٢).

ولا نزيد على ذلك، لأنه ليس بعد قول الله قولاً لأحد.



وعن محمد بن عيسى، عن بعض أصحابنا، عن أبي الحسن،
موسى عليه السلام، قال:

(١) الكافي ج ١ ص ٣٨٢ والأنوار البهية ص ١٧٢ - ١٧٣.

(٢) سورة آل عمران: ٢١ - ٢٢.

«إن الله عز وجل غضب على الشيعة، فخيرني نفسي، أو هم؟
فوقيتهم والله بنفسي»^(١).

ولعله عليه السلام يقصد بالغضب كونهم كانوا كثيرين في العمال
والموظفين في دولة السلطان، من وزراء، ورؤساء، وقواد، إلى عمال
مختلفين، فكانوا أعواناً للظالم؛ أو أنه عليه السلام رأهم قد تركوا التقيّة وتكلموا
علناً على عين السلطان، وبمرأى ومسمع منه، أو لعدم انقيادهم
للإمام عليه السلام في أكثر أمورهم، وقلة إخلاصهم في متابعة الإلتزام بأمره...
وسلاماً على أئمتنا الأطهار - بمقدار ما ضحوا، وبمقدار ما بذلوا من أجل
الإبقاء على شيعتهم ا.



مركز تحقيقات كميوتير علوم إسلامي

(١) الكافي م ١ ص ٢٦٠.

العائلة النجبية

رَبُّ هذه العائلة الكريمة هو الإمام جعفر الصادق عليه السلام، الذي طبق ذكره الآفاق منذ ثلاثة عشر قرناً، ويكفيها بذلك شرفاً وكرامة؛ بل يكفي بموسى بن جعفر أن يكون أبوه هذا الأب الكبير الذي هو أبٌ للشيعة كافة، وأبٌ لأكثر المسلمين.

وأُمُّه - عليه وعليها السلام - هي حميدة المصفاة البربرية، التي كانت من أشرف الناس، واسمُ أبيها صاعد البربري. «وقد قال الإمام الصادق عليه السلام، فيما رواه عنه المعلى بن خنيس: حميدة مصفاة من الأندلس كسبيكة الذهب، مازالت الأملاك تحرسها حتى أُدِّيت إليَّ كرامة من الله لي والحجة من بعدي»^(١).

«ويظهر من بعض الروايات أن الإمام الصادق عليه السلام كان يأمر النساء في أخذ الأحكام إليها»^(٢).

فهي من كرائم النساء، ولكننا لا نعرف تفصيلاً عن سببها وجعلها أمة،

(١) الكافي م ١ ص ٤٧٧ والأنوار البهية ص ١٥٢ - ١٥٣ وفي ينابيع المودة ج ٣ ص ٣٣ ذكر اسم أمه وكثيراً من صفاته، وانظر أعلام الوري ص ٢٨٦ وتواريخ أهل البيت ص ١٨٢ ووفاة الإمام موسى الكاظم ص ٥١.

(٢) المصدر السابق.

ولا ندري مَلاساتِ نَقْلِها إلى المدينة المنورة، ولم نعرف سوى اسم أبيها الذي يوحى بمعالي العز والكرامة والمجد... وهل يُسبى إلا كرائم النساء، وبنات البيوتات الكريمة؟. أمّا عن كيفية وصولها إلى الإمام الباقر عليه السلام فقد وصلنا حديث عيسى بن عبد الرحمان الذي قال:

«دخل عكاشة بن محصن الأسدي على أبي جعفر - الباقر - عليه السلام، وكان أبو عبد الله - الصادق - عليه السلام قائماً عنده. فقال لأبي جعفر عليه السلام: لأي شيء لا تزوج أبا عبد الله، فقد أدرك التزويج؟.

قال - وبين يديه صرة مختومة -: أمّا إنه سيجيء نخّاس من أهل بربر، فينزل دار ميمون، فنشتري له بهذه الصرة جارية.

قال - عكاشة -: فأتى لذلك ما أتى، فدخلنا يوماً على أبي جعفر عليه السلام، فقال: ألا أخبركم عن النخّاس الذي ذكرته لكم؟. قد قدّم فذهبوا واشتروا منه بهذه الصرة جارية.

فأتينا النخّاس فقال: قد بعث ما كان عندي إلا جارتين مريضتين، إحداهما أمثل - أي أحسن صحةً وعافيةً - من الأخرى.

قلنا: فأخرجهما حتى ننظر إليهما.

فأخرجهما.

فقلنا: بكم تبيعنا هذه المتماثلة؟. - أي التي أوشكت أن تُشفى من مرضها -.

قال: بسبعين ديناراً.

قلنا: أحسن.

قال: لا أنقص من سبعين ديناراً.

قلنا: نشترها منك بهذه الصرة ما بلغت، ولا ندري ما فيها.

وكان عنده رجلٌ أبيضُ الرأسِ واللَّحية، قال: فكُّوا. - أي حُلُّوا الصُّرة
وزنوا الدنانير. -

قال النُّخاس: لا تفكُّوا، فإنها إن نقصت حبةً عن سبعين ديناراً، لم
أبايعكم.

فقال الشيخ: ادنُّوا.

فدنُّونا، وفككنا الخاتم، ووزننا الدنانير، فإذا هي سبعون ديناراً لا تزيد
ولا تنقص.

فأخذنا الجارية، فأدخلناها على أبي جعفر عليه السلام، وجعفر قائمٌ عنده؛
فأخبرنا أبا جعفر بما كان.

فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال لها: ما اسمك؟

قالت: حميدة.

فقال: حميدةٌ في الدنيا، محمودَةٌ في الآخرة. أخبريني عنك، أبكرُ
أنت أم ثيبٌ؟

قالت: بكر.

قال: وكيف ولا يقع في يد النُّخاسين شيءٌ إلا أفسدوه؟

فقالت: قد كان يجنني، فيقعد مني مقعدَ الرجل من المرأة، فيسلط
الله عليه رجلاً أبيضُ الرأسِ واللَّحية، فلا يزال يلطده حتى يقوم عني. ففعل
بي مراراً، وفعل به الشيخ مراراً.

فقال: يا جعفر، خذها إليك. فولدت خيراً أهل الأرض، موسى بن
جعفر عليه السلام (١).

(١) الكافي ١ ص ٤٧٦ - ٤٧٧.

والشيخ الأبيض الرأس واللحية هو هذا الذي حضر بيعها بنفسه، وقد كان يعلم مسبقاً ما في الصخرة من الدنانير ومبلغ المال بالضبط . . وهو هو هذا الذي رافقها من المغرب إلى الجزيرة العربية، وقد حرسها بأمر الله تعالى لأنها مرصودة لولي كريم من أوليائه، فلا يصل إليها من أحد سوء .

والشيخ هو هو أيضاً الذي كان يلطم النخاس ويصرفه عنها، لأنه الملك الحارس المستأمن على حراستها من قبل الله عز وجل - كما ذكر الإمام الصادق عليه السلام فيما سبق - وكان لا يظهر لأعين الناس إلا في مناسبات هامة يترتب عليها أمر صونها وحراستها وإيصالها إلى بيت مالها الذي كتب الله له إياها طاهرة مطهرة معدة لِمَا قضاه الله عز اسمه من الأمر العظيم حيث تكون زوجة إمام وأم إمام، عليها السلام .

ومثل أم الإمام الكاظم عليه السلام، زوجته الكريمة التي ولدت له الإمام الرضا عليه السلام، فإن لها قصة تشبه قصة أمه العظيمة، فهي من أمهات الأولاد الشريفات المخصصات من عند الله تعالى، لإنجاب الأمجاد من الأولاد. فقد رويت قصة وصولها إلى الإمام الكاظم عليه السلام عن هشام بن أحمد الذي قال:

«قال لي أبو الحسن الأول: هل علمت أحداً من المغرب معه جوار قد قديم؟
قلت: لا .

قال: بلى، قد قدم رجل فانطلق بنا .
- فركب وركبت معه حتى انتهينا إلى الرجل، فإذا رجل من أهل المدينة معه رقيق .

فقلت له : أعرض علينا .

فعرض علينا سبع جوارٍ . وكلُّ ذلك يقول أبو الحسن عليه السلام : لا حاجة لي فيها .

ثم قال : أعرض علينا .

فقال : ما عندي إلا جارية مريضة .

فقال له : ما عليك أن تعرضها ؟ ! .

فأبى عليه ، فانصرف .

ثم أرسلني من الغد فقال : قل له : كم كان غايتك فيها ؟ . فإذا قال كذا وكذا ، فقل : قد أخذتها .

فأتيته ، فقال : ما كنت أريد أن أنقصها من كذا وكذا .

فقلت : قد أخذتها .

فقال : هي لك . ولكن أخبرني عن الرجل الذي كان معك بالأمس ؟ .

فقلت : رجل من بني هاشم .

قال : من أي بني هاشم ؟ .

فقلت : ما عندي أكثر من هذا .

فقال : أخبرك عن هذه الوصيفة أني اشتريتها من أقصى المغرب ،

فلقيتني امرأة من أهل الكتاب فقالت : ما هذه الوصيفة منك ؟ .

قلت : اشتريتها لنفسي .

قالت : ما ينبغي أن تكون هذه عند مثلك . إن هذه الجارية ينبغي أن

تكون عند خير أهل الأرض ، فلا تلبث عنده إلا قليلاً حتى تلد منه غلاماً ما

يولد بشرق الأرض ولا بغربها مثله .

قال - أي هشام -: فأتيتُ بها، فلم تلبث عنده إلا قليلاً حتى ولدت
الرُّضا عليه السلام (١).

فهؤلاء النجيبات من النساء لا تخلو منهن الأرض، وتتصرف بهن
مشيئة الله عزَّ اسمُه، لتأتي بهن إلى البيوت الكريمة المعدة لهن، بطريقة
الإماء أو غيرها، ولا يبقين عرضةً للزواج في بلادهن.

فهن من بيوتاتٍ كريمةٍ بكثُر خُطابهن، ويتزاحمون على الزواج بهن،
ولذلك يقيض الله سبحانه لهن ظروفاً خاصةً تُنحيهن عن وجوه طالبي الزواج
حتى يتيسر لهن الوصول إلى البيوت التي خُلِقن ليكنَّ فيها. وليس من السهل
أن نعلل صنْع الله في كلِّ حين.

وأما أولادُ الكاظم عليه السلام، فقد قال الشيخ المفيد رحمته الله عنهم:
«كان لأبي الحسن عليه السلام سبعةٌ وثلاثون ولداً، ذكراً وأنثى، تسعة عشر
ذكراً، وثمانية عشر بنتاً. مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث
منهم الإمامُ عليُّ بنُ موسى الرُّضا عليه السلام، وإبراهيم، والعباس،
والقاسم لأُمّهات أولادٍ شتى.

وإسماعيل، وجعفر، وهارون، والحسن لأمِّ ولد.

وأحمد، ومحمد، وحمزة، لأمِّ ولد.

وعبد الله، وإسحاق، وعبيد الله، وزيد، والفضل، والحسين،

وسليمان، وعقيل لأُمّهات أولاد.

(١) الكافي م ١ ص ٤٨٦ - ٤٨٧ والإرشاد ص ٢٨٧ - ٢٨٨ وهو في إعلام الوري ص ٢٩٩ باختلاف
يسير في اللفظ، وكذلك في كشف الغمّة ج ٣ ص ٣٤ والاختصاص ص ١٩٧.

وفاطمة الكبرى، وفاطمة الصغرى، ورقية وحكيمة، وأم أبيها، ورقية الصغرى، وأم جعفر، ولبانة، وزينب، وخديجة، وعليّة، وأمنة، وحسنة، وبريهة، وعائشة، وأم سلمة، وميمونة، وأم كلثوم، لأمهات أولاد.

وكان أفضل ولد أبي الحسن موسى عليه السلام، وأنبهم، وأعظمهم قدراً، وأجمعهم فضلاً، أبو الحسن، علي بن موسى الرضا عليه السلام ^(١).

وقيل: إنهم عشرون ذكراً، وثمانية عشر بنتاً؛ فذكر عددهم مع اختلاف في أسماء خمسة منهم مع زيادة واحد ^(٢).

وقيل إنهم أربعون ولداً، عشرون ذكراً، وعشرون بنتاً بينهم أربع فواطم ^(٣).

أما ابنه أحمد فكان كريماً، جليلاً، ورعاً، وكان أبوه يحبه ويقدمه؛ وقد وهب له ضيعته المعروفة باليسيرية. ويقال إن ابنه أحمد أعتق ألف مملوك ^(٤).

قال إسماعيل بن موسى الكاظم عليه السلام:

«خرج أبي بولده إلى بعض أمواله - أي أراضيه - بالمدينة. فكنا في ذلك المكان وكان مع أحمد بن موسى عشرون رجلاً من خدم أبي وحشمه. إن قام أحمد قاموا معه، وإن جلس أحمد جلسوا معه، وأبي بعد ذلك يرعاه ببصره ما يغفل عنه، وما انقلب حتى انتحى أحمد من بيننا ^(٥).

(١) الإرشاد ص ٢٨٧ وكشف الغمّة ج ٣ ص ٢٦ و ٢٨ و ٢٩ وإعلام الوري ص ٢٠٧ وينابيع المودة ج ٣ ص ١١ وص ٣٣.

(٢) كشف الغمّة ج ٣ ص ٦ و ٧ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٢٤.

(٣) تذكرة الخواص ص ٣١٤.

(٤) الإرشاد ص ٢٨٤.

(٥) المصدر السابق.

وهذا الحديث عن أحمد من أخيه، يدلُّ دلالةً قاطعةً على مهابته وقوة شخصيته من جهة، وعلى عناية أبيه عليه السلام به من جهة ثانية.

«وكان محمد بن موسى - أيضاً - من أهل الفضل والصلاح»^(١).

«وكان صاحب وضوء وصلاة. وكان ليله كُله يتوضأ ويصلي، فيسمع من عنده سكبُ الماء، ثم يصلي ما شاء الله له أن يصلي، ثم يهدأ ساعة ويرتاح فيرقده؛ ويقوم فيسمع صب الماء من جديد، ويصلي، ولا يزال كذلك حتى يُصبح. وقد قال راوي هذا الحديث عنه: وما رأيته قطُّ إلا ذكرتُ قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَدُونَ﴾»^(٢).

وكان ابنه إبراهيم شجاعاً كريماً، وقد تقلد الإمرة على اليمن في أيام المأمون من قبل محمد بن زيد، بن علي، بن الحسين، بن علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي بايعه أبو السرايا بالكوفة، ومضى إليها ففتحها وأقام مدة إلى أن كان من أمر أبي السرايا ما كان، وأخذ له الأمان من المأمون. وكان لكل واحدٍ من أولاده عليه السلام فضلٌ ومنقبة مشهورة»^(٣).

أما ابنه زيد، فإنه بعد وفاة أبيه، قد خرج على المأمون، فظفر به فبعث به إلى أخيه علي بن موسى الرضا، فوبّخه، وجرى بينهما كلامٌ ذكره القاضي - في كتاب «الجليس والأنيس» فيه أن علياً - الرضا - قال له: سواة لك يا زيدا. ما أنت قائلٌ لرسول الله ﷺ إذ سفكت الدماء، وأخفت السبل، وأخذت المال من غير جله؟ غرّك حُمقاء أهل الكوفة، وقول رسول الله ﷺ: إن فاطمة أحصنت فرجها، فحرم الله ذريتها على النار.

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة الذاريات: ١٧.

(٣) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٦ و ٢٧ والإرشاد ص ٢٨٤ وإعلام الوري ص ٣٠١.

وهذا لِمَنْ خرج من بطنها كالحسن والحسين فقط، لا لي ولك . والله ما نالها ذلك إلا بطاعة الله . فإن أردت أن تنال بمعصية الله ما نالوا بطاعته، إنك إذا لأكرم على الله منهم^(١) .

فإمامنا عليه السلام كان يمحض أولاده النصيح والإرشاد في كل مناسبة، ويعطيهم عنايته الأبوية الرشيدة، دائماً وأبداً، ولذلك أصبحوا أفذاذاً كراماً . وقد منحهم من خلقه السمع وصفاته الكريمة ما بوأهم منازل عالية في قلوب معاصريهم . وقيل: إنه أحضرهم يوماً فقال لهم: «يا بني، إني موصيكم بوصية من حفظها لم يضع معها: إن أتاكم آت فاسمعكم في الأذن اليمنى مكروهاً، ثم تحوّل إلى الأذن اليسرى فاعتذر وقال: لم أقل شيئاً، فاقبلوا عذره»^(٢) .

وهذا العمري من الخلق العظيم الذي ينشأ عليه الولد لتبني إنسانيته بناءً صحيحاً . . ولكن أين لنا بمن مثل تسميع الإمام الكاظم الذي خلد تسميحه وكظمه للغيظ على الزمن؟ . ولكن ذلك لا يمنعنا من التأثر بهذه الوصية العظيمة فنكون مسلمين كالمسلمين، لا كإسلام السلاطين .

(١) تذكرة الخواص ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(٢) كشف الغمّة ج ٣ ص ٨ .

النص عليه بالإمامة

لا ينصب الإمام إماماً للناس من بعده إلا بأمر ربّه بحسب العهد المعمود إليه من جدّه رسول الله ﷺ، الذي يصير بموجبه خليفة لله في أرضه، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويبين حلال الله وحرامه، فإذا زاد الناس ردهم إلى الصواب، وإذا أنقصوا ذكرهم بيوم الحساب.

فتنصيبه يتم على يد الإمام الذي سبقه، والذي يحمل صكّ الولاية عن سببه أيضاً، ولا ينفى لخلفه بالأمر إلا في آخر لحظات حياته، ولذلك كان لا بدّ لكل إمام أن ينصّ عليه الإمام السابق بحضور الثقات من أصحابه ومواليه، بعد أن يكون قد نوه به أمام أفراد وجماعات فيشيع أمره عند أكثر شيعته قبل موت سلفه؛ ذلك أن الإمامة أمانة الله الكبرى التي يحملها واحد لواحد إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها.

قال يونس بن عبد الرحمان:

سألت موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...﴾ (١).

(١) سورة النساء: ٥٨.

فقال: هذه مخاطبة لنا خاصة، أمر الله تبارك وتعالى كلَّ إمام منَّا، أن يؤدي إلى الإمام الذي بعده، ويوصي إليه؛ ثم هي جارية في سائر الأمانات. وقد حدَّثني أبي عن أبيه أن عليَّ بن الحسين قال لأصحابه: عليكم بأداء الأمانة، فلو أن قاتل أبي الحسين بن عليٍّ إثممني على السيف الذي قتله به لأدبته إليه^(١).

وهكذا فإنَّ إمامنا الكاظم قد نصَّ عليه أبوه الإمام الصادق سلام الله عليهما بمحضر أفرادٍ وجماعاتٍ، وفي مناسبات متفرقة.

قال الطبرسي رحمه الله: «إنَّ الجماعة التي نقلت النصَّ عليه من أبيه، وجدِّه، وآبائه عليهم السلام، قد بلغوا من الكثرة إلى حدِّ يمنع منهم التواطؤ على الكذب، إذ لا يحصرهم بلدٌ ومكانٌ، ولا يضمُّهم صقعٌ، ولا يُحصيهم إنسان»^(٢).

وقال ابن شهر آشوب: «روى صريح النصِّ عليه من أبيه ثقاتٌ، منهم أخواهُ عليٌّ وإسحاق - وهما من عقبه في التقوى والورع - والمفضل بن عمر الجعفي، ومعاذ بن كثير، وعبد الرحمان بن الحجاج، والفيض بن المختار، ويعقوب السراج، وسليمان بن خالد، وصفوان بن مهران الجمال، وأبو بصير، وداود الرقي، ويزيد بن سليط، ويونس بن ظبيان.

وقطع عليه العصاة - أي الجماعة - إلا طائفة عمار الساباطي»^(٣).

والأصحاب الذين ذكرناهم بأسمائهم - فضلاً عن الجماعة - كلُّ واحدٍ

(١) معاني الأخبار ص ١٠٧ - ١٠٨ وهو في كتب إسلامية كثيرة.

(٢) إعلام الوري ص ٢٨٨.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٢١ - ٣٢٢ وانظر كشف الغمة ج ٣ ص ٩ والكالبي م ١ ص ٣٠٨ والإرشاد ص ٢٧٠ وإعلام الوري ص ٢٨٨ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٨٤.

منهم بدلٌ من الأبدال يعجز الدهرُ أن يأتي بمثله في المئة والتمثي سنة .
وقد قال الإربلي أيضاً: «نصَّ عليه أبوه، الإمام جعفر الصادق عليه السلام،
ونقل ذلك شيوخُ أصحابه»^(١). ثم ذكر أكثرَ من سُمَّاهم ابن شهر آشوب .
ثم قال العلامة القندوزي: «قال جعفر الصادق رضي الله عنه: هؤلاء
أولادي، وهذا سيدهم، وأشار إلى ابنه الكاظم، وقال أيضاً: هو بابٌ من
أبواب الله تعالى، يُخرج الله تبارك وتعالى منه غوثَ هذه الأمة، ونورَ
الملة، وخيرَ مَولودٍ، وخيرَ ناشيء»^(٢).



وهذه بعضُ روايات النص على إماميته، ننقلها كما خرجت من أفواه
رُواتها.

قال يعقوب السراج: «دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام، وهو واقفٌ
على رأس أبي الحسن موسى في المهد، فجعل يساره طويلاً .
فجلستُ حتى فرغ، فقمْتُ إليه فقال: أدنُ إلى مولاك فسلم عليه .
فسلمت عليه فردَّ عليَّ السلام بلسانٍ فصيح، ثم قال لي: إذهب فغيِّر
اسمَ بنتك التي سمَّيتها أمس، فإنه اسمٌ يبغضه الله تعالى وكانت وُلدت لي
بنتاً فسَمَّيتها بفلانة .

فقال أبو عبد الله: انته إلى أمره ترشد .

فغيَّرتُ اسمها»^(٣).

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٩ وأكثر مصادر الرقم السابق .

(٢) ينابيع المودة ج ٣ ص ٣٢ .

(٣) الكافي م ١ ص ٣٠٧ وكشف الغمة ج ٣ ص ١٥ والإرشاد ص ٢٧١ ومناقب آل أبي طالب
ص ٢٨٧ - ٢٨٨ وإعلام الوري ص ٢٣٠ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٩٠ .

ونحن آمنًا بطفل يتكلم في المهد... ولكن، قل لي: كيف عرف أن صاحب أبيه رزق بنتاً، ومن دله على اسمها، ومن عرفه بغض الله سبحانه لذلك الاسم؟

هذه إمارات إمامته السماوية؛ وقد ألهمه الله تعالى إياها، ليقتنع صاحب أبيه بكونه خلف أبيه فعلاً.



وقال منصور بن حازم: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا أبا أنت وأمي، إن النفس يغدي عليها ويراح - أي أنها معرضة للموت - فإذا كان ذلك فمن؟»

فقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا كان ذلك فهو صاحبكم وضرب على منكب أبي الحسن الأيمن، وهو فيما أعلم يومئذ خماسي، وعبد الله بن جعفر جالسٌ معنا^(١).

وهذا النص عليه كان في سنن الطفولة أيضاً.

ومثله ما رواه إبراهيم الكرخي الذي قال: «دخلتُ على أبي عبد الله، جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وجلستُ عنده إذ دخل أبو الحسن، موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، وهو غلام، فقمْتُ إليه فقبلته وجلستُ.

فقال لي أبو عبد الله: يا إبراهيم، أما إنه صاحبك من بعدي. أما ليهلكن به قومٌ ويسعدنَّ آخرون؟ فلعن الله قاتله، وضاعف اللعن على روحه والعذاب^(٢).

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ١٠ والكافي م ١ ص ٣٠٩ والإرشاد ص ٢٧١ وإعلام الوري ص ٢٨٨ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٨٩.

(٢) وفاة الإمام موسى الكاظم ص ٦.

وهذا اللعن لقاتله نُجِيره لخليفة الزمان الذي سترى شهادته بإمامة الكاظم، وستسمع تزكيتته له أمام أبنائه.



وكذلك روى صفوان الجمال في حديثٍ حصل إبان طفولته صلواتُ الله عليه، فقال: «سألتُ أبا عبد الله عليه السلام: مَنْ صاحبُ هذا الأمر؟» فقال: صاحب هذا الأمر لا يلهو ولا يلعب.

فأقبل أبو الحسن موسى عليه السلام وهو صغيرٌ ومعه عناقٌ مكئية^(١) وهو يقول: اسجدي لربك.

فأخذه أبو عبد الله عليه السلام، وضمه إليه، وقال: بابي وأمي مَنْ لا يلهو ولا يلعب^(٢).

وما أطف هذه الكناية الرشيدة، والإشارة الحميدة إلى طفلٍ لا يلهو ولا يلعب، لأنه ما خلق للعبث، بل هو معدٌ للأمر الكبير. ولكن قل لي بربك مَنْ أطلع أباه أن ابنه سيدخل في تلك اللحظات، ومعه عناقٌ يقول لها اسجدي لربك! هؤلاء قومٌ قد آتاهم الله سبحانه ما لم يؤتِ أحداً غيرهم، لأنهم صفة خلقه وخيرتهم.



واسحاق بن جعفر الصادق عليه السلام - أخو إمامنا الكاظم عليه السلام - حدث بنصٍّ على إمامة أخيه في الصغر أيضاً وقال:

«كنت عند أبي يوماً فسأله عليُّ بنُ عمر بن عليٍّ فقال: جعلت فداك، إلى من نفرع وينفرع الناس بعدك؟»

(١) العناق: هي الأنثى من صغار الممزر قبل استكمالها التحول.

(٢) الكافي م ١ ص ٣١١ (وكشف الغمة ج ٣ ص ١١ والإرشاد ص ٢٧١ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٧-٣١٨ وإعلام البورى ص ٢٨٩ و٢٩١ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٩١).

فقال: إلى صاحب الثوبين الأصفرين والغديرتين، وهو الطالع عليك من الباب.

فما لبثنا أن طلعت علينا كفان آخذتين بالباينين حين انفتحا. ودخل علينا أبو إبراهيم، موسى بن جعفر عليه السلام، وهو صبيٌ وعليه ثوبان أصفران^(١).

ففي هؤلاء الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم، سرٌّ من أسرار الله تعالى لا ينكشف للآخرين. فلو فرضنا أن الإمام الصادق عليه السلام كان على موعدٍ مع صاحبه ذلك، وعلى اتفاقٍ معه على السؤال عن الخلف من بعده. وأنه أعدُّ له الجواب، وهياً ابنه فالبسه الثوبين الأصفرين، وعقد له الغديرتين، أقول لو فرضنا ذلك لكان يمكن أن يقع خللٌ في بعض هذه الوقائع، كأن يبدلَ الولد ملبسته، أو يحلَّ غديرتيه، أو أن يتلهى بشيءٍ ويمتنع عن الدخول في اللحظة المطلوبة على الأقل.

فمن فكر بأمرهم بعين بصيرته اهتدى إلى المعجز الإلهي الذي اختصهم به، وتولأهم كائمه حقٌ وصدقٍ بعد أن يرى لهم هذا الشأن الخاص الذي يختلف عن شؤون البشر العاديين، إذ من المستحيل أن تُفسر أفعالهم ببساطة، ففي جوهرها ينطوي سرٌّ سماويٌّ لا يقع تحت حسُّ البشر وفلسفتهم للأشياء.



(١) كشف الغمة ج ٣ ص ١١ والإرشاد ص ٢٧١ والأنوار البهية ص ١٠٤ وهو في الكافي ج ١ ص ٣٠٨ باختلاف يسير في اللفظ. وهو أيضاً في إعلام الوري ص ٢٩٠ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٨٩.

وكذلك أخوه الثقة الجليل، علي بن جعفر الصادق عليه السلام، فإنه نقل نص أبيه علي أخيه وقال:

«سمعتُ أبي جعفر بن محمد يقول لجماعة من خاصته وأصحابه: استوصوا بابني موسى خيراً فإنه أفضل ولدي، ومن أخلفه بعدي، وهو القائم مقامي، والحجة لله عز وجل على كافة خلقه من بعدي»^(١).

«وكان علي بن جعفر شديد التمسك بأخيه موسى الكاظم عليه السلام والانقطاع إليه، والتوفّر على أخذ معالم الدين عنه»^(٢).

ومن أجلاء رواة النص عليه أيضاً سليمان بن خالد الذي قال:

«دعا أبو عبد الله عليه السلام أبا الحسن يوماً ونحن عنده، فقال لنا: عليكم بهذا بعدي، فهو والله صاحبكم بعدي»^(٣).

ومثله الفضل بن عمر الجعفي الذي قال:

«كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، إذ دخل أبو إبراهيم، موسى بن جعفر عليه السلام وهو غلام، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

استوصر به، وضع أمره عند من تثق به من أصحابك»^(٤).

وعنه أيضاً قوله: «ذكر أبو عبد الله أبا الحسن عليه السلام، وهو يومئذ غلام، فقال: هذا المولود الذي لم يولد فينا مولوداً أعظم بركة على شيعتنا

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ١١ والإرشاد ص ٢٧٢.

(٢) الإرشاد ص ٢٧١ وكشف الغمة ج ٣ ص ١٢.

(٣) الكافي م ١ ص ٣١٠ وكشف الغمة ج ٣ ص ١١ والإرشاد ص ٢٣٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٨٧ - ١٨٨ وإعلام الوري ص ٢٩٠ وحلية الأبرار ج ٤ ص ٢٩٠.

(٤) الكافي م ١ ص ٣٠٨ وكشف الغمة ج ٣ ص ٩ والإرشاد ص ٢٧٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٢١ وإعلام الوري ص ٢٨٨ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٨٩.

منه . ثم قال لي : لا تجفوا إسماعيل^(١) .

وروي عن فيض بن المختار أنه قال : «قلت لأبي عبد الله عليه السلام : خذ بيدي من النار . من لنا بعدك ؟ فدخل أبو إبراهيم ، وهو يومئذ غلام ، فقال : هذا صاحبكم فتمسكوا به»^(٢) .

وكذلك ورد عن الفيض بن المختار نفسه قوله : «إني لعند أبي عبد الله عليه السلام ، إذ أقبل أبو الحسن ، موسى عليه السلام - وهو غلام - فالتزمه وقبله ، وقال أبو عبد الله عليه السلام : أنتم السفينة وهذا ملاحها .

قال فيض : فحججت من قابل ومعني ألفا دينار ، فبعثت بألف دينار إلى أبي عبد الله عليه السلام ، وألف إليه . فلما دخلت على أبي عبد الله عليه السلام قال : يا فيض ، عدلته بي ؟ .



قلت : إنما فعلت ذلك لقولك . فقال : أما والله ما أنا فعلت ذلك ، بل الله عز وجل فعله»^(٣) .

فالإمام عليه السلام لم يستغرب صلة فيض بن المختار لابنه الكاظم عليه السلام ، ولكنه سأله كيف عدله به ، ليقسم هذه اليمين القاطعة بأنه لم ينصبه إماماً إلا بأمر ربه .

وعن فيض أيضاً في حديث طويل : « . . . قال أبو عبد الله عليه السلام : هو صاحبكم الذي سألت عنه ، فقم إليه وأقر بحقه . فقامت حتى قبلت رأسه ويده ، ودعوت الله له .

(١) الكافي م ١ ص ٣٠٩ و ص ٣١١ .

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ١٠ وهو في الكافي ج ١ ص ٣٠٩ في خبر طويل ، وانظر الإرشاد ص ٢٧٠

وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٨٨ وإعلام الوري ص ٢٨٨ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٢١ .

(٣) الكافي م ١ ص ٣٠٩ و ص ٣١١ .

قال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنه لم يؤذن لنا بذلك . - وهذا دليل على كون الإمام الكاظم كان لا يزال طفلاً .

فقلت: جعلت فداك . فأخبر به أحداً؟ .

قال: نعم، أهلك وولدتك، ورفقاءك .

وكان معي أهلي وولدي، وكان معي من رفقائي يونس بن ظبيان . فلما أخبرته حمد الله تعالى وقال: لا والله حتى أسمع منه ذلك . وكانت به عجلة، فخرج فاتبعته . فلما انتهيت إلى الباب سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول له - وكان سبقني - : يا يونس، الأمر كما قال لك فيض .

فقال: سمعت وأطعت .

فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: خذني إليك يا فيض ^(١) .

قال معاذ بن كثير: قلت: أسأل الله الذي رزق أباك منك هذه المنزلة، أن يرزقك من حبيبك قبل الممات مثلها .

قال: قد فعل الله ذلك .

قلت: من هو، جعلت فداك؟ .

فأشار إلى العبد الصالح وهو راقد، فقال: هذا الراقد، وهو يومئذ غلام ^(٢) .

وقال عبد الرحمان بن الحججاج: دخلت على جعفر بن محمد عليه السلام

(١) إعلام الوري ص ٢٨٩ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٩٠ .

(٢) الإرشاد ص ٢٧٠ والكناني م ١ ص ٣١٩ وهو في إعلام الوري ص ٢٨٩ بلفظ آخر، وانظره في حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ و ص ٢٩١ .

في منزله، فإذا هو في بيت كذا من داره، في مسجد له وهو يدعو وعلى يمينه موسى بن جعفر يؤمن على دعائه. فقلت له: جعلت فداك، قد عرفت انقطاعي إليك وخدمتي لك، فمن ولي الأمر بعدك؟

قال: يا عبد الرحمان، إن موسى قد لبس الدرع واستوت عليه.

فقلت له: لا أحتاج بعد هذا إلى شيء^(١).

وعن يزيد بن أسباط أنه قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في مرضته التي مات فيها فقال:

يا يزيد، أترى هذا الصبي؟ إذا رأيت الناس قد اختلفوا فيه فاشهد علي أنني أخبرتك أن يوسف إنما كان ذنبه عند إخوته حتى طرحوه في الجُب، الحسد له حين أخبرهم أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر وهم له ساجدون. وكذلك لا بد لهذا الغلام من أن يُحسد.

ثم دعا موسى، وعبد الله، وإسحاق، ومحمداً، والعباس، وقال لهم: هذا وصي الأوصياء، وعالم علم العلماء، وشهيد على الأموات والأحياء.

ثم قال: يا يزيد ﴿سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيَسْأَلُونَ﴾^(٢).

وأخيراً.. الحق ما شهدت به الأعداء.

فقد روى المأمون، عن أبيه الرشيد أنه قال لبني في حق موسى الكاظم: هذا إمام الناس، وحجة الله على خلقه، وخليفته على عبادته.

(١) الكافي ١م ص ٣٠٨ وكشف الغمة ج ٣ ص ١٠ والإرشاد ص ٢٧٠ وإعلام النوري ص ٢٨٨ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٨٨.

(٢) الآية الكريمة في الزخرف: ١٩ والخبر في مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٢١.

أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر؛ وإنه والله لأحق بمقام
رسول الله ﷺ مني ومن الخلق جميعاً. والله لو نازعني في هذا الأمر
لأخذت بالذي فيه عيناه، فإن الملك عقيم!

وقال الرشيد: يا بني، هذا وارث علم النبيين؛ هذا موسى بن جعفر،
إن أردت العلم الصحيح تجده عنده.

قال المأمون: من حيثذا انغرس في قلبي حبه^(١).

وكم وكم كان غارس هذا الحب في قلبك يا مأمون، غير مأمون علي
من هو أحق منك ومنه بمقام رسول الله ﷺ! فإنه بعد أن عرفكم منزلته،
أخذه فاعتقله، وقبده بالحديد في موسم الحج والطاعة، ثم حبسه سنواتٍ
وسنواتٍ، وعذبه، وسمه فقتله بسبيل الملك العقيم، وبلا ذنب!

فما أعقم تفكير هذا القارون غير الرشيد، حين باع آخرته بالدنيا
الزائلة!

ثم ما أقبح ما أخذت عنه يا مأمون، فكنت غير مأمون علي عباد الله،
فنكلت بأبناء رسول الله أكثر مما نكل، .. فكنت، وكان، من السفاحين
وسفاكي دماء الأوصياء والأولياء!

وروى - كذلك - عيسى بن عبد الله، بن محمد، بن عمر، بن
علي، بن أبي طالب عليه السلام، عن أبي عبد الله عليه السلام قائلاً:
«قلت له: إن كان كون، ولا أراني الله ذلك، فبمن أأتم؟»
فأوما إلى ابنه موسى.

(١) بنابيع المودة ج ٣ ص ٣٢ - ٣٣.

قلت : فإن حدث بموسى حدث فبمن أتم؟ .

قال : بولده .

قلت : فإن حدث بولده حدث، وترك أخاً كبيراً، وابناً صغيراً؟

قال : بولده، ثم هكذا أبدأ^(١) . أي أن الإمامة من الأب إلى الابن،

ولا تكون من أخٍ لأخيه سوى الحسن والحسين عليهما السلام .

وقد ورد هذا الخبر مع الزيادة التالية :

«قلت : فإن لم أعرفه، ولا أعرف موضعه؟ .

قال : تقول : اللهم إني أتولى من بقي من حُججك من وُلد الإمام

الماضي، فإن ذلك يُجزيك إن شاء الله»^(٢) .

وقال يزيد بن سليط : «لقيتُ أبا إبراهيم عليه السلام، ونحن نُريد العُمره،

في بعض الطريق، فقلت : جعلت فداك، هل تُثبت هذا الموضع؟ - أي هل

تذكره وتعرفه؟ -

قال : نعم . فهل تُثبته أنت؟ .

قلت : نعم، أنا وأبي لقيناك ها هنا وأنت مع أبي عبد الله عليه السلام، ومعه

إخوتك . فقال له أبي : بأبي أنت وأمي، أنتم كلُّكم أئمة مطهرون، والموتُ

لا يعرى منه أحد . فأحدث إليَّ شيئاً أحدث به من يخلُفني من بعدي فلا

يضل .

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ١٠ والإرشاد ص ٢٧١ والكافي م ١ ص ٣٠٩ وفيه الزيادة، وكذلك هو في

إعلام الوري ص ٢٨٨ - ٢٨٩ وفي حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٨٩ .

(٢) المصدر السابق .

قال: نعم، يا أبا عبد الله، هؤلاء، وُلدي، وهذا سيّدُهم، وأشار إليك، وقد علّم الحُكْم والفهم، والسخاء، والمعرفة ممّا يحتاج إليه الناس، وما اختلفوا فيه من أمر دينهم ودنياهم. وفيه حُسن الخُلق، وحُسن الجواب، وهو بابٌ من أبواب الله عزّ وجلّ^(١).



وكذلك قال أبو جرير القمي: «قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلتُ فداك، قد عرفت انقطاعي إلى أبيك ثم إليك، ثم قلتُ له: وحقّ رسول الله ﷺ، وحقّ فلانٍ وفلانٍ، حتى انتهيتُ إليه، بأنّه لا يخرج مني ما يُخبرني به إلى أحدٍ من الناس، وسألتُه عن أبيه أحيّ هو أو ميّت؟»

فقال: قد والله مات.

فقلت: جعلتُ فداك، إن شيعتك يروون أن فيه سنة أربعة أنبياء؟

قال: قد، والله الذي لا إله إلا هو، هلك.

قلت: هلاك غيبة، أو هلاك موت؟

قال: هلاك موت.

فقلت: لعلك مني في تقيّة؟

فقال: سبحان الله!

قلت: فأوصى إليك؟

قال: نعم.

قلت: وأشركَ معك فيها أحد؟

(١) حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٩٢ ووفاء الإمام موسى الكاظم ص ٣ - ٤.

قال: لا.

قلت: فعليك من إخوتك إمام؟

قال: لا.

قلت: فأنت الإمام؟

قال: نعم^(١).



وفي هذا كفاية تغني عن كثرة الكلام في النص على إمامته صلوات الله
وسلامه عليه كلما لاح صباح.



مركز بحوث وتطوير علوم إلكترونية

(١) الكافي م ١ ص ٣٨٠.

عبادته... وكرمه..

قال الشيخ المفيد رحمه الله : «كان أبو الحسن، موسى عليه السلام، أعبداً أهل زمانه، وأفقههم، وأسماهم كفاً، وأكرمهم نفساً.

وروي أنه كان يصلي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح، ثم يعقب حتى تطلع الشمس، ويختر لله ساجداً، فلا يرفع رأسه من الدعاء والتحميد حتى يقرب زوال الشمس - ظهراً - وكان يدعو كثيراً، ويقول: اللهم إني أسألك الراحة بعد الموت، والعفو عند الحساب، ويكثر ذلك.

وكان من دعائه عليه السلام: عظم الذنب من عبدك، فليحسن العفو من عندك.

وكان يبكي من خشية الله حتى تخصل لحيته بالدموع - أي تبتل -.

وكان أوصل الناس لأهله ورحمه.

وكان يتفقد فقراء المدينة في الليل، فيحمل إليهم الزنبيل: فيه العين

- أي مواد الغذاء والألبسة - والورق - يعني النقود - والدقيق والتمر، فيوصل إليهم ذلك ولا يعلمون من أي جهة هو^(١).

(١) الإرشاد ص ٢٧٧- ٢٧٨ والمحنة البيضاء ج ٤ ص ٢٦٧ وكشف الغمة ج ٣ ص ١٨ والأنوار =

وقال كليله أيضاً: وقد روى الناس عن أبي الحسن، موسى عليه السلام، فأكثروا. وكان أفضل أهل زمانه، وأحفظهم لكتاب الله، وأحسنهم صوتاً بالقرآن؛ وكان إذا قرأ يحزن، ويبكي، ويبكي السامعون لتلاوته. وكان الناس بالمدينة يسمونه زين المتعجدين، وسمي بالكاظم لما كظمه من الغيظ وصبر عليه من فعل الظالمين به، حتى مضى قتيلاً في حبسهم ووثاقهم^(١).

●
ووصفه حفص في حديث طويل قال في آخره:

«فما رأيت أحداً أشدَّ خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر، ولا أرجى للناس منه؛ وكانت قراءته حزناً، فإذا قرأ فكأنه يخاطب إنساناً»^(٢).

وقد كان عليه السلام حسن الصوت، وحسن القراءة. قال يوماً من الأيام: إن علي بن الحسين عليه السلام، كان يقرأ القرآن، فربما مرَّ المارُّ فصعق من حسن صوته! وإن الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لَمَا احتمله الناس.

وقيل له: ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بالناس ويرفع صوته بالقرآن؟

فقال: إن رسول الله كان يُحمَل من خلفه ما يطيقون^(٣).

●
«وقال بعض عبيونه - من الذين كانوا يراقبونه في السجون -: كنت

البيهة ص ١٦٢ وفي بنابيع المودة ج ٣ ص ٣٢ ذكر طول سجوده، وكثرة عبادته، وهو في حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٥٣.

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٠ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٦٨ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢١٥ وص ٣٢٣ والأنوار البيهية ص ٢٦٠ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

(٢) حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٧٧.

(٣) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٥٩.

أسمعه كثيراً يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ أَسْأَلُكَ أَنْ تَفْرُغَنِي لِعِبَادَتِكَ، اللَّهُمَّ وَقَدْ فَعَلْتُ، فَلكَ الْحَمْدُ»^(١).

وإمامنا - وكلُّ إمام من سلفه وخلفه عليه السلام جميعاً - معصومٌ عن الذنوب قطعاً، وبعيدٌ عن ارتكاب المعاصي صغيرها وكبيرها، ولا يفعل خلافَ الأولى والأحسن، ولكنه قيل: إنَّ حسناتِ الأبرار سيئاتُ المقربين، فهو يعتبر أن تركه للأولى والمستحبِّ ذنباً عظيماً في جنب عظمة الله عزَّ وجلَّ؛ وهذا الذي كان يصدر عنه وعن الأئمة عليهم السلام من التواضع في الدعاء والتدلل في الاستغفار، والخوف من العقاب، إنَّ هو إلاَّ تعليمٌ لنا، وتأديبٌ بأدب الخضوع والخشوع بين يدي الخالق العظيم عزَّ وعلا.

وقد روي أنه دخل مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وآله، فسجدَ سجدةً في أول الليل فسمع وهو يقول: عَظُمَ الذَّنْبُ مِنْ عِنْدِكَ، فَلْيَحْسُنِ الْعَفْوُ مِنْ عِنْدِكَ، يَا أَهْلَ التَّقْوَى، وَيَا أَهْلَ الْمَغْفِرَةِ... فجعل يرددها حتى أصبح^(٢).

وقال بعض أصحابنا: «كان أبو الحسن عليه السلام إذا رفع رأسه من آخر ركعة الوتر قال: هَذَا مَقَامٌ مِنْ حَسَنَاتِهِ نِعْمَةٌ مِنْكَ، وَشُكْرُهُ ضَعِيفٌ، وَذَنْبُهُ عَظِيمٌ، وَلَيْسَ لِدَلِّكَ إِلَّا رِفْقُكَ وَرَحْمَتُكَ، فَإِنَّكَ قُلْتَ فِي كِتَابِكَ الْمُنزَلِ عَلَى نَبِيِّكَ الْمُرْسَلِ: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ النَّبِيِّينَ مَا يَهْتَمُّونَ ﴿١٧﴾ وَيَا لَأَشْحَابٍ لَمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾»^(٣) طَالَ هُجُوعِي، وَقَلَّ قِيَامِي، وَهَذَا السُّحْرُ وَأَنَا أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي اسْتَغْفَارَ مَنْ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا... ثم يخرُّ ساجداً صلواتُ الله عليه^(٤).

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٨ والأنوار البهية ص ١٥٩ وإعلام الوري ص ٢٩٦.

(٢) الأنوار البهية ص ١٦٢.

(٣) سورة الداريات: ١٧ و ١٨.

(٤) حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٨١.

فهل ذلك الاستغفار كان من ذنب جنائه؟ .

لا، ولكنه يزيد في درجاته العليا في الآخرة، ويكون لنا مثلاً يحتذى في أدبنا التعبدي .

وروى محمد بن سليمان ما سمعه عن أبيه، فقال:

«خرجنا مع أبي الحسن، موسى بن جعفر عليه السلام إلى بعض أمواله - أي ممتلكاته - فقام إلى صلاة الظهر. فلما فرغ خرَّ لله ساجداً، فسمعه يقول بصوتٍ حزينٍ وتفرغ دموعه: عَصَيْتُكَ بِلسَانِي وَلَوْ شِئْتَ وَهَزَيْتُكَ لِأُخْرَسْتَنِي، وَعَصَيْتُكَ بِبَصَرِي وَلَوْ شِئْتَ وَهَزَيْتُكَ لِأَكْمَهْتَنِي - أي أعميتني - وَعَصَيْتُكَ بِسَمْعِي وَلَوْ شِئْتَ وَهَزَيْتُكَ لِأَصَمَمْتَنِي - أي جعلتني أصم، لا أسمع - وَعَصَيْتُكَ بِيَدَيَّ وَلَوْ شِئْتَ وَهَزَيْتُكَ لِكَتَعْتَنِي - أي لكسرت يدي، أو شللتها - وَعَصَيْتُكَ بِرِجْلَيَّ وَلَوْ شِئْتَ وَهَزَيْتُكَ لِجَدَمْتَنِي - أي ابتليتني بالجذام - وَعَصَيْتُكَ بِفَرْجِي وَلَوْ شِئْتَ وَهَزَيْتُكَ لِأَقْمَمْتَنِي - أي جعلتني عقيماً - وَعَصَيْتُكَ بِجَمِيعِ جَوَارِحِي الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ، وَلَيْسَ هَذَا جَزَاؤُكَ مِنِّي»^(١).

قال: ثم أحصيت له ألف مرة وهو يقول: العَفْوُ العَفْوَا ثم ألصق خدَّه الأيمن بالأرض فسمعه يقول بصوتٍ حزينٍ: بُوْتُ إِلَيْكَ بِذُنُوبِي، عَمِلْتُ سُوءاً وَقَلَّمْتُ نَفْسِي، فَاهْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُكَ يَا مَوْلَايَ - ثلاث مرَّات - . ثم ألصق خدَّه الأيسر بالأرض وهو يقول: إِرْحَمْ مَنْ أَسَاءَ وَاقْتَرَفَ، وَاسْتَكَانَ وَاهْتَرَفَ - ثلاث مرَّات - . ثم رفع رأسه»^(٢).

(١) إلى هنا في كشف الغمة ج ٣ ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) الحديث بكامله في حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

ومن مظاهر خُضوعه بين يدي الله تعالى نُورِدُ ما رواه محمد بن اسماعيل بن بزيع الذي قال :

«رأيتُ أبا الحسن عليه السلام ركعَ رُكوعاً أخفضَ من ركوع كلِّ مَنْ رأيتُه يركع، فكان إذا ركعَ جَنَحَ بيديه»^(١).

وهذا من زيادة الخُضوع لله عزَّتْ قُدرته. ثم قال الراوي نفسه :

«رأيتُ أبا الحسن عليه السلام إذا سجدَ يحركُ ثلاثَ أصابعٍ من أصابعه، واحدةً بعد واحدة، تحريكاً خفيفاً كأنه يعدُّ التسبيح، ثم رفع رأسه»^(٢).

ومما يظهر شِدَّةَ تواضعه وتدلُّه أمام خالقه ما رواه جعفر بن علي الذي قال :

«رأيتُ أبا الحسن عليه السلام، وقد سجدَ بعد الصلاة، فبسط ذراعيه على الأرض، وألصقَ جُوجوهَ - أي صدره - بالأرض في دعائه»^(٣).

فهو عبدٌ داخرٌ لله عزَّ وجلَّ، تصلُّه بالسَّماءِ تأملاتٌ، وتشدُّه إلى ربِّه لحظات لا سبيلَ لنا إلى تصوُّرها والتعبير عنها، لأنها من سِماتِ الأصفياء الذين تَفَنَّى ذواتهم إذا وقفوا بين يدي بارئهم وتصوروا قُدرته في خلواتٍ لهم، وتستعصي علينا الألفاظ والتعابير إذا شَبَّنا تقربها إلى الأذهان.

وقد رَوَى علي بن جعفر أن أخاه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، قال :

«أَلْتَبَتُّ أَنْ تُقَلِّبَ كَفَيْكَ فِي الدُّعَاءِ إِذَا دَعَوْتَ.

(١) حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٨١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

والإبتهاؤ أن تبسطهما، وتقدمهما.

والرغبة أن تستقبل براحتيك السماء، وتستقبل بهما وجهك.

والتضرع أن تحرك إصبعيك وتشير بهما.

وفي حديث آخر: البصبة أن ترفع سبابتيك إلى السماء وتحركما، وتدعو^(١).

- فهل يتيسر تحديد هذه المواقف من الخشوع لرب الأرباب، إلا لمن مارسها ودأب عليها، وأدرك الفروقات الدقيقة بينها؟

لا، وأيم الحق . . . ولقد قال هشام بن أحمد - أحمد - :

«كنت أسير مع أبي الحسن عليه السلام في بعض أطراف المدينة، إذ ثنى رجله من دابته فخر ساجداً، وأطال، وأطال! .

ثم رفع رأسه، وركب دابته؛ فقلت: جعلت فداك، قد أطلت السجوداً .

فقال: إني ذكرت نعمة أنعم الله بها علي، فأحببت أن أشكر ربي»^(٢).

﴿ . . . وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾^(٣) يا سيدي، كما قال ربك . . .

ولكنكم أنتم على رأس لائحة الشاكرين لأنعم الله تبارك وتعالى؛ ونحن نشكر الله سبحانه أن من علينا بتوليكم والائتمار بأمركم.

ولقد قيل عن هذا الإمام العظيم: «وكان عليه السلام يقول: إني أستغفر الله في كل يوم خمسة آلاف مرة»^(٤).

(١) معاني الأخبار ص ٣٧٠.

(٢) حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٥٣.

(٣) سورة سبأ: ١٣.

(٤) الأنوار البهية ص ١٦٢.

فنسأل المولى القدير أن يغفر لنا - بحقه - ما تقدم من ذنوبنا وما تأخر .



ولن ننسى أن ننقل للقارئ الكريم وصفه على لسان عدوه اللدود وعدو بني علي جميعاً، وهو المأمون العباسي الذي وصفه حين ذكر وروده على أبيه هارون الرشيد، فقال :

« رأيت موسى بن جعفر، دخل على أبي بالمدينة، إذ هو شيخٌ مُسَجَّد - أي له سجادة بين عينيه من أثر سجوده الطويل - قد أنهكته العبادة وكأنه شينٌ بال، قد كلّم السجود وجهه وأنفه - أي جرّحهما - »^(١) .

ثم روي عن الفضل بن الربيع الذي تولّى سجنه في بيته مدةً طويلةً، أنه قال :

« أرسلني الرشيد إلى موسى بن جعفر ~~عليه السلام~~ فقلت لغلامه : استأذن لي إلى مولاك يرحمك الله .

فقال لي : ليح - أي ادخل - ليس له حاجب ولا بواب .

فولجت إليه فإذا بغلام أسود بيده مقصّ، يأخذ اللحم من جبينه وعيون أنفه من كثرة سجوده»^(٢) .

فبئس هذا العابد الزاهد يخاصم يا مأمون؛ قلها لأبيك هارون، وقل لمن سبقه ومن لحقه : إذا وقفت بين يدي الله بماذا تُجيبون؟ .

هذا، وقد «روي أنه تُوفي - صلوات الله عليه - في حال سجوده لله تعالى»^(٣) .

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٢٣ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٥٣ والأنوار البهية ص ١٦٠ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الأنوار البهية ص ١٦٢ .

وكفى بذلك استكانةً وتواضعاً لله عز وجل .



وروى الصدوق، ورواه ابن بابويه في عيون الأخبار، أن الثوباني قال :
«إنه كانت لأبي الحسن، موسى بن جعفر - عليه السلام - بضع عشرة سنة
كل يوم سجدة بعد أبيضاض الشمس إلى نصف الزوال .
قال : فكان هارون ربما صعد سطحاً يُشرف منه على الحبس الذي
حبس فيه أبا الحسن - عليه السلام - فكان يرى أبا الحسن - عليه السلام - ساجداً، فقال
للربيع :

ما ذاك الثوب الذي أراه كل يوم في ذلك الموضع ؟ .

قال : يا أمير المؤمنين، ما ذاك بثوب، وإنما هو موسى بن جعفر، له
كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال .
فقال له هارون : أما إن هذا من رهبان بني هاشم ! .
قلت : فما بالك قد ضيقت عليه في الحبس !؟ .
قال : هيهات . . لا بُدَّ من ذلك»^(١) .

وأنا أقول لهذا الخليفة الظالم : ﴿ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴾^(٢)
من عذاب الله الأليم، بعد الوقوف بين يدي الحاكم العادل أمام
رسول الله ﷺ ! .
فإن هذا الخصم سيُرديك في النار خالداً مخلداً . .

(١) الأنوار البهية ص ١٦٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١١٨ رواه عن اليوناني، وهو في حلية
الأبرار ج ٢ ص ٢٢٠ ووفاة الإمام موسى الكاظم ص ٢٦ .
(٢) سورة المؤمنون : ٣٦ .

قد قلت: «لا بد من ذلك».. ويقول لك: لا بد لك من ندم
وحسرة... ولات ساعة مندم!

وأنت من خلفاء ما كان ينقصهم الفهم، ولا غاب عن علمهم أنهم
يفتكون، بآل الله ورسوله، الذين هم أبناء عموماتهم من جهة، وأعظم أهل
عصورهم عند الله تعالى من جهة ثانية..

فيا ويلكم! وانتظروا ﴿يَوْمًا يَجْمَلُ الْوَلَدَانَ شَيْبًا﴾^(١).

أما سجود الإمام عليه السلام، فقد كان مضرب المثل عند الخاص والعام،
حتى أن ذلك الخليفة التعيس سمّاه من رهبان بني هاشم، ومع ذلك رأى أنه
لا بد من التضييق عليه ليستقيم له الحكم بغير ما أنزل الله!

ورويت القصة السابقة عن علي بن إبراهيم عن اليقطيني، عن أحمد بن
عبد الله القزويني، عن أبيه، - هكذا - قال:

«دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح، فقال لي: أدن
مني».

فدنوت حتى حاذيته، ثم قال لي: أشرف إلى البيت في الدار.

فأشرفت، فقال: ما ترى في البيت؟

قلت: ثوباً مطروحاً.

فقال: أنظر حسناً.

فتأملت ونظرت، فتبينت، فقلت: رجل ساجد.

فقال لي: تعرفه؟

(١) سورة المزمل: ١٧.

قلت: لا.

قال: هذا مولاك.. تتجاهل علي؟

فقلت: ما أتجاهل، ولكني لا أعرف لي مولى.

فقال: هذا أبو الحسن، موسى بن جعفر - عليه السلام - إنني أتفقده في الليل والنهار، فلم أجده في وقت من الأوقات إلا على الحال التي أخبرك بها.

إنه يصلي الفجر، فيقف ساعة في دُبر صلاته إلى أن تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس. وقد وكل من يترصد له الزوال. فلست أدري متى يقول الغلام: قد زالت الشمس، إذ يثب فيبتدئ بالصلاة من غير أن يجدد وضوءه، فأعلم أنه لم يتم في سجوده ولا أغفى، فلا يزال كذلك حتى يفرغ من صلاة العصر. فإذا صلى العصر سجد سجدة فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس. فإذا غابت الشمس وثب من سجده فصلى المغرب من غير أن يحدث حدثاً، ولا يزال في صلاته وتعقبه إلى أن يصلي العتمة - أي صلاة العشاء - فإذا صلى العتمة أظطر على شوي يؤتى به، ثم يجدد الوضوء، ثم يسجد، ثم يرفع رأسه فينام نومة خفيفة، ثم يقوم فيجدد الوضوء، ثم يقوم فلا يزال يصلي في جوف الليل حتى يطلع الفجر. فلا أدري متى يقول الغلام: إن الفجر قد طلع، إذ قد وثب هو لصلاة الفجر.. فهذا دأبه منذ حوّل إليّ!

[وزاد في حلية الأبرار]:

فقلت له: اتق الله، ولا تحدث في أمره حدثاً يكون فيه زوال النعمة فقد تعلم أنه لم يفعل أحدٌ بأحدٍ منهم سوءاً، إلا كانت نعمته زائلة.

فقال: قد أرسلوا إليّ في غير مرة يأمروني بقتله، فلم أجبهم إلى ذلك،

وأعلمتهم أنني لا أفعل ذلك، ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني^(١).

وأمام هذه الصورة الشمسية يقف المرء متعجباً من جلد هذا السيد الكبير على التعبد ليل نهار، دون ملل ولا فتور، إلى جانب صيامه وقلة نومه وإخلاذه إلى الراحة.



أما كرمُ بني هاشم فهو مضربُ المثل حتى أيامنا هذه. وقد أطنب التاريخ في الحديث عن نداوة أكفهم، وذكر ما يكاد لا يصدقُه الإنسان. لقد كانوا يُعطون أكثر مما ينتظر منهم المؤمنون، ولا يُفضلون بذلك. ولياً على عدو، بل كان خيرهم مبدولاً لجميع أصحاب الحاجات بدون تمايز ولا تمييز.

وإمامنا الكاظم عليه السلام كان من أسخى أسخيائهم، فقد كان يُعطي كل محتاج ويعمُّ برُّه القاصي والداني، فتحدث بعطائه الناس وتعجبوا من عطائه وبذله. فمن المشهور عنه أنه كان يتفقد فقراء المدينة في كل ليلة كما ذكرنا، وكان يصل بالمائة دينار، وبالمائتي دينار، وبالثلاثمائة دينار، وكانت صيرارُ موسى مثلاً^(٢).

«وذكر أنه عليه السلام بعث إلى رجل يؤذيه صرة فيها ألف دينار»^(٣).

وقال عنه الشيخ عباس القمي رحمه الله :

-
- (١) الأنوار البهية ص ١٦١ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣١٨ وهو في حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٥٠ - ٢٥١ عن محمد بن عيسى اليقطيني، عن أحمد بن عبد الله القروي، عن أبيه، وهو في وفاة الإمام موسى الكاظم من ص ٢٦ إلى ص ٢٨.
- (٢) أنظر مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٨ والإرشاد ص ٢٧٨ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٦٨ وإعلام الوري ص ٢٨٦.
- (٣) ينبع المودة ج ٣ ص ٣٢.

«وكان كريماً، بهياً، فأعتق ألف مملوك»^(١).

ونحن في هذا الموضوع نورد للقارىء بعض الحوادث التي ذكرها المؤرخون مع بخلهم العجيب بذكر شيء يلفت النظر إلى أهل هذا البيت الكريم صلوات الله وسلامه عليهم، مضافاً إلى ضغوط السلاطين الظالمين الذين كانوا يهزون السوط لكل من يقول كلمة حق تعارض سلطتهم وجبروتهم.



في تفسير الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام، قال:

«وقد حضره - أي الكاظم عليه السلام - فقير مؤمن فسأله سد فاقته. فضحك عليه السلام في وجهه وقال: أسألك مسألة، فإن أصبتها أعطيتك عشرة أضعاف ما طلبت. وكان قد طلب منه مائة درهم يجعلها في بضاعة يتعيش بها.



مركز تحقيقات كويتيون علوم إسلامية

فقال الرجل: سل. فقال موسى - عليه السلام - لو جعل إليك التمني لنفسك في الدنيا، ماذا كنت تمنى؟

قال: كنت أتمنى أن أرزق الثقية في ديني، وقضاء حقوق إخواني.

قال - عليه السلام -: وما لك لم تسأل الولاية لنا أهل البيت؟

قال: ذلك قد أعطيت، وهذا لم أعطه. فانا أشكر على ما أعطيت، وأسأل ربي ما منعت.

فقال: أحسنت. أعطوه ألفي درهم. وقال: اصرفها في كذا وكذا

(١) الأنوار البهية ص ١٦٠.

- يعني العفص فإنه متاع بائر، وسيقبل بعدما أدبر. فانتظر به سنة، واختلف إلى دارنا، وخذ الأجر في كل يوم.

ففعل. فلما تمت له سنة إذ قد زاد في ثمن العفص للواحد خمسة عشر.

فباع ما كان اشترى بالفي درهم بثلاثين ألف درهم^(١).

وأنت يا قارئ العزيز ترى أن لطفه مع هذا السائل الفقير كان أجمل من عطائه وقضاء حاجته. بل إن اقتراحه عليه بأن يشتري العفص وينتظر به عاماً لأنه سيرتفع ثمنه ويقبل بعدما أدبر، فهو اقتراح عجيب إذا تأملت به ملياً. وإذا رأينا أن هذا الرجل الطامع بمائة درهم قد استفاد في سنة ثلاثين ألف درهم، مع الأجر الذي كان يأخذه من الإمام عليه السلام لقاء اختلافه إلى داره في كل يوم للقيام ببعض الخدمات، أقول: إذا رأينا ذلك لحق لنا أن نسأل: من أين أوتي الإمام هذا العلم بارتفاع ثمن العفص بعد بواره؟

وحدث عيسى بن محمد بن مغيث القرطبي، فقال:

«زرعت بطيخاً وقثاءً وقرعاً في موضع بالجوانية، على بشر يقال لها: أم عظام. فلما قرب الخير واستوى الزرع، بيّنتي الجراد وأتى على الزرع كله! وكنت عزمت على الزرع ثمن جملين ومائة وعشرين ديناراً.

فبينما أنا جالس إذ طلع موسى بن جعفر بن محمد، فسلم عليّ ثم قال: أيش حالك؟ - مخفف: أي شيء حالك؟ -

قلت: أصبحت كالصرير. بيّنتي الجراد وأكل زرعِي.

(١) الأنوار البهية ص ١٦٠ وحلية الأبرار ج ١ ص ١٥٩.

قال : كم عزمت .

قلت : مائة وعشرين ديناراً مع ثمن جملين .

فقال : يا عرفة ، إن لأبي الغيث مائة وخمسين ديناراً . فربحك ثلاثون ديناراً والجملان .

فقلت : يا مبارك ، ادع لي فيها بالبركة .

فدخل فدعا لي ، وحدثني أن رسول الله ﷺ قال : تمسكوا ببقاء المصائب . - أي تمسكوا بالله عند بقاء المصائب . -

ثم علقث عليه الجملين ، وسقيته - أي الزرع - وجعل الله فيه البركة ، وزكث فبعث منها بعشرة آلاف^(١) .

وهكذا فإنه عليه السلام ، دخل على هذا الرجل بعد أن أكل الجراد ورق زرع وأغصانه ، فوجده حزينا لما حل بزراعته . ولكنه سرعان ما أعطاه وطيب خاطره ، وأمره بإعادة سقاية الزرع ، ووعده بعودة نجاح زراعته من جديد ، ووعده بالربح أيضاً ، وقدر له ذلك بحزم .

وحين طلب منه الرجل أن يدعو له بالبركة في زراعته ، فعل فزكث غلتها ، وحصل منها على ربح وفير بعد أن كان يائساً من أن يجني منها درهماً واحداً .

وعن الشريف أبي محمد ، الحسن بن محمد ، عن جده ، عن غير واحد من أصحابه قال :

«إن رجلاً من وُلد عمر بن الخطاب ، كان في المدينة يؤذي أبا الحسن ، موسى عليه السلام ، ويسبه إزاره ، ويشتم علياً عليه السلام .

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٧ - ٨ .

فقال له أصحابه : دَعْنَا نقتل هذا الفاجر .
فنهاهم عن ذلك ، وزجرهم أشدَّ الزجر .
وسأل عن العُمري ، فقبل بأنَّه خرج إلى زرعٍ له .
فخرج إليه ، ودخل المزرعةَ بحماره . فصرخ العُمري : لا توطيء
زُرْعَنَا .

فتوطأه أبو الحسن عليه السلام بالحمار حتى وصل إليه . فنزل وجلس
عنده ، وبأسطه وضاحكه وقال : كم عزمت على زرعك هذا؟ .
فقال : مائتي دينار .

قال : فكم ترجو أن يحصلَ منه؟ .

قال : لستُ أعلمُ الغيب .

قال : إنما قلتُ كم ترجو أن يجيئك فيه؟ .

قال : أرتجي فيه مائتي دينارٍ كقطير طوبى لسوي

فأخرج له أبو الحسن صرةً فيها ثلاثمائة دينار ، وقال : هذا زرْعُك على
حاله ، والله يرزُقك ما ترجو .

فقام العُمري فقبل رأسه ، وسأله أن يصفح عن فارطه - أي ما سبق من
السوء - .

فتبسّم إليه أبو الحسن وانصرف . .

وراح إلى المسجد فرأى العُمريّ جالساً . فلما نظر إليه قال : الله أعلمُ
حيث يجعل رسالته .

فوثب إليه أصحابه فقالوا : ما قصتُك؟ . قد كنتَ تقول غير هذا! .

فقال لهم : قد سمعتم ما قلتُ الآن ، وجعل يدعوا لأبي
الحسن عليه السلام ، فخاصّموه وخاصّمهم .

فلما رجع أبو الحسن عليه السلام إلى داره قال لأصحابه الذين أشاروا بقتل
العُمري: كيف رأيتم؟ ١٩. أصلحتُ أمره وكُفيتُ شرّه»^(١).

فهذا هو ذيدنُ أهل بيت الوحي صلواتُ الله عليهم مع القالي
والموالي. فلم يتصنَّعوا في تصرفٍ، ولا داروا، ولا راءوا، ولا ماروا، ولا
فعلوا شيئاً إلا في ضمن وظيقتهم الإلهية التي كانوا بموجبها أفضلَ الناس
وأكملهم. فإنَّ إمامنا عليه السلام لم يُبادل العُمري شتماً بشتماً، ولا سُبَاباً بسُبَابٍ،
بل أعطاه من لطفه وكرمه ما محَى به الضغينة من قلبه، وجعله يعدلُ عما كان
عليه من التعدي، وأصبح حسن الحال وامتنع عن أذية الإمام بعد أن فهم
حقيقة ما هو عليه من اللطف والعفو.



قال محمد بن عبد الله البكري: «قدمت المدينة أطلب ذيناً فأعياني.
فقلت: لو ذهبتُ إلى أبي الحسن، موسى عليه السلام، فشكوتُ إليه.

فاتيتُهُ بِنَقْمَى - موضع في ضاحية المدينة كان يملكه آل أبي طالب - في
ضبيعتِه.

فخرج إليّ ومعه غلامٌ، ومعه نسفٌ - غربالٌ - فيه قديدٌ مجزَّعٌ - أي
لحمٌ مقطَّعٌ مجفَّفٌ - ليس معه غيره. فأكلتُ وأكلتُ معه، وسألني عن
حاجتي، فذكرتُ له قصتي.

فدخلَ ولم يُقم إلا يسيراً حتى خرج إليّ وقال لغلامه: اذهب. ثم مدَّ

(١) الإرشاد ص ٢٧٨ وكشف الغمة ج ٣ ص ١٨ - ١٩ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ وهو
في مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٩ باختلاف يسير في اللفظ، وهو كذلك في إلهام الوري
ص ٢٩٦ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

يدّه إلى فذفع إلى صرة فيها ثلاثمائة دينار، ثم قام فولى، فقمّت فركبت دابّتي وانصرفت^(١).

فصلواتُ الله عليك يا سيّدي ما أندى كُفك، وما أسعد من كان يتشرف برؤيتك، ويوفقه الله تعالى لخدمتك ا.

ويلاحظ أنه لم يُخجل الرجل، ولم يُعطه الصرة أمام الغلام، بل أمره بالخروج قبل أن يناولها، خُلقاً منه وحُسن تصرف.

وعن معتب، قال: «كان أبو الحسن، موسى عليه السلام، بالحائط، يصرم النخل - فنظرتُ إلى غلام له قد أخذ كارة من تمر - أي صرة - فرمى بها وراء الحائط. فأتيتُه، فأخذته وذهبتُ به إليه فقلت له:

جُعلتُ فداك، إني وجدت هذا وهذه الكارة.

فقال للغلام: فلان ا. مركز تحقيقات كويتية لعلوم إسلامية
قال: ليّيك.

قال: أتجوع ا.

قال: لا، يا سيّدي.

قال: فتعري؟

قال: لا، يا سيّدي.

قال: فلاي شيء أخذت هذه ا؟

قال: اشتهيتُ ذلك.

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ١٨ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٦٧ والإرشاد ص ٢٧٧ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٦٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٨ باختصار.

قال: إذْهَبْ فِيهِ لَكَ . . . وقال: خَلُّوا عَنْهُ^(١).

ومن المؤكَّد أنه لا يُنتظر لهذا الغلام إلا الإكرام، إذ لا يجري على يد
كاظم الغيظ إلا الإحسان لمن أساء إليه.



وعن بعض أصحابنا، قال: «أولم أبو الحسن، موسى عليه السلام وليمةً
على بعض ولده، فأطعم أهل المدينة ثلاثة أيام الفالودجات في الجفان في
المساجد والأزقة. فعاتبه بذلك بعض أهل المدينة، فبلغه عليه السلام ذلك
فقال:

ما أتى الله تعالى نبياً من أنبيائه شيئاً إلا وقد أتى محمداً صلى الله عليه وآله مثله
وزاده ما لم يؤتهم. قال لسليمان عليه السلام: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴾^(٢) وقال لمحمد صلى الله عليه وآله: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ
عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^(٣).

مرآتية كميتر علوم رسولي

طاش سهمك أيها العائب لأبناء رسول الله فهم لا يُعابون على بذل،
ولا يلامون على كرم، بل إن أعمالهم الحُلُقِيَّة مثل يُحتذى عند أولي النهى؛
ولقد طهرهم ربُّ الأرباب في أظهر كتاب، ومن عابهم في قولٍ أو فعلٍ فقد
دلَّ على جهله وغبائه وسوء اعتقاده بمحمد صلى الله عليه وآله وبأهل بيته الذين هم عيبة
العلم وأولى الناس بمعرفة ما يجوز وما لا يجوز.



(١) حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٧٦.

(٢) سورة ص: ٣٩ والخبر في المحجة البيضاء ج ٤ ص ٤٣ وص ٩٥ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٨٢ -
٢٨٣.

(٣) سورة الحشر: ٧.

ويُحكى أن المنصور تقدّم إلى موسى بن جعفر في الجلوس للتهنئة في يوم النيروز وقبض ما يحمل إليه .

فقال عليه السلام: إني قد فتشت الأخبار عن جدّي رسول الله ﷺ، فلم أجد لهذا العيد خبراً، وإنه سنة للفرس ومحاها الإسلام.

فقال المنصور: إنما نفعل هذا سياسة للجند، فسألتك بالله العظيم ألا تجلس .

فجلس ودخلت عليه الملوك والأمراء والأجناد يهتونه ويحملون إليه الهدايا والتحف، وعلى رأسه خادم المنصور يُحصي ما يُحمل . فدخل في آخر الناس شيخ كبير السن فقال له: يا بن رسول الله، إني رجل صعلوك - أي فقير - لا مال لي، أتحنف بثلاثة أبيات قالها جدّي في جدك الحسين بن علي عليه السلام:

عجبت لمصقولٍ علاك فرئتة كبرية يوم الهياج، وقد علاك غبار^(١)
ولأسهم نقدتكَ دون حرائرٍ يدعون جدك، والدموع غزار^(٢)
الأ تفضفت السهام، ودونها عن جسمك الإجلال والإكبار^(٣)
قال [عليه السلام]: قبلت هديتك، اجلس، بارك الله فيك .

ورفع رأسه إلى الخادم وقال: امض إلى أمير المؤمنين وعرفه بهذا المال وما يصنع به؟ .

(١) المصقول: السيف المسنون، والفرند: جوهر السيف وريشته، يوم الهياج: يوم الحرب النائرة .

(٢) الأسهم: هنا هي السهام التي تُستعمل في الحرب . نقدتكَ: أصابتك . والحرائر: النساء يستغثن بجدك ودموعهن تسيل بغزاره .

(٣) تفضفت السهام: تفرقت عنك إجلالاً لك، وهيبة منك، واحتراماً لك .

فمضى الخادم، وعاد وهو يقول: كلُّه هِبَةٌ مِنِّي له، يفعل ما أراد.

فقال موسى [عليه السلام] للشيخ: اقْبِضْ جميعَ هذا المال فهو هِبَةٌ مِنِّي لك^(١).

والمالُ هذا هو مجموع عطايا المهنتين من عُلَية القوم لسلطان الزمان. فهي عطايا جزيلة لا تُقَدَّرُ بثمن. ومعنى ذلك أنها أموالٌ كثيرةٌ لأنها هدايا نفيسة، وتُحَفُّ ثمينَةٌ، لم يتردَّد الإمام عليه السلام عن دَفْعِها بِكاملها للشيخ الذي قال الشُّعر في جدِّه الحسين عليه السلام، بحيث جعلها هِبَةً منه إليه على حُسن مقاله وحُسن نيَّته.

وأنت تشعر وأنت تقرأ هذه القصة أن الإمام عليه السلام لم تستوقف نظره تُحَفُّ، ولا مالَ قلبه إلى هدايا ونفائس، بل بادرَ الشيخ بقوله: اقْبِضْ جميعَ هذا بطيبة نفسٍ هاشمية لا تجدها عند غير أئمَّتنا الكرام عليهم الصلاة والسلام.

مركز تحقيقات كويتية علوم إسلامية

وأخيراً قال إبراهيم بن عبد الحميد:

«سمعتُ أبا الحسن عليه السلام يقول في سجوده: يا من علا فلا شيء فوقه، يا من دنا فلا شيء دونه، إخفر لي ولأصحابي»^(٢).

أما أصحابه المقربون رضوانُ الله عليهم - لا على الحصر الدقيق - فهم:

١ - بابُه المفضَّل بن عمر الجعفي.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٨ - ٣١٩.

(٢) التوحيد ص ٦٧.

٢ - وفي اختيار الرجال عن الطوسي : أنه اجتمع أصحابنا على تصديق ستة نفر من فقهاء الكاظم والرضا عليهما السلام ، وهم : يونس بن عبد الرحمان ، وصفوان بن يحيى بياع السابري ، ومحمد بن عمير ، وعبد الله بن المغيرة ، والحسن بن محبوب السراد ، وأحمد بن محمد بن نصر ^(١) .

٣ - ومن ثقاته : الحسن بن علي بن فضال الكوفي - مولى لتيمة الرباب - وعثمان بن عيسى ، وداود بن كثير الرقي - مولى بني أسد - وعلي بن جعفر الصادق عليه السلام ^(٢) .

٤ - ومن خواص أصحابه : علي بن يقطين - مولى بني أسد - وأبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي ، وإسماعيل بن مهران ، وعلي بن مهزيار ، من قرى فارس ثم سكن الأهواز - والريان بن الصلت الخراساني ، وأحمد بن محمد الحلبي ، وموسى بن بكير الواسطي ، وإبراهيم بن أبي البلاد الكوفي ^(٣) .



مركز تقيت كويتير علوم اسدي

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٢٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

علمه الموهوب.. وعظمته..

الأئمة من أهل بيت النبوة ﷺ، علماء، حكماء، فقهاء قد زُقوا العلم زَقًا. فلا تجد عند كبيرهم ما لا تجده عند صغيرهم، لأنهم خلقوا معلمين مفهمين، وعلمهم موهوب غير مكسوب؛ وهو من جملة عطايا الله السنية لهم. ولن تستريح إلى فهمهم على بعض حقيقتهم، إلا إذا أيقنت بأنهم منتجبون، مختارون، ومميزون عن سائر العالمين؛ لأنهم مُعدّون لأمر الله تبارك وتعالى الذي انتدبهم سفراء في أرضه، وأمناء على وحيه، وخلفاء على خلقه، يحملون أعباء خلافته، ويتصرفون عن أمره ونهيه. وقد وهبهم سبحانه علم ما كان وعلم ما يكون حتى لا يغيروا بجواب، ولا يترددوا في فتوى. ثم أعطاهم آلة السفارة وإمامة الناس كاملة، ورفدهم بملائكة مؤيدين ومسددين يعملون بين أيديهم، ويفعلون ما يؤمرون. ولذلك كان على الباحث عن كفاءاتهم العلمية، وطاقاتهم الفكرية، ومبلغ قدراتهم في مخلف الشؤون، كان عليه أن يقف عند نقطة هامة تريح فكره وتختصر بحثه، وهي أن علمهم لدني من علم الله عز وجل، وأنهم يعملون في عين ربهم الذي يرعاهم في سائر تقلباتهم أكثر مما ترعى الدولة الكبرى سفيرها

ومندوبها وهم - أيضاً - ذوو حصانة ربانية لا يرفعها عنهم إلا ما منحها لهم .
ولذا لا تجد لهم ذاماً عبر التاريخ ، ولا تقف على قائل منهم كلمة سوء حتى
ممن لا يتولأهم كائنة وخلفاء لرسول الله ﷺ .

ونحن حين نتكلم عن علمهم الموهوب ، نُطلق عليهم اسمه دون أن
نتجرأ على الخوض في التفاصيل ، فإنه من كلمات الله عز وجل التي لو كان
البحر مداداً لها لنفد البحر قبل أن تنفذ . فقد منحهم سبحانه من علمه بقدر ما
يحتاجون في حياتهم ، وأطلعهم على كثير من خفايا الكون وأسراره ،
وجعلهم عارفين بكثير من أمور السماء وأهلها والأرض وما فيها ، وقد
برهنت على ذلك سيرتهم مع معاصريهم من مؤلفين ومخالفين . .

أجل ، إننا حين نتكلم عن علم الإمام ، نذكر بعض الأمثلة التي لا
تصدر عن سائر الناس ، ولا عن الأفاضل من البشر ، فنقف عاجزين عن معرفة
ماهية علمه الإلهي الذي لا حدود له ، ولا نعرف له تحديداً ، لأنه صادر عن
هو بكل شيء محيط . . .

والى قارئ العزيز بعض تلك الأمثلة :

«فقد قيل إن رجلاً افتض جارية مقصراً - أي مدركة - لم تطمث - يعني
لم تر العادة الطبيعية للنساء - فسأل الدم نحواً من عشرة أيام . فاختلف
القوابل أنه دم الحيض أم دم العذرة ، وسألوا أبا حنيفة عن ذلك فقال : هذا
شيء قد أشكل فلتوضأ وتصل ، وليمسك عنها زوجها حتى ترى البياض .

فسأل خلف بن حماد موسى بن جعفر ، فقال عليه السلام :

تستدخل القطنة ثم تتركها ملياً . ثم تخرجها إخراجاً رقيقاً :

فإن كان الدم مطوقاً في القطنة فهو من العذرة .

وإن كان مستنقماً في القطنة فهو من الحيض .

فبكى خلف وقال: جعلت فداك، من يحسن هذا غيرك ١٢٩.

قال: فرفع يده إلى السماء وقال: إني واللّه ما أخبرك إلا عن رسول اللّه، عن جبرائيل، عن اللّه تعالى^(١).

فما هو اعتراض من يحاول ردّ هذا السند الربّاني، وهذه السلسلة الذهبية: عن رسول اللّه، عن جبرائيل، عن اللّه ١١٩؟

وهل يخطيء من يرقى بهذا الإسناد ١١٩؟

وهل تطرح روايته ويردّ عليها ١١٩؟

وماذا تقول بفتوى خريج جامعة السماء، يا خريج فقهاء الأرض ٩؟

ومن علم هذا الحجازي الذي أودع بطون السجون في عهد الظلم، وتوجّع وهو في العشرين من عمره فعاش حياة صعبة مراقبة في إقامات جبرية، قضى أكثرها في العبادة والصوم ليلاً ونهاراً ١٢٩؟

ومن أين له هذا العلم التشريحي، وهذا التمييز الدقيق بين دم العذرة الممزقة والباقية أطرافها بشكل دائرة، وبين دم الحيض الذي يتدفق بسعة الأنبوب؟

وكيف اهتدى إلى هذا الجواب الذي لا تعرفه القابلة، ولا يعرفه أمهر الأطباء والمشرّحون؟

هذا من عطاء ربّه سبحانه الذي ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾^(٢) وهو من جملة مواهبه عزّ وعلا، ومن أقلّ عطاءاته لأهل بيت النبي الذي أخرج أئمة

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٠ - ٣١١ وهو في حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٢٥، وقد ذكر في حديث طويل في الرافي ج ١ باب: ما يتمييز به الحيض من دم العذرة والقرحة.
(٢) سورة العلق: ٥.

الحقُّ وهداة الخلق . وأنَّ هذه المسألة لَبِنٌ أبسطُ ما عندهم من علم، ولو أنت طالعت شيئاً من علومهم في المواضيع النسائية فقط، وفي كتب الأخبار الفقهية، لرأيتَ عجباً، ولوقفتَ وقفَةً إكبارٍ وإجلالٍ لعلمهم الذي لا ينقُد، لأنك ستجد نفسك أمام طيب نسائي قضى حياته في الدرس والتشريع، وكأنه لم يشتغل في حياته إلا في هذا الموضوع . وهم هكذا في مختلف العلوم والفنون، وفي سائر فتاوى الدين في حلال الله تعالى وحرامه، بحيث تقطع فتاواهم كلَّ كلامٍ وجدلٍ وخصام .

قال داود بن قبيصة :

«سمعتُ الرُّضا يقول : سئل أبي عليه السلام : هل منع الله عما أمر به، وهل نهى عما أراد، وهل أعان على ما لم يُرد؟^١ فقال عليه السلام : أمّا ما سألت : هل منع الله عما أمر به ؟ . فلا يجوز ذلك . ولو جاز ذلك لكان قد منع إبليس عن السجود لآدم . ولو منع إبليس لعذره ولم يلعنه .

وأما ما سألت : هل نهى عما أراد ؟ . فلا يجوز ذلك . ولو جاز ذلك لكان حيث نهى آدم عن أكل الشجرة، أراد منه أكلها . ولو أراد منه أكلها لما نادى عليه صبيان الكتائب : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾^(١) والله تعالى لا يجوز عليه أن يأمر بشيءٍ ويُرِيدُ غيرَه .

وأما ما سألت عنه من قولك : هل أعان على ما لم يُرد؟ . ولا يجوز ذلك . وجلُّ الله تعالى عن أن يُعين على قتل الأنبياء وتكذيبهم، وقتل الحسين عليه السلام، والفضلاء من أولديه . وكيف يُعين على ما لم يُرد، وقد أعدَّ

(١) سورة طه : ١٢١ .

جهنم لمُخالفِيه ولعنهم على تكذيبهم لطاعته، وارتكابهم لمُخالفته ١٩. ولو جاز أن يُعين على ما لم يُرد، لكان أَعانَ فرعون على كُفره وأدعائه أنه ربُّ العالمين ١. أفترى أراد الله من فرعون أن يدعي الربوبية ١٩.

يُستتاب قائلُ هذا القول، فإن تاب من كذبه على الله، وإلا ضُربت عنقه^(١).

فما أروع هذه الأمثلة الحسية التي ضربها الإمام عليه السلام لسائله ١. فغيرُ الإمام يقصُر عن التمثيل بها كما لا يخفى على القارئ الكريم . . ولكن، ما أقلُّ السامعين من العالمين.

قال هشام بن سالم: كنا بالمدينة بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام، أنا ومحمد بن النعمان، والناسُ يجتمعون على عبد الله بن جعفر على أنه صاحب الأمر بعد أبيه. فدخلنا والناسُ عنده فسألناه عن الزكاة في كم تجب؟

فقال: في مائتي درهم خمسة دراهم.

قلنا: ففي مائة؟

قال: درهمان ونصف.

قلنا: والله ما يقول المرجئة هذا!

قال: والله ما أدري ما يقول المرجئة.

فخرجنا ضللاً لا ندري إلى أين نتوجه أنا وأبو جعفر الأحول، فقعدنا

في بعض أزقة المدينة باكين لا ندري إلى أين نتوجه وإلى من نقصد. نقول:

إلى المرجئة؟ إلى المعتزلة؟ إلى الزيدية؟

(١) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٨٧.

فنحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه يومئذٍ إليَّ بيده . فخفتُ أن يكونَ عيناً من عيون أبي جعفر المنصور، وذلك أنه كان له في المدينة جواسيسُ على مَنْ يجتمع بعد جعفر الصادق عليه السلام إليه الناسُ، فيؤخذُ فيضربُ عنقه .

فخفتُ أن يكون منهم، فقلتُ للأحول: تنحُ فإنني خائفٌ على نفسي وعليك وإنما يريدني، ليس يريدك . فتنحُ حتى لا تهلك فتعين على نفسك .

فتنحى عني بعيداً، وتبعثُ الشيخ؛ وذلك أنني ظننتُ أنني لا أقدر على التخلص منه . فما زلت أتبعه وقد عزمت على الموت، حتى وردَ بي على باب أبي الحسن، موسى عليه السلام . ثم خلّاني ومضى . فإذا خادمٌ بالباب فقال لي: أدخل رحمتك الله .

فدخلتُ، فإذا أبو الحسن، موسى عليه السلام، فقال لي ابتداءً منه: إليَّ إليَّ، لا إلى المرجئة، ولا إلى القدرية، ولا إلى المعتزلة، ولا إلى الزيدية .

قلتُ: جعلت فداك، مضى أبوك؟

قال: نعم .

قلت: مضى موتاً؟ .

قال: نعم .

قلت: فمن لنا بعده؟ .

قال: إن شاء الله أن يهديك هداك .

قلت: جعلت فداك، إن أخاك عبد الله يزعم أنه الإمام من بعد أبيه .

فقال: عبد الله يريد أن لا يُعبد الله .

قلت: جعلت فداك، فمن لنا من بعده؟ .

فقال: إن شاء الله أن يهديك هداك.

قلت: جعلت فداك، فأنت هو؟

قال: لا أقول ذلك.

قلت في نفسي: لم أصب طريق المسألة. ثم قلت له: جعلت فداك، أعليك إمام؟

قال: لا.

فدخلني شيء لا يعلمه إلا الله تعالى إعظاماً له وهيبة. ثم قلت له: جعلت فداك، أسألك عما كنت أسأل أباك؟

قال: سل تخبر، ولا تذرغ، فإن أذعت فهو الذبح.

فسألته، فإذا هو بحر لا ينزف.

قلت: جعلت فداك، فشيعة أيبك ضلال، فألقي إليهم هذا الأمر وأدعوهم إليك فقد أخذت علي الكتمان؟^(١)

قال: من أنست منه رشداً فألق إليه وخذ عليه الكتمان، فإن أذاع فهو الذبح - وأشار بيده إلى حلقه -.

فخرجت من عنده، فلقيت أبا جعفر الأحول، فقال لي: ما وراءك؟

قلت: الهدى؛ وحدثته القصة.

ثم لقينا زرارة وأبا بصير، فدخلا عليه، وسمعا كلامه، وسألاه، وقطعا عليه.

ثم لقينا الناس أفواجا؛ فكل من دخل عليه قطع عليه إلا طائفة عمارة الساباطي. وبقي عبد الله لا يدخل عليه من الناس إلا القليل^(١).

(١) المحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٧٠ - ٢٧١ وكشف الغمة ج ٣ ص ١٢ - ١٣ والإرشاد ص ٢٧٢ - =

وأول ما يطالعنا في هذه القصة قولُ عبد الله بن جعفر: واللَّه ما أدري ما يقول المُرجئة. مقسماً على جهله بحقيقة الإمامة التي ليس في قاموسها كلمة: لا أدري، لأنَّ الإمامَ لا يجهل شيئاً مطلقاً بإذن ربِّه عزَّ وجلَّ فعلمه مخلوق معه..

ثم يطالعنا بعد ذلك بقليل قول أخيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ابتداءً ودون أن يُعلِّمه أحدٌ عما قاله أخوه لهشام بن سالم: إليَّ إليَّ، لا إلى المُرجئة، ولا إلى القدرية، ولا إلى المعتزلة، ولا إلى الزيدية^١. مردداً قول هشام الذي لم يسمعه منه سوى رفيقه الأحول، وقد قاله بتمام السرية والخوف..

فكيف علم الإمام عليه السلام ما قاله هشام لرفيقه؟

وكيف استطاع أن يكرر عبارته بلفظها، وبنفس الترتيب^١؟

وكيف علم بمكان وجوده، فأرسل الشيخ ليدعوه إليه^١. وكيف؟

وكيف؟ وكيف^١؟

مركز تحقيقات كويتية علوم إسلامية

لا تسأل بكيف؟ ولا بلماذا؟ ولا تُتعب نفسك. فعلى العاقل أن يدع عن لمشية الله وحسن اختياره ومنتهى حكمته، وأن يؤمن بقدرته، ويسلم بأنه سبحانه كما يجعل لنا عينين، ولساناً وشفقتين و... فكذلك يجعل للإمام الذي يختاره علماً ينقشه له في ذاكرته، فلا يزول ولا ينمحي..

وعن علي بن راشد، وغيره، في خبر طويل، قال:

^١ ٢٧٣ وإعلام الوري ص ٢٩١ - ٢٩٢ وحلية الأبرار ج ٢ من ص ٢٣١ إلى ص ٢٣٣ وهو مكرر في ص ٢٣٣ باختصار، وكذلك في ص ٢٣٤ وص ٢٣٥ وهو كذلك في مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٩٠ - ٢٩١.

«إنه اجتمعت العصاة الشيعة بنيسابور، واختاروا محمد بن علي النيسابوري فدفعوا إليه ثلاثين ألف دينار، وخمسين ألف درهم، وألفي شقة من الثياب؛ وأنت شطيطة بدرهم صحيح وشقة خام من غزل يدها تساوي أربعة دراهم فقالت: إن الله لا يستحي من الحق. (أي أنها لا تخجل بدفع الحق الشرعي ولو كان قليلاً).

قال: فثبثت درهما.

وجاؤوا بجزء فيه مسائل ملء سبعين ورقة، في كل ورقة مسألة. وباقي الورق بياض ليكتب الجواب تحتها؛ وقد حُزمت كل ورقتين بثلاث حزم. (أي سُدت في وسطها بخيط - وختم عليها بثلاثة خواتيم، على كل حزام خاتم. وقالوا: ادفع إلى الإمام ليلة - ليلاً - وخذ منه في غد. فإن وجدت الجزء الصحيح الخواتيم، فاكسر منها خمسة وانظر هل أجاب عن المسائل، وإن لم تنكسر الخواتيم فهو الإمام المستحق للمال فادفع إليه، وإلا فردد إلينا أموالنا.

فدخل على الأقطع، عبد الله بن جعفر، وجربه فخرج عنه قائلاً: رب اهدني إلى سواء الصراط.

قال: بينما أنا واقف إذا أنا بغلام يقول: أجب من تريد.

فأتى بي دار موسى بن جعفر.

فلما رأيته قال: لم تقنط يا أبا جعفر، ولم تفرغ إلى اليهود والنصارى، فأنا حجة الله ووليّه.

ألم يعرفك أبو حمزة على باب مسجد جدّي؟ وقد أجبك على ما في الجزء من المسائل بجميع ما تحتاج إليه منذ أمس، فجنني به - أي بالمال - وبدرهم شطيطة الذي وزنه درهم ودانقان، الذي في الكيس الذي فيه

أربعمائة درهم للوازوازي - هو اسم رجل - والشقة التي في رزمة الأخوين البلخيين .

قال : فطار عقلي من مقاله ا . وأتيت به بما أمرني ، ووضعت ذلك قبله .

فأخذ درهم شطيطة وإزارها ، ثم استقبلني وقال : إن الله لا يستحي من الحق ؛ يا أبا جعفر ، أبلغ شطيطة سلامي ، وأعطاها هذه الصرة - وكانت أربعين درهماً . ثم قال : وأهديت لك شقة من أكفاني من قطن قريتنا صيداء ، قرية فاطمة عليها السلام ، وغزل أختي حليلة ابنة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، ثم قال : وقل لها ستميشين تسعة عشر يوماً من وصول أبي جعفر ووصول الشقة والدرهم . فأنفقي على نفسك منها ستة عشر درهماً ، واجعلي أربعة وعشرين صدقة منك وما يلزم عنك ، وأنا أتولى الصلاة عليك .

فإذا رأيتني يا أبا جعفر ، فاكتب علي فإنه أبقى على نفسك .

ثم قال : واردت الأموال إلى أصحابها ، ووافكك هذه الخواتيم ، عن الجزء ، وانظر هل أجنبك عن المسائل أم لا ، من قبل أن تجيئنا بالجزء .

فوجدت الخواتيم صحيحة ، ففتحت منها واحداً من وسطها ، فوجدت فيه مكتوباً : ما يقول العالم عليه السلام في رجل قال : نذرت لله لأعتقن كل مملوك كان في رقي قديماً ، وكان له جماعة من العبيد؟ .

الجواب بخطه : ليعتقن من كان في رقه من قبل ستة أشهر ؛ والدليل على صحة ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَهُ مَنَازِلَ . . ﴾ ^(١) الآية ، والحديث : من ليس له أقل من ستة أشهر . . .

(١) سورة يس : ٣٩ .

وفككت الختم الثاني، فوجدت ما تحته: ما يقول العالم في رجله
قال: واللّه لأتصدقن بمالٍ كثير. فيما يتصدق؟.

الجواب تحته بخطه: إن كان الذي حلف من أرباب شيئا - غنم -
فليتصدق بأربع وثمانين شاة، وإن كان من أصحاب النعم فليتصدق بأربعة
وثمانين بعيراً، وإن كان من أرباب الدرهم، فليتصدق بأربعة وثمانين
درهماً. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي
مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾^(١) فعددت مواطن رسول الله ﷺ قبل نزول تلك الآية
فكانت أربعة وثمانين موطناً.

فكسرت الختم الثالث فوجدت تحته مكتوباً: ما يقول العالم في رجله
نبش قبر ميت، وقطع رأس الميت، وأخذ الكفن؟.

الجواب بخطه: يقطع السارق لأخذ الكفن من وراء الجُزر، ويلزم مائة
دينار لقطع رأس الميت، لأننا جعلناه بمنزلة الجنين في بطن أمه قبل أن يُنفخ
فيه الروح، فجعلنا في التلطفة عشرين ديناراً. (المسألة إلى آخرها).

ولما وافى خراسان وجد الذين رد عليهم أموالهم ارتدوا إلى الفطحية،
وشطيطة على الحق، فبلغها سلامه، وأعطاهما صرته وشقته، فعاشت كما
قال ﷺ.

فلما توفيت شطيطة جاء الإمام على بعير له. فلما فرغ من تجهيزها
ركب بعيره وانثنى نحو البرية وقال: عرف أصحابك وأقرتهم مني السلام،
وقل لهم: إنني ومن يجري مجراي من الأئمة ﷺ لا بد لنا من حضور
جنازكم في أي بلد كنتم. فاتقوا الله في أنفسكم^(٢).

(١) سورة التوبة: ٢٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٩١ - ٢٩٢.

وقد سمع القارىء الكريم أن هذه الفرقة من الشيعة قد اجتمعت
بنيسابور، أي على بُعد شاسعٍ ومسافةٍ طويلة من مركز إقامة الإمام عليه السلام .

فمن أين سمع هذا الإمام العظيم قولَ المرأة المؤمنة، شطيطة حين
قالت: إنَّ الله لا يستحي من الحق؟ ١٩. حيث بعثت بدرهم واحدٍ وقطعة
قماش متواضعة، فقد استقبل الإمام الرسول بأن طلبَ منه درهماً وإزارها
- أي هديتها البسيطة من الحق الشرعي - ثم قال: إنَّ الله لا يستحي من
الحق . .

هذه واحدة، والثانية أنه من دله على المسائل المكتوبة، ومن أوصلها
إليه فأجاب عليها، ثم ردها إلى طومار حاملها دون أن يشعر أحدٌ بذلك؟ ١٩.
وكيف لم تنكسر الخواتيم؟ ١٩.

والثالثة أنه من دله على مكان درهم شطيطة وشقة القماش التي بعثت
بها إليه؟. ومن عرفه أن شطيطة ستعش تسعة عشر يوماً بعد عودته من
السفر؟.

مركز تحقيقات كويتية علوم إسلامية

وكيف قسم الدراهم التي بعث بها إليها، وعلم أنها ستصرف منها ستة
عشر درهماً، وستبقي أربعة وعشرين صدقةً وبقيةً لوازم، ثم تكفل بأن يصلّي
عليها يوم وفاتها. ولم يخطيء في التوقيت بالدقائق، بل كان حاضراً حين
حمل جنازتها وفي الوقت المناسب للصلاة عليها؟ ١٩.

والأعجب من الثلاث التي ذكرنا، هو أنه عليه السلام قد أمره بردُ الأموال
إلى أصحابها، رافضاً قبولها، لأنه علم - مسبقاً - أن أصحابها قد رجعوا إلى
الفتحية - إمامة عبد الله بن جعفر - وارتدوا عن القول بإمامته صلوات الله
عليه .

ثم إنه عليه السلام، ختم معجزه هذه بأن حضر دفن شطيطة المرأة

المسكينة التي هي في الشرق الأقصى وهو في الشرق الأوسط، وعلى بعير طوى المسافات بإذن الله طياً، ثم أوصى مواليه بتقوى الله وبالإلتفات إلى سلامة أنفسهم في الدنيا والآخرة.

ومن أعاد قراءة الوقائع، وأعادها وأعادها أكثر من مرة، يخرج منها مطمئناً إلى عقيدة راسخة تزيد معرفته بأئمة أهل البيت عليهم السلام.



في حديث طويل^(١) لهشام بن الحكم مع بُريهة كبير النصارى، أنهما بعد جدال طويل ارتحلا حتى أتيا المدينة، والمرأة معهما، يريدان أبا عبد الله، - الصادق - عليه السلام، فلقيا موسى بن جعفر عليه السلام، فحكى له هشام الحكاية؛ فلما فرغ قال له موسى بن جعفر عليه السلام:

يا بُريهة، كيف علمك بكتابك؟

قال: أنا به عالم.

قال: كيف ثقتك بتأويله؟

قال: ما أوثقتني بعلمي فيه كقولك في حقك.

فابتدأ موسى بن جعفر عليه السلام يقرأ الإنجيل.

قال بُريهة: والمسيح، لقد كان يقرأ هكذا. وما قرأ هذه القراءة إلا

المسيح.

ثم قال: إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة، أو مثلك.

فأمن وحسن إيمانه، وأمنت المرأة وحسن إيمانها.

فدخل هشام وبُريهة والمرأة على أبي عبد الله عليه السلام. وحكى هشام

الحكاية والكلام الذي جرى بين موسى عليه السلام وبُريهة.

(١) هو في التوحيد ص ٢٧٠.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ذَرِيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ (١).

فقال بُرَيْهَةَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أُنَى لَكُمْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ، وَكُتِبَ
الْأَنْبِيَاءُ؟.

قال: هي عندنا وراثَةٌ من عندهم، نقرأها كما قرأوها، ونقولها كما
قالوها. إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْعَلُ حُجَّةً فِي أَرْضِهِ يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي.
فلزِمَ بُرَيْهَةُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام حتى مات أبو عبد الله، ثم لَزِمَ
مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عليه السلام حتى مات في حياته، فغَسَلَهُ بِيَدِهِ، وَكَفَّنَهُ بِيَدِهِ،
وَلَحَدَهُ بِيَدِهِ، وَقَالَ: هَذَا حَوَارِيٌّ مِنْ حَوَارِيِّ الْمَسِيحِ يَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ.
فَتَمَنَّى أَكْثَرَ أَصْحَابِهِ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ (٢).

ومثُلُ هَذَا الْحَدِيثِ، نَذَكَرُ لِلْقَارِيءِ الْكَرِيمِ حَدِيثًا آخَرَ مَفْصَلًا هُوَ هَذَا:

قال يعقوب بن جعفر بن إبراهيم:
«كُنْتُ عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ وَنَحْنُ مَعَهُ
بِالْعُرَيْضِ - وَادٍ فِي الْمَدِينَةِ - .

فقال له النصراني: أْتَيْتُكَ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ وَسَفَرٍ شاقٍّ، وَسَأَلْتُ رَبِّي مِنْذُ
ثَلَاثِينَ سَنَةً أَنْ يُرْشِدَنِي إِلَى خَيْرِ الْأَدْيَانِ، وَإِلَى خَيْرِ الْعِبَادِ وَأَعْلَمِهِمْ.

وَأَتَانِي آتٍ فِي النَّوْمِ، فَوَصَفَ لِي رَجُلًا بَعْلِيًّا دِمَشْقِيًّا. فَاَنْطَلَقْتُ حَتَّى
أْتَيْتُهُ فَكَلِمَتُهُ، فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ أَهْلَ دِينِي، وَغَيْرِي أَعْلَمُ مِنِّي.

قلت: أُرْسِدْنِي إِلَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، فَإِنِّي لَا أَسْتَعْظِمُ السَّفَرَ، وَلَا

(١) سورة آل عمران: ٣٤.

(٢) التوحيد ص ٢٧٤ - ٢٧٥ والكلاني م ١ ص ٢٢٧ وهو في مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٠
والأنوار البهية من ص ١٥٥ إلى ص ١٥٧ في حديث مفصل، وانظر حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٤٠.

تبع علي الشقة. ولقد قرأت الإنجيل، ومزامير داود، وقرأت أربعة أسفار من التوراة، وقرأت ظاهر القرآن حتى استوعبته كله.

فقال لي العالم: إن كنت تريد علم النصرانية، فأنا أعلم العرب والعجم بها، وإن كنت تريد علم اليهود فباطي بن شرحبيل السامري أعلم الناس بها اليوم، وإن كنت تريد علم الإسلام، وعلم التوراة، وعلم الإنجيل، وعلم الزبور، وكتاب هود، وكل ما أنزل على نبي من الأنبياء، في دهرك ودهر غيرك، وما أنزل من السماء من خبر فعلمه أحد أو لم يعلم به أحد، فيه تبيان لكل شيء وشفاء للعالمين، وروح لمن استروح إليه، وبصيرة لمن أراد الله به خيراً، وأنس إلى الحق، فأرشدك إليه فأته ولو مشياً على رجلك، فإن لم تقدر فحبوا على ركبتيك، فإن لم تقدر فزحفاً على أمتك، فإن لم تقدر فعلى وجهك!

فقلت: لا، بل أقدر على المسير في البدن والمال.

قال: فانطلق من فورك حتى تأتي يثرب.

فقلت: لا أعرف يثرب.

قال: فانطلق حتى تأتي مدينة النبي ﷺ، الذي بعث في العرب؛ وهو النبي العربي الهاشمي. فإذا دخلتها فسل عن بني غنم بن مالك بن النجار. وهو عند باب مسجدها. وأظهر بزة - هيئة - النصرانية وجلبتها، فإن واليها يتشدد عليهم، والخليفة أشد. ثم تسأل عن بني عمرو بن مبدول، وهو ببيع الزبير، ثم تسأل عن موسى بن جعفر وأين منزله، وأين هو، مسافراً أم حاضراً. فإن كان مسافراً فالحق فإذ سفره أقرب مما ضربت إليه، ثم أعلمه أن مطران عليا الغوطة - غوطة دمشق - هو الذي أرشدني إليك، وهو يقرئك السلام كثيراً ويقول لك: إنني لأكثرُ مناجاة ربي أن يجعل إسلامي على يدك.

فَقَصَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ وَهُوَ قَائِمٌ مُعْتَمِدٌ عَلَى عَصَاهُ، ثُمَّ قَالَ:
إِنْ أَذْنَتْ لِي يَا سَيِّدِي كَفَّرْتُ لَكَ - أَي وَضَعْتُ يَدِي عَلَى صَدْرِي
خُضُوعاً - وَجَلَسْتُ.

فَقَالَ: أَذْنُ لَكَ أَنْ تَجْلِسَ، وَلَا أَذْنُ لَكَ أَنْ تَكْفُرَ.
فَجَلَسَ ثُمَّ ألقى عنه بُرُئِيسَهُ، ثُمَّ قَالَ: جُعِلَتْ فِدَاكَ، تَأْذِنُ لِي فِي
الْكَلَامِ.

قال: نعم، ما جئت إلا له.
فقال له النصراني: ارُدُّدْ عَلَيَّ صَاحِبِي السَّلَامِ - أَي عَلَيَّ مَطْرَانَ دِمَشْقِ -
أَوْ مَا تَرُدُّ السَّلَامَ؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: عَلَيَّ صَاحِبِكَ إِنْ هَدَاهُ اللَّهُ. فَأَمَّا التَّسْلِيمُ،
فَذَاكَ إِذَا صَارَ فِي دِينِنَا.

فقال النصراني: إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا أَهْلَ بَيْتِ اللَّهِ بِرَبِّي
قال: سَلْ.

قال: أَخْبِرْنِي عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَنَطَقَ بِهِ،
ثُمَّ وَصَفَهُ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ.

فقال: ﴿حَمِّ (١) وَالصَّكَّتِيبِ الْمُبِينِ (٢)﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا
مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ (١)

قال: مَا تَفْسِيرُهَا فِي الْبَاطِنِ؟

فقال: أَمَّا ﴿حَمِّ (١)﴾ فَهُوَ مُحَمَّدٌ عليه السلام، وَهُوَ فِي كِتَابِ هُودِ الَّذِي

(١) سورة الدخان: ١ - ٤.

أنزل عليه، وهو منقوص الحروف. وأما ﴿ وَالصَّكَّتِ الْمُسِينِ ﴾ فهو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام. وأما ﴿ لَيْلَةً ﴾ ففاطمة. وأما قوله: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ يقول: يخرج منها خيراً كثيراً: فرجل حكيم، ورجل حكيم، ورجل حكيم.

فقال الرجل: صِفْ لي الأول والآخِرَ من هؤلاء الرجال.

فقال: إن الصفات تشبهه، ولكن الثالث من القوم أصف لك ما يخرج من نسله. وإنه عندكم لفي الكتب التي نزلت عليكم إن لم تُغَيِّرُوا ولم تُحَرِّفُوا وتكفروا؛ وقد يمأ ما فعلتم.

قال له النصراني: إنني لا أسترُ عنك ما عَلِمْتُ ولا أكذِبُك؛ وأنت تعلم ما أقول في صدق ما أقول وكذبه. والله قد أعطاك من فضله، وقسم عليك من نعمه ما لا يخطرُه الخاطرون، ولا يسترُه الساترون، ولا يكذب فيه من كذب. فقولي في ذلك: الحق فيما ذكرت، فهو كما ذكرت.

فقال له أبو إبراهيم عليه السلام: أعجلك خبراً لا يعرفه إلا قليل ممن قرأ الكتب:

أخبرني ما اسم أم مريم؟ وأي يوم نُفِخت فيه مريم؟ ولِكَمْ ساعة من النهار؟

فقال النصراني: لا أدري.

فقال أبو إبراهيم عليه السلام: أما أم مريم فاسمها مَرْتَا، وهي وهية بالعربية، وأما اليوم الذي حملت فيه مريم، فهو يوم الجمعة للزوال، وهو اليوم الذي هبط فيه الروح الأمين. وليس للمسلمين عيدٌ كان أولى منه. عظمه الله تبارك وتعالى، وعظمه محمد ﷺ، فأمر أن يجعله عيداً، فهو يوم الجمعة. وأما اليوم الذي ولدت فيه مريم، فهو يوم الثلاثاء لأربع

ساعات ونصف من النهار . والنهر الذي وُلدت عليه مريمُ عيسى عليه السلام ، هل تعرفه ؟ .

قال : لا .

قال : هو الفرات ، وعليه شجر النخل والكرّم ، وليس يساوى بالفرات شيء للكروم والنخيل .

وأما اليوم الذي حَجَبَتْ فيه لسانها ، ونادى قيّدوسُ وُلده وأشياعه فأعانوه وأخرجوا آل عمرانَ لينظروا إلى مريمَ ، فقالوا لها ما قصّ الله عليك في كتابه ، وعلينا في كتابه ، فهل فهمته ؟ .

قال : نعم ، وقرأته اليوم الأحد .

قال : إذن ، لا تقوم من مجلسك حتى يهديك الله .

قال النصرانيّ : ما كان اسمُ أمي بالسريانية ، والعربية ؟ .

فقال : كان اسمُ أمك بالسريانية عنقالية ، وعُنقورةٌ كان اسمُ جدّتك لأبيك ، وأما اسمُ أمك بالعربية فهو مئةٌ - أي مَي - وأما اسمُ أبيك فعبدُ المسيح ، وهو عبد الله بالعربية ، وليس للمسيح عبد .

قال : صدقتُ وبررتُ ، فما كان اسمُ جدّي ؟

قال : كان اسمُ جدّك جبرئيل ، وهو عبد الرحمان . سمّيته في مجلسي هذا .

قال : أما إنه كان مسلماً .

قال أبو إبراهيم عليه السلام : نعم ، وقُتِلَ شهيداً . دخلتُ عليه أجنادٌ وقتلوه في منزله غيلة ، والأجنادُ من أهل الشام .

قال : فما كان اسمي قبل كُنيتي ؟ .

قال : كان اسمك عبد الصليب .

قال : فما تُسميني ؟ .

قال : اسمك عبد الله .

قال : فإنني آمنتُ بالله العظيم ، وشهدتُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فرداً صمداً ، ليس كما تصفه النصارى ، وليس كما تصفه اليهود ، ولا جنسٌ من أجناس الشرك . وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحق ، وأبان به لأهله ، وعَمِيَ المُبطلون . وأنه كان رسول الله إلى الناس كافة ، إلى الأحمر والأسود ، كُلٌّ فيه مشترك . فأبصرَ مَنْ أبصرَ ، واهتدى مَنْ اهتدى ، وعَمِيَ المُبطلون ، وضلَّ عنهم ما كانوا يَدْعُونَ . وأشهدُ أن وليه نطق بحكمته ، وأن مَنْ كان قبله من الأنبياء نطقوا بالحكمة البالغة ، وتوازرُوا على الطاعة لله ، وفارقوا الباطلَ وأهله ، والرَّجسَ وأهله ، وهجروا سبيلَ الضلالة ، ونصرهم الله بالطاعة له ، وعصمهم من المعصية له ، فهم لله أولياء ، وللدِّين أنصار ، يحثُّون على الخير ويأمرون به ؛ آمنتُ بالصغير منهم والكبير ، ومَنْ ذكرتُ منهم ومَنْ لم أذكر ، وآمنتُ بالله تبارك وتعالى ربِّ العالمين .

ثم قطعَ زناره ، وقطعَ صليباً كان في عنقه من ذهب ، ثم قال : مُرني حتى أضع صدقتي حيث تأمرني .

فقال : ها هنا أخُ لك كان على مثل دينك ، وهو رجلٌ من قومك ، من قيس بن ثعلبة ، وهو في نعمةٍ كنعمتك ، فتواشياً وتجاوراً ، ولستُ أدعُ أن أُوردَ عليكما حقكما في الإسلام - أي سهمكما من مال المسلمين - .

فقال : والله - أصلحك الله - إنني لغنيٌّ ، ولقد تركتُ ثلاثمائةَ طَروق - أي ما يصلح للضراب - بين فرسٍ وفرسة ، وتركتُ ألفَ بعير . فحُكِّك فيها أوفرُ من حقِّي .

فقال له : أنت مولى الله ورسوله ، وأنت في حدٍ نسبك على حالك .

فحسُن إسلامه ، وتزوج امرأةً من بني فهرٍ ، وأصدقها أبو إبراهيم عليه السلام خمسين ديناراً من صدقة علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأخدمه ، وبوَأه ، وأقام حتى أخرج أبو إبراهيم عليه السلام إلى بغداد بأمر الخليفة ، فمات بعد مخرجه بثمانٍ وعشرين ليلة ^(١) .

ورود الخبر عن يعقوب بن جعفر نفسه هكذا :

«كنت عند أبي إبراهيم عليه السلام ، وأتاه رجلٌ من أهل نجران اليمن ، من الرهبان ، ومعه راهبة ، فاستأذن لهما الفضل بن سوار .

فقال - عليه السلام - له : إذا كان غداً ، فأت بهما عند بشر أم خير .

فوافينا من الغد فوجدنا القوم قد وافوا . فأتى بخصفة بوارى - أي حصيرة من ورق النخل - ثم جلس وجلسوا .

فبدأت الراهبة بالمسائل ، فسألت عن مسائل كثيرة . كلُّ ذلك يُجيبها ، ويسألها أبو إبراهيم عليه السلام عن أشياء لم يكن عندها فيها شيء ، ثم أسلمت .

ثم أقبل الراهب يسأله ، فكان يُجيبه في كلِّ ما يسأله .

فقال الراهب : قد كنت قوياً على ديني ، وما خلقت أحداً من النصارى في الأرض يبلغ مبلغي في العلم . ولقد سمعتُ برجلٍ في الهند إذا شاء حجَّ إلى بيت المقدس في يومٍ وليلةٍ ، ثم يرجع إلى منزله بأرض الهند . فسألتُ عنه بأي أرض هو ؟ . فقيل لي : إنه بسبذان - وقيل بسندان - . وسألتُ الذي أخبرني فقال : هو عليم الاسم الذي ظفر به آصف صاحب سليمان لما أتى

(١) الكافي ١م من ص ٤٧٨ إلى ص ٤٨١ وهو بتمامه في حلية الأبرار ج ٢ من ص ٢٣٦ إلى ص ٢٤٠ .

بعرش سبأ . وهو الذي ذكره الله لكم في كتابكم ، ولنا معشر [أهل] الأديان
في كتبنا .

فقال له أبو إبراهيم عليه السلام : فكم لله من اسم لا يُردّأ .

فقال الراهب : الأسماء كثيرة ، فأما المحتوم منها ، الذي لا يُردّ سائله
فسبعة .

فقال له أبو الحسن عليه السلام : فأخبرني عما تحفظ منها .

فقال الراهب : لا والله الذي أنزل التوراة على موسى ، وجعل عيسى
عبرة للعالمين ، وفتنة لشكر أولي الألباب ، وجعل محمداً بركة ورحمة ،
وجعل علياً عليه السلام عبرة وبصيرة ، وجعل الأوصياء من نسله ونسل محمداً ، ما
أدري ؛ ولو ذريت ما احتجت فيه إلى كلامك ، ولا جئتك ، ولا سألتك .

فقال له أبو إبراهيم عليه السلام : عُد إلى حديث الهندي .

فقال الراهب : سمعت هذه الأسماء ولا أدري ما بطائنها ولا
شرايحها . ولا أدري ما هي ، ولا كيف هي ، ولا بدعائها . فانطلقت حتى
قدِمْتُ سبذان الهند . فسألت عن الرجل فقيل لي : إنه بنى ديراً في جبل فصار
لا يخرج ولا يرى إلا في كل سنة مرتين . وزعمت الهند أن الله فجر له عيناً
في ديره ، وزعمت الهند أنه يُزرع له من غير زرع يُلقيه ، ويُحرق له من غير
حرب يعمله .

فانتهيت إلى بابه ، فأقمت ثلاثاً لا أدق الباب ، ولا أعالج الباب . فلما
كان اليوم الرابع فتح الله الباب ، وجاءت بقرة عليها حطب تجرُّ ضرعها ،
يكاد يخرج ما في ضرعها من اللبن ، فدفعت الباب فانفتح ، فتبعتها ودخلت .

فوجدت الرجل قائماً ينظر إلى السماء فيبكي ، وينظر إلى الأرض
فيبكي ، وينظر إلى الجبال فيبكي .

فقلت : سبحان الله ما أقلَّ ضَرْبِكَ - أي أمثالك - في دهرنا هذا .
فقال لي : والله ما أنا سوى حسنةٍ من حسنات رجلٍ خلفته وراء ظهره .

فقلت له : أخبرتُ أن عندك اسماً من أسماء الله ، تبلغ به في كلِّ يومٍ ليلةً بيت المقدس وترجع إلى بيتك .

فقال لي : وهل تعرف بيت المقدس ؟

قلت : لا أعرف إلا بيت المقدس الذي بالشام .

قال : ليس بيت المقدس ، ولكنه البيت المقدس ، وهو بيت آل محمد ﷺ .

فقلت له : أما ما سمعتُ به إلى يومي هذا ، فهو بيت المقدس .

فقال لي : تلك محاريب الأنبياء ، وإنما كان يقال لها : حظيرة المحاريب ، حتى جاءت الفترة التي كانت بين محمدٍ وعيسى صلى الله عليهما ، وقرب البلاد من أهل الشرك وحلت النقمات في دور الشياطين ، فحولوا ، وبدلوا ، ونقلوا تلك الأسماء ، وهو قولُ الله تبارك وتعالى :
- البطنُ آل محمد ، والظهرُ مثلُ - : ﴿ إِن هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ (١) .

فقلت له : إنني قد ضربتُ إليك من بلدٍ بعيد ، تعرّضتُ لك بحاراً ، وغُموماً ، وهموماً ، وخوفاً ، وأصبحتُ وأمسيْتُ مؤيساً ألا أكون ظفرتُ بحاجتي .

فقال لي : ما أرى أمك حملت بك ، إلا وقد حضرها ملكٌ كريمٌ ، ولا

(١) سورة يوسف : ٤٠ وسورة النجم : ٢٣ .

أعلم أن أباك حين أراد الوقوع بأمك، إلا وقد اغتسلَ وجاءها على طهرٍ، ولا أزعم إلا أنه قد كان درسَ السُّفر الرابع من سَحَره ذلك فحُتم له بخير.

إرجع من حيث جئت، فانطلق حتى تنزل مدينة محمد ﷺ، التي يُقال لها: طيبة، وقد كان في الجاهلية يثرب، ثم اعمد إلى موضع منها يقال له: البقيع، ثم سل عن دارٍ يقال لها: دار مروان، فانزلها وأقم ثلاثاً. ثم سل عن [الشيخ] الأسود الذي يكون على بابها يعمل البوارى، وهي في بلادهم اسمها: الخصف. فالطف بالشيخ وقل له: بعثني نزيلك الذي كان ينزل في الزاوية في البيت الذي فيه الخشبيات الأربع. ثم سل عن فلان بن فلان الفلاني، وسله أين نادية، وسله أي ساعة يمر فيها فليركته، أو يصفه لك فتعرفه بالصفة، وسأصفه لك.



قلت: فإذا لقيته، فأصنع ماذا؟
قال: سله عما كان، وعما هو كائنٌ. وسله عن معالم دين من مضى ومن بقي.

مركز تحقيقات كويتية للدراسات الإسلامية

فقال له أبو إبراهيم عليه السلام: قد نصحك صاحبك الذي لقيت.

فقال الراهب: ما اسمه جعلت فداك؟

قال: هو مُتَمُّمُ بنُ فيروز، وهو من أبناء الفرس، وهو ممن آمن بالله وحده لا شريك له، رعبده بالإخلاص والإيقان، وأثر من قومه لما خافهم، فوهب له ربه حكماً، وهداه لسبيل الرشاد، وجعله من المتقين، وعرف بينه وبين عباده المخلصين. وما من سنة إلا وهو يزور فيها مكة حاجاً، ويعتمر في رأس كل شهر مرة، ويجيء من موضعه من الهند إلى مكة فضلاً من الله وعوناً، وكذلك يجزي الله الشاكرين.

ثم سأله الراهب عن مسائل كثيرة، كل ذلك يجيبه فيها.

وسأله الراهبُ عن أشياء لم يكن عند الراهب فيها شيء، فأخبره بها.

ثم إن الراهب قال: أخبرني عن ثمانية أحرفٍ نزلت فتبين في الأرض منها أربعة، وبقي في الهواء منها أربعة. على من نزلت تلك الأربعة التي في الهواء، ومن يفسرها؟

قال: ذاك قائمنا، يُنزله الله عليه فيفسره. ويُنزل عليه ما لم يُنزل على الصديقين والرسل والمهتدين.

ثم قال الراهب: فأخبرني عن الإثنين من تلك الأربعة التي في الأرض ما هي؟

قال: أخبرك بالأربعة كلها:

أما أولاهن: فلا إله إلا الله وحده لا شريك له باقياً.

والثانية: محمد رسول الله ﷺ مخلصاً.

والثالثة: نحن، أهل البيت.

والرابعة: شيعتنا منّا، ونحن من رسول الله ﷺ، ورسول الله من الله.

فقال له الراهب: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن ما جاء به من عند الله حق، وأنكم صفوة الله من خلقه، وأن شيعتكم المطهرون المستبدلون - المستدلون - فلهم عاقبة الله، والحمد لله رب العالمين.

فدعا أبو إبراهيم عليه السلام بجبة خز، وقميص قوهي - ضرب من الثياب - وطيلسان، وخف، وقلنسوة فأعطاه إياها. وصلى الظهر، وقال له: اختين.

فقال : قد اختتنتُ في سابعي - أي اليوم السابع من ولادته^(١) .

ولو أطلقنا للقلم عِناهُ ، لبدا عاجزاً في ميدان بيانِ عِلْمِ الأئمة بما كان ، وبما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ! . فإنهم علماء غيرُ معلّمين ، وهكذا خلّقهم ربُّ العالمين . . وبمقدار ما يحاول الإنسان البحثُ في علمهم ومن أين كان ، وكيف أتاهم ، وكيف استوعبوه ، بمقدار ما يظهر جهله بحالهم التي تفرّق كثيراً عن حال سائر العالمين .

وكما أنه سبحانه خلق الطويلَ والقصيرَ ، والأبيضَ والأسودَ ، والذكيَّ والأحمقَ ، والأنثى والذكرَ ، فكذلك خلق الإمامَ إماماً منذ ولادته ، كما خلّقني وخلّقك غير إمامين من حين ولادتنا . وكذلك أعطاه الفهم والعلم كما أعطاه اللحم والعظم وجميع مقومات الجسم . ولا يعجب من ذلك إلا مَنْ يضيّق صدره بالحقائق الربّانية ؛ وهذا لا شأن لنا معه على كلِّ حال ، لأنّه لم يقتنع بما جاء به الأنبياء والمرسلون ، أفنحاول أن نُقنعه ونحن لا نملك المعجزة ، ولا نستطيع ابتداع الخوارق ؟ . لا ، فنحن نكتب لمن يطلب الحقَّ أينما كان ، وينشد الحقيقة التي وجدت .

قيل إنّه : «دخل موسى بن جعفر عليه السلام بعض قرى الشام متنكراً هارباً . فوقع في غارٍ وفيه راهبٌ يعظُّ في كلِّ سنة يوماً .

فلما رآه الراهبُ دخله منه هيبةٌ ، فقال : يا هذا ، أنت غريب ؟ .

قال : نعم .

قال : منأ أو علينا ؟ .

قال : لستُ منكم .

(١) الكافي ١م ص ٤٨١ إلى ص ٤٨٤ وحلقة الأبرار ج ٢ من ص ٢٤٠ إلى ص ٢٤٤ .

قال: أنت من الأمة المرحومة؟.

قال: نعم.

قال: أفمن علمائهم أنت، أم من جهالهم؟.

قال: لست من جهالهم.

فقال: كيف طوبى أصلها في دار عيسى، وعندكم في دار محمد، وأغصائها في كل دار؟.

فقال ﷺ: الشمس قد وصل ضوؤها إلى كل مكان، وكل موضع، وهي في السماء.

قال: وفي الجنة لا ينفذ طعامها وإن أكلوا منه، ولا ينقص منه شيء؟.

قال: السراج في الدنيا يقتبس منه، ولا ينقص منه شيء. - أي من نوره - .

فقال: في الجنة ظلّ ممدود؟.

فقال ﷺ: الوقت الذي قبل طلوع الشمس (كله) ظلّ ممدود قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِنِّي رَبُّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ . . ﴾^(١) - يعني أن الظلّ الممدود يشبه ذلك - .

قال: ما يؤكل ويشرب في الجنة، لا يكون بولاً ولا غائطاً؟.

قال ﷺ: الجنين في بطن أمه . . - أي حال الجنين الذي يتغذى ولا يخرج فضلات - .

(١) سورة الفرقان: ٤٥.

قال : أهل الجنة لهم خدَمٌ يأتونهم بما أرادوا بلا أمرٍ . ١٩ .

قال : إذا احتاج الإنسان إلى شيء ، عرفت أعضاؤه ذلك . ويفعلون مراده بلا أمر . - يعني أن الخدَم كالأعضاء التي تُحسُّ بالحاجة . -

قال : مفاتيح الجنة من ذهبٍ أو فضةٍ . ١٩ .

قال : مفاتيح الجنة لسانُ العبد : لا إله إلا الله .

قال : صدقت ، وأسلمَ والجماعةُ معه^(١) .

فأنت ترى أن الأسئلة التي سألتها الراهب كانت مبتكرةً ، ولكنها كانت لا تستعصي على الإمام عليه السلام . وهي إن دلت على شيء فإنما تدلُّ على علم هذا الراهب العارف بالدين ، الباحث عن الحق ، الساعي وراء الحقيقة التي بشرَ بها دينه الكريم على لسان نبيه عيسى بن مريم عليه السلام . وهذا الراهب يعرف أكثر الأجوبة على أسئلته من طريق دينه المسيحي بلا أدنى ريب ، ولكنه إنما سأل الإمام عنها ليعرف أن هذا الرجل الذي دخلته منه الهيبة حين رآه ، هل هو من الأولياء ، أم من الشوكة في الأمة المرحومة التي ينتسب إليها . فلم يُحاور محاوره مكابرةً ، ولا تعنت في أسئلته ، بل كانت أسئلته بمنتهى العفوية ، وتلقى أجوبتها بمنتهى الرضى والقبول ، فاستدل على علم هذا الإمام العظيم بأبسط الطرق وأقصرها . . فما أحسن مُحاجة العلماء . ١٩ .



(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١١ - ٣١٢ .

مع السلاطين.. والظالمين!

كان في سني إمامة الكاظم عليه السلام، بقية ملك أبي جعفر المنصور الدوانيقي، ثم ملك ابنه المهدي عشر سنين وشهراً وأياماً، ثم ملك ابنه الهادي - موسى بن جعفر - سنة وخمسة عشر يوماً، ثم ملك هارون بن محمد الملقب بالرشيد ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وسبعة عشر يوماً، وبعد مضي خمس عشرة سنة من ملك الرشيد، استشهد الإمام عليه السلام مسموماً في حبس هارون على يد السندي بن شاهك، كما فصلنا سابقاً^(١).

وقد كانت هذه العهود الأربعة، عهد ظلم شديد لبني علي عليه السلام، أرهصت عن سلطة عباسية فاشمة، حادت عن خط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفعلت بنسله الأفاعيل، وشردتهم، وسجنتهم، وقتلتهم شرقتيل، ودفنت بعضهم أحياء كأحجار أساس لقصور الطغيان الذي أربى على طغيان بني أمية أضعافاً مضاعفة! ذلك أن الأمويين - وهم أعداء تقليديون لبني هاشم - قتلوا خمسة أئمة من أهل بيت النبي صلوات الله عليه وعليهم، وتزلفوا للكثير من

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٢٣ - ٣٢٤، إعلام الوري ص ٢٨٦ وتواريخ أهل البيت ص ١٨٣ ووفاء الإمام موسى الكاظم ص ٥١ وانظر المصادر الباقية في موردها السابق.

العلويين، وأغدقوا عليهم العطايا والنهب، في حين أن العباسيين قاموا
مطالبين برد الظلّامة عن العلويين، ثم لما انتصروا انقلبوا عليهم وقتلوا ستة
من الأئمة عليهم السلام، ظلماً وعدواناً، وأرعبوا كلَّ علويٍّ، ونكّلوا بمن وقع في
أيديهم منهم، وناصبوهم عداً سافراً، سافلاً، حسداً من عند أنفسهم .

فيا خلفاء النبي صلى الله عليه وآله من بني العباس، بل يا مخالفيه ومفارقة دينه
الذي جاء به من عند ربه، أما سمعتم قوله صلى الله عليه وآله : «مَنْ صَنَعَ مَعَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ
بَيْتِي يَدًا، كَافَأْتَهُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

فأية يد صنعتم مع أهل بيته، حين أخذتم تلك العترة الطاهرة بأقسي
الشدة، وأخفتم ذريته عامة، وتعقبتم نسله وأنتم تحكمون باسمه ١٩ .

ألم تقع أنظاركم على قوله صلى الله عليه وآله : «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى مَنْ ظَلَمَ
أَهْلَ بَيْتِي، أَوْ أَغَارَ عَلَيْهِمْ، أَوْ سَبَّهُمْ»^(٢).

أنا في شك من أنكم سمعتم شيئاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وصدقتموه،
مثلما أنني على يقين من أنكم كذبتُم بقوله، وبوحي ربه، وكان شعاركم قول
يزيد:

لعبت هاشم بالملك، فلا خبر جاء، ولا وحي نزل
فكانت تصرفاتكم مع المؤمنين تصرفات وثنيين في لباس مسلمين،
ومرتدين عن الدين بسبيل ملكٍ أعمى منكم البصائر والأبصار.

لقد نهى الله تعالى عن الظلم، وذم الظالمين ولعنهم، فمارستم الظلم
بأبشع ألوانه، ثم أوصى النبي صلى الله عليه وآله بالتمسك بكتاب الله فنبذتموه وراءكم
ظهرباً، ثم أمر بتولي أهل بيته الأَطهار وأتباع أمرهم لأنهم مع الحق فخالفتهم

(١) ذخائر العقبى ص ١٩ وكثير من المصادر الإسلامية .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠ .

وصيته بهم، ثم هجرتم السنة وخط الإسلام، وحكمتهم بالأهواء الضالة في بني فاطمة الشريفة وأذقتموهم العذاب الواناً حتى لو أن رسول الله ﷺ أوصاكم بتعذيبهم وقتلهم لأخذتكم الشفقة يا جبابرة التاريخ وظلمة الأحكام. . . ولقد نسيتم يوم الحساب وأموال القيامة، حيث ﴿ تَذْهَبُ كُلُّ مَرَضَةٍ مِمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (١).

فمن اعتقد بأنكم صدقتم بذلك اليوم العصيب، فقد غلط غلطاً عظيماً، وأخطأ خطأ جسيماً، أو أنه جهل حقيقة أمركم، أو حقيقة الإسلام الذي لم تكونوا منه في حال من أحوالكم، ولا تسميتم باسم الإسلام والمسلمين. ومن انحل لكم أهداراً فقد شارككم في ظلمكم، وبرز عملكم الباطل الذي كنتم عليه، والذي يمقته الله تعالى ورسوله.

فالحقيقة لا تخفى على أحد، وبنو العباس طواغيث حُكم فتكوا - أكثر ما فتكوا - بالمسلمين! . ولو أنهم ضبوا غضبهم وحقدهم على أعداء الإسلام لخدموا الدين خدمات جلى، ولكنهم - على العكس - قربوا أعداء الدين، وأوسعوا لهم بسطهم، وشاطروهم الشكر والفجور وجعلوا لهم مواخير في قصورهم التي كانت تفيض دائماً بروائح النتن من السكارى والراقصات والمغنيات وسائر أهل الهوى والفسق. ولو أطلعت على تفاصيل ما كان يجري في دهاليز قصورهم من المنكرات، لرأيت عجباً، ولوقفت مشدوهاً، كيف تؤدي لذة التسلط إلى ما لا يجوز في دين ولا في شرع.

نعم، غر العباسيين التسلط على رقاب العباد، وغشهم غشراً سوء، وساعدهم على ذلك أكلة مال المسلمين من وزراء وفقهاء وقواد وولاة وعمال.

(١) سورة الحج: ٢.

أهكذا عاملَ رسولُ الله ﷺ أصحابه ورعيته؟ .

لقد تسربل هؤلاء بسربال خلافته، ونزوا على منبره، وخالفوا جميع ما جاء به من عند ربه، وصدقني أنه لو حكم المسلمون يومئذٍ وثنيًا باسم ذلك المنبر الشريف، لكان أعدلَ منهم، وأرأفَ بالناس، وأرحمَ بالكل، ولجمع الفقهاء من حوله ليُفتوا الناس بالحق، وليُنقذوه من بعض المآزق.

أما هم فقد حكموا المسلمين كما لو حكمهم الوثني الظالم الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

وأنا لم أظلمهم، ولا جرّدتهم من شخصياتهم المزيّفة في التاريخ، إلاّ لأنني أحبُّ أن أخلص الكثيرين من الجهل بحقيقة ما كان عليه خلفاء نبي الإسلام!!!

وها أنذا أعرضُ حالَ بعض خلفائهم مع بعض أبناء رسول الله - صلى الله عليه وعليهم - دون أن أعرض إلى شيء مما كانوا عليه من الخروج عن ملة الإسلام، وللقارىء أن يحكم بنفسه.

قد روى إمامنا الكاظم، عن آبائه عليهم السلام جميعاً، فقال:

«قال عليٌّ عليه السلام: إن رسولَ الله ﷺ، دخل على ابنته فاطمة عليها السلام، وإذا في عنقها قلادة، فأعرضَ عنها، فقطعتها ورمتُ بها. فقال لها رسولُ الله ﷺ: أنتِ مني يا فاطمة! .

ثم جاء سائلٌ فناولته القِلادة.

ثم قال رسولُ الله ﷺ: اشتدَّ غضبُ الله على من أهرقَ دمي وأذاني في عترتي»^(١).

(١) المحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٠٨.

وهذا الرسول هو سلطان السلاطين، وخيرة الله من الخلق أجمعين، وقد وقف من ابنته العظيمة هذا الموقف الصلب حين رأى في عنقها قلادة ذهب أو فضة من مال المسلمين. فكم وكم نثر هؤلاء الخلفاء من الدر والجواهر على أقدام الراقصات والمغنين، وكم وكم بعثوا من مال الله على الخمر واللغو وفي أبواب المحرمات؟ لقد اشتروا كثيراً من ضمائر العملاء - وفيهم العلماء - الذين قلدوهم هذه المناصب، وبايعوهم على هذه المراكز، وخلعوا عليهم ألقابها وحللها .

فمن عديري من المدافعين عن تلك الطغمة التي خضمت مال الله خضماً، وأذاقت عبادة الله الصالحين شظف العيش ومرارة الحياة، وظلام السجون .

ولكن، لا تعجب من المدافعين عن أهل الباطل، لأنهم يكونون قد ملأوا جيوبهم وكروشهم، وأتاحوا لهم فرصة العيش في نعيم القصور، والخمر، والفجور. وأنا لا أزال أرى أن ذنب العباسيين مزدوج يفوق ذنب الأمويين، لأنهم قاموا على سلفهم ليردوا النصف إلى العلويين، حتى إذا صارت الكرة في مرماهم طمعوا بالملك، وتقمصوا الخلافة كما تقمصها السابقون لهم، وعرجوا على العلويين فبدأوا ببيادتهم، مع أن علياً، أمير المؤمنين عليه السلام، لما انتهت إليه الخلافة وظف في حكومته أربعة من بني العباس .

أجل، فعلوها، وخانوا قصدهم حين ذاقوا حلاوة الحكم، فكادوا - أول ما كادوا - لأبناء عموماتهم، فصدق فيهم قول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن

تَفْعِيَةً لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ (١).

فَلْيُدَافِعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ غَدًا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِمْ فِي يَوْمِ الْعَدْلِ إِنْ اسْتَطَاعُوا؛
وَلَنْ يَنْفَعَهُمْ دِفَاعٌ مَنِ دَافَعَ عَنْهُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا، بَلْ يَجْعَلُهُ شَرِيكًا مَعَهُمْ فِي
مُؤَبِّقَاتِهِمْ وَأَثَامِهِمْ - قِطْعًا، وَجِزْمًا - .

«حُكِيَ أَنَّهُ مُغِصَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ - أَي أَحْسَ بَوَجَعٍ فِي أَمْعَائِهِ - فَعَجَزَ
بِخْتِشْوَعِ النَّصْرَانِيِّ عَنْ دَوَائِهِ، وَأَخَذَ جَلِيدًا فَأَذَابَهُ بِدَوَائِهِ، ثُمَّ أَخَذَ مَاءً وَعَقَدَهُ
بِدَوَائِهِ وَقَالَ: هَذَا الطَّبُّ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُسْتَجَابٌ دَعَاءٍ ذَا مَنْزِلَةٍ عِنْدَ اللَّهِ يَدْعُو
لَهُ .

فَقَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ: عَلِيُّ بِمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ .

فَأْتَيْتَ بِهِ، فَسَمِعَ فِي الطَّرِيقِ أُنَيْتَهُ؛ فَدَعَا اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَزَالَ مَغِصُّ
الْخَلِيفَةُ، فَقَالَ لَهُ: بِحَقِّ جَدِّكَ الْمَصْطَفَى أَنْ تَقُولَ: بِمَ دَعَوْتَ لِي؟ .

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قُلْتَ: اللَّهُمَّ كَمَا أَرَيْتَهُ ذُلَّ مَعْصِيَتِهِ، فَأَرَوْهُ عِزَّ طَاعَتِي .

فَشَفَاهُ اللَّهُ مِنْ سَاعَتِهِ (٢).

نَعَمْ، رَأَى الْخَلِيفَةُ الْجَبَّارُ ذُلَّ مَعْصِيَتِهِ حِينَ اضْطُرَّ - رَاغِمًا - أَنْ يَلْجَأَ
إِلَى دَعَاءِ الْإِمَامِ مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ، ثُمَّ رَأَى عِزَّ طَاعَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ رَأَى رَبَّهُ
يَسْتَجِيبُ لِدَعَائِهِ فَوْرًا .

وَهَذَا الْخَلِيفَةُ الْجَبَّارُ كَادَتْ تَقْتُلُهُ نَخْسَةٌ رِيحٌ فِي أَمْعَائِهِ عَجَزَ أَمْهَرُ أَطْبِيَاءِ
الْقَصْرِ عَنْ مُعَالَجَتِهِ وَقَالَ: هَذَا الدَّوَاءُ لِهَذِهِ الْعَلَّةِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشْفِهَا، فَلَا بُدَّ
مِنْ دَعَاءِ وَلِيِّ مَنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لِيُزِيلَ ذَلِكَ الْعَارِضَ . وَقَدْ نَطَقَ الطَّبِيبُ بِالْحَقِّ،
فَرَفَسَ بِذَلِكَ كِبْرِيَاءَ الْخَلِيفَةُ التَّعْيِيسَ الَّذِي لَجَأَ لِطَبِّ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالَ:

(١) سورة الحج: ١١-١٣ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٠٥ .

عليّ بموسى بن جعفر ا. فرغِمَ أنفه، وذلت كبرياؤه أمام مخصرٍ مزق أمعاءه .
 أما الإمام عليه السلام فقد ضرب جبروت الخليفة بكلمة قاصفة جرّده من
 خيالاته وزهوه، وعرّته من هالة تعظيمه حين قال للخليفة: قلت اللهم كما
 أريته ذل معصيته، فأره عز طاعتي، حين تُريه علاقتي بك يا ربّ الأرباب .
 فما هي إلا لحظة ظهرَ فيها الإمام صلوات الله عليه عملاق سماء ا .
 وبدا فيها الخليفة الممغوص قزَم أرض . .

أفلا تعرف ربك إلا عند الشدة يا سلطان الزمان ١٩ .

ولا تعرف وليّ الله إلا عند الضيق وتخيّل الموت ١٩ .

فَمَثَلُ مَثَلِ الَّذِينَ ﴿ فَإِذَا رَجَعُوا فِي الْأَعْلَالِ دَعَوُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُمُ الدِّينَ فَلَمَّا
 بَدَّلَهُمْ إِلَى آلِهِ إِذَا هُمْ يَشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ (١) . بل أنت من الذين ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ
 كَالظُّلَلِ دَعَوُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُمُ الدِّينَ فَلَمَّا بَدَّلَهُمْ إِلَى آلِهِ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ
 بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٦٦﴾ (٢)

وأنت يا سلطان الزمان لا تضطرُّ أحداً للبرهنة على جحكك بآيات ربك
 والكفر بها، فإن سيرتك غنية بالزّلل والخطل .

وعن أبي محمد، الحسن العسكري عليه السلام، قال :

«قال رجلٌ من خواصّ الشيعة لموسى بن جعفر عليه السلام، وهو يرتعد،
 بعدما خلا به: يا بن رسول الله، ما أخوفني أن يكون فلان بن فلان ينافقك
 في إظهار اعتقاد وصيِّتك وإمامتك ا .

(١) سورة العنكبوت: ٦٥ .

(٢) سورة لقمان: ٣٢ .

فقال موسى عليه السلام: وكيف ذلك؟

قال: لأنني حضرت معه اليوم في مجلس فلان - أي بعض أعوان الخليفة - وكان معه رجلٌ من كبار أهل بغداد، فقال له صاحب المجلس: أنت تزعم أن صاحبك موسى بن جعفر إمامٌ دون هذا الخليفة القاعد على سريره؟

قال له صاحبك هذا: ما أقول هذا، بل أزعِم أن موسى بن جعفر غيرُ إمام، وإن لم أكن أعتقد أنه غير إمام، فعليَّ وعلى من يعتقد ذلك لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين.

فقال له صاحب المجلس: جزاك الله خيراً، ولعنَ من وشى بك إليَّ.

فقال له موسى بن جعفر عليه السلام: ليس كما ظننت؛ ولكنَّ صاحبك أفتُّه منك. إنما قال عني: موسى غير إمام، أي إن الذي هو غير إمام فموسى غيره. فهو إذاً إمام - فإنما أثبت بقوله هذا إمامتي، ونفى إمامة غيره.

يا عبدَ الله، متى يزول عنك هذا الذي ظننته بأخيك هذا من النفاق؟
تُب إلى الله.

ففهم الرجل ما قاله واغتمَّ، ثم قال: يا بن رسول الله، مالي مالٌ فأرضيه به، لكن قد وهبتُ له شطراً عملي من تعبدي وصلاتي عليكم أهل البيت ومن لعنتي لأعدائكم.

قال موسى عليه السلام: الآن خرجت من النار^(١).

فقد كان إمامنا الكاظم عليه السلام، يعيش تلك الفترة في ظلِّ عهدٍ شديدةٍ

(١) هو إلى الرقم الأول (١) في مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٥ - ٣١٦ وهو إلى الرقم الثاني (١) أي بكامله في الاحتجاج ج ٢ ص ٣٩٤ - ٣٩٥.

الظلم، وكذلك كان أشياؤه وأتباعه في ضيقٍ خانقٍ لما كانوا يعانون من جور الحكّام، وكانت دماؤهم أرخص ما يكون لدى الخليفة ومَن دار في فلكه، إذ كانوا مستضعفين، سريعاً ما يؤخذون للذبح بلا محاكمةٍ ولا استجواب. وهذا ما جعل الشيعة يتفننون في صياغة الأجوبة على الأسئلة المُحرّجة لكي تَسَلِّم رؤوسهم. فتأمل هذه الدقة العجيبة في جواب ذلك الفقيه الذي خلّص نفسه في مجلس الخليفة من سؤالٍ يرفعه إلى حَبْلِ المشنقة؛ فنطق بالحق الذي يعتقد ويؤمن به في قرارة نفسه، وأوهم الخليفة وصاحبه النمام أنه على مذهبهم من إنكار إمامة الإمام. ثم لعنهم أثناء جوابه لعناً يظنّه السامع يلتصق بكلِّ مَن يعتقد بإمامة الكاظم عليه السلام، وهو على العكس.

إن جواب ذلك الفقيه من أبرع الأجوبة، وقد خفي مفهومه الحقيقي على السامعين، ولم يفسره إلا الإمام عليه السلام حين سمع نصّه، وأوضح معناه الخفي لصاحبه. . . فما أصعب الحياة بين أهل النفاق والمروق. وإن جواب ذلك المتشيع في مجلس الخليفة وجلالته: أزعج أن موسى غير إمام، قولٌ فيه مغالطةٌ لفظيةٌ بارعة، أرضت كبرياء الخليفة وأشعبت غرور أهل المجلس، وهي في الواقع قد صفت تلك الكبرياء وذلك الغرور.



«رُوي عن أبي الحسن، موسى بن جعفر الكاظم، أنه قال: لما سمعتُ هذا البيت وهو لمروان بن أبي حفصة:

أني يكون، ولا يكون، ولم يكن ليُنِّي البناتِ وراثَةَ الأعمامِ
دار في ذلك ليلتي - أي أزعجه كثيراً - فقامتُ تلك الليلة، فسمعتُ هاتفاً في منامي يقول:

أني يكون، ولا يكون، ولم يكن
ليُنِّي البناتِ نصيبهم من جدّهم
للمشركين دعائم الإسلام
والعمّ متروكٌ بغير سهام

ما للتطبيق وللثراث، وإنما سجدَ الطليقُ مخافة الصمصامِ
وبقى ابنُ نسلَةٍ واقفاً متلذداً فيه، ويمنعُه ذوو الأرحامِ
إنَّ ابنَ فاطمةَ المنوَّةَ باسمه حازَ الثراثَ سوى بني الأعمامِ»^(١)

فإنَّ إرثَ النبي ﷺ، جعله خلفاؤه قضيةً سياسيةً حادوا فيها عن حُكم
الله تعالى في الموارِيث، وابتدعوا فيها حُكماً عجيبياً ما أنزل الله به من
سلطان، لا في القرآن، ولا في السُّنة النبوية الشريفة. وهي في الأساس
كانت ترمي - من أول الأمر - إلى إضعاف بني هاشم مادياً إضعافاً لا تقوم لهم
معه قائمة، لأنها بحدِّ ذاتها حربٌ اقتصاديةٌ مدمرة.

أما في العهد العباسي، فاتخذت طابعاً آخر إلى جانب حرب الإفقار،
إذ رموا من ورائها إلى إثبات حق العباس - عم النبي - بالإرث مع وجود
فاطمة وبني فاطمة عليها وعليهم السلام جميعاً، وأنَّ العباس يحجبها
ويحجبُ بنيتها عن الإرث، بقصد إبعاد بنيتها وبني عليٍّ ﷺ عن خلافة
رسول الله ﷺ، ولجأ الثراث إلى قُرصهم جراً شرعياً.

وهذا البيت من الشعر السفيه، أقامَ الإمام ﷺ وأقعدَه ليله كله، لأنه
يحتوي تهجماً سافراً وسافلاً على حقهم الرباني، يتجرأ به شاعرٌ وقحٌ دنيءٌ

(١) يريد بالطليق، العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ. فقد أسر يوم بدر، إذ أسره أبو يسر،
كعب بن عمرو الأنصاري، وكان رجلاً صغير الجثة، وكان العباس رجلاً قوياً عظيماً، فقال
النبي ﷺ لأبي اليسر: كيف أسرته؟ قال: أعانني رجلٌ ما رأيتُه قبل ذلك ولا بعد. فقال
النبي ﷺ: لقد أهانك عليه ملكٌ كريم. ولما أمسى القوم والأسارى محبوسون في الوثاق،
وفيهم العباس، بات رسول الله ﷺ تلك الليلة ساهراً. فقال بعض أصحابه: ما يسهرك يا
رسول الله؟ قال: سمعتُ أنينَ العباس. فقام رجلٌ من القوم فأرخص من وثاقه شيئاً، فقال
رسول الله ﷺ: ما بالي لا أسمعُ أنينَ العباس؟ فقال رجلٌ من القوم: أرخصتُ من وثاقه
شيئاً. قال: إفعل ذلك بالأسارى كلهم. (راجع تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٨٨ والدرجات الرفيعة
للسيد علي خان المدني ص ٨٠ وانظر الاحتجاج ج ٢ ص ٣٩٤).

يعيش على فئات مائدة السلطان ويلحس الصحون ليملاً كرشاً أجوف لا يحب أن يدخله الرزق الحلال . وما زالت فئات موائد السلطان لا تُنال إلا بالكذب على الله تعالى ورسوله، فليكن ذلك، ولو أدى إلى قول البهتان والإفك العظيم الذي يخول الدنيا الجلوس على مائدة القصر ليلتقط الفضلات .

إن أمثال هذا الشاعر - التاجر، الفاجر - قد كانوا مجهولين ومُمتَهِنين، فروجوا أنفسهم بمثل هذه الافتراءات على الله ورسوله، فضجت بها مجالس الباطل وعجت، وخولتهم أن يلجوا إلى مجلس السلطان من باب اللُحوسة لدس رخيص يرضي الظلام . ولم يكن ذلك إلا من زنادقة لا يمتون إلى الدين بصلة . . ﴿ وَبَلِّغْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ (١)

فالنبي ﷺ بأرق ويضطرب لأنين العباس وهو في القيد يوم أسير، وبنو العباس يقتلون أبناء رسول الله تحت كل حجرٍ ومدبرٍ، ويُشردونهم في كل مكان !



مركز تحقيقات علوم و تاریخ اسلامی

(١) سورة المجاثية : ٧ .

مع أبي جعفر المنصور

«أخبر الإمام الباقر - عليه السلام - أن المنصور العباسي يملك الأرض شرقها ومغربها، وتطول مدته.

فقال المنصور للباقر - عليه السلام - : «أملكنا قبل ملككم؟»

قال : نعم .

قال : أملك أحد من ولدي؟

قال : نعم .

قال : فمدة بني أمية أطول أو مدتنا؟

قال : مدتكم . وليلعبن بهذا الملك صبيانكم كما يلعب بالكرة! . هذا ما عهد إلي أبي^(١) .

ولقد صدقت، وصدق أبوك وأجدادك صلوات الله عليكم يا باقر العلم! . فإنكم لم تخمنوا، ولم تتكهنوا، ولم تقولوا شيئاً من عندكم، بل علمكم من علم جدكم الأعظم عليه السلام، فلا عجب أن تُخبروا عما يكون في المستقبل لأنكم تصدرون في ذلك عن مُقدر الأقدار، ولذا كتتم أصدق

(١) أنظر ينابيع المودة ج ٣ ص ١٠ .

القائلين بعد الله تبارك وتعالى، وهذا يعرفه فيكم المحب والمبغض ﴿ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كَلُّ مَعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ (١) يكذب بأمور السماء برؤمها.

وكانني بأبي جعفر المنصور قد جدل وطرِبَ لهذه البشارة، واطمأن إلى ملك طويل يتلاعب به صبيان العباسيين كتلاعب الأولاد بالكرة، وأكثر مما تلاعب به أسلافهم من بني أمية. . وبعد هذا الاطمئنان أعطى لنفسه هواها، وذهب على طيِّته وسوء نيَّته، يفعل الأفاعيل، ويأتي بالأباطيل، وينشر الدُّعر في أطراف البلاد الإسلامية، ويُسرف في التقتيل والتكثيل.

فقد كان ملك المنصور عُسراً ليس فيه يسر؛ خيم فيه الرعب على الناس فلم يذوقوا حلاوة العيش في ظلِّ سيفه المُصلتِ فوق الرؤوس، إذ وضع على كل إنسان عيناً ورقياً وخنق الأنفاس، واختطف النفوس بالجملة وبالمفرق. . وأخاف أكثر ما أخاف العلويين، وقسا أشد قسوة على الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وأمر فيما أمر بأن يحرق بيت الإمام الصادق عليه السلام، عليه وهو فيها! . وكأنه بذلك كافاً والده الإمام الباقر عليه السلام على بشارته بأنه يملك وتطول مدته! .



قال محمد بن سنان: «دخلت على أبي الحسن، موسى بن جعفر عليه السلام، من قبل أن يقدم العراق بسنة، وعلي ابنه جالس بين يديه، فنظر إلي وقال:

يا محمد، إنه سيكون في هذه السنة حركة، فلا تجزع لذلك.

قلت: وما يكون، جعلت فداك، فقد أقلقني ما ذكرت!؟ .

(١) سورة المطففين: ١٢.

فقال: أصيرُ إلى هذا الطاغية. أما إنه لا يبداني منه سوء - أي لا يُصيبني شرٌ - . ومن الذي يكون بعده .

قلت: وما يكون، جعلتُ فداك؟ .

قال: يُفِضُ اللهُ الظالمين، ويفعل اللهُ ما يشاء . .^(١) في حديث طويل ليس هنا محلُّ الحاجة لتمامه .-

وفي هذا الحديث يتجلَّى علمُه ~~عليه السلام~~ بما يكون في المستقبل .

فقد أخبرَ بِحَدِيثٍ مُفْرَعٍ يَقَعُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، إِذْ يُحْمَلُ إِلَى طَاغِيَةِ زَمَانِهِ قَسْرًا مِنْ جِهَةٍ، ثُمَّ لَا يُصِيبُهُ مِنْهُ سَوْءٌ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ، ثُمَّ لَا يُؤْذِيهِ الْخَلِيفَةُ الَّذِي يَأْتِي بَعْدَ الْخَلِيفَةِ الْحَالِي أَيْضًا . . وَقَدْ قَالَ ذَلِكَ بِتَمَامِ التَّأَكِيدِ وَالطَّمَأْنِينَةِ وَالْعَفْوِيَّةِ وَيَتَرَاءَى لِلْجَاهِلِ بَعْلِمِهِ كَأَنَّ الْقَدْرَ بِيَدِهِ - وَاسْتَغْفَرَ اللهُ - مَعَ أَنَّهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ بِتَعْلِيمٍ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْقَدِيرِ .

وَمِنَ الْمُؤَسَفِ أَنَّ سُلَاطِينَ بَنِي الْعَبَّاسِ، كَانَ ذَيْدُهُمُ الْجَمْعُجَةُ بِأَثَمَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ سَلَامُ اللهِ عَلَيْهِمْ، ~~رَحِمَهُمُ اللهُ~~ كَأَنَّ مِنْ شُرُوطِ تَوَلِّيهِمْ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ، أَنْ لَا يَتْرَكُوا الصَّالِحِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَقِرُّونَ فِي بُيُوتِهِمْ وَبَيْنَ أَسْرِهِمْ كَسَائِرِ النَّاسِ الْعَادِيِّينَ . فَقَدْ كَانُوا يُصَيِّرُونَهُمْ مَا بَيْنَ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ، وَيَتَلَهَّوْنَ فِي أَذْيَتِهِمْ وَتَعْلِيْبِهِمْ وَالْوُقُوفِ بِوَجْهِهِمْ، كَمَا يَتَلَهَّى لَاعِبُ النَّرْدِ وَالشُّطْرَنْجِ . فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ أَسْهَلُ مِنْ اعْتِقَالِ الْإِمَامِ وَحَمَلِهِ إِلَى بَغْدَادٍ مُحَاطًا بِالْجُنُودِ وَالْحَرَسِ، وَأَنْ تُفْرَضَ عَلَيْهِ الْإِقَامَةُ الْجَبْرِيَّةُ فِي عَاصِمَةِ الْحُكْمِ، أَوْ أَنْ يُزَجَّ بِهٖ فِي غِيَابِ السَّجْنِ، وَيُنْقَلَ مِنْ حَبْسٍ إِلَى حَبْسٍ كُلَّمَا رَفَضَ صَاحِبُ حَبْسِهِ أَنْ يَقْتُلَهُ . . . وَهَمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ مَعَ سَادَةِ النَّاسِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْسَبُوا حَسَابًا لِرَبِّ يُحْصِي عَلَيْهِمُ الْأَنْفَاسَ، وَيَأْخُذُهُمْ - حِينَ يَأْخُذُهُمْ - بِسَوْءِ أَعْمَالِهِمْ،

(١) الكافي م ١ ص ٣١٩ والإرشاد ص ٢٨٧ .

وبخسيس فعالهم . . أفلم يكونوا مسلمين يا مسلمين وهم خلفاء على المسلمين؟^١

اللَّهُ ورسوله أعلم . . والناسُ أيضاً يعلمون، ولكنهم لا ييُوحون بالكلمة الصريحة .



وروى داود بن زربي، عن أبي أيوب النحوي، أنه قال:

«بعث إليّ أبو جعفر المنصور في جوف الليل . فأتيته، ودخلتُ عليه وهو جالسٌ على كرسيٍّ، وبين يديه شمعةٌ، وفي يده كتاب .

فلما سلّمتُ عليه رمى بالكتاب إليّ وهو يبكي، فقال لي: هذا كتاب محمد بن سليمان يُخبرنا أن جعفر بن محمد - أي الصادق عليه السلام - قد مات . . إنا لله وإنا إليه راجعون - ثلاثاً - وأين مثلُ جعفر؟^١

ثم قال لي: أكتب .

فكتبت صدرَ الكتاب، ثم قال: أكتب: إن كان أوصى إلى رجلٍ واحدٍ بعينه فقدّمه واضربْ عنقه .

قال - أبو أيوب النحوي -: فرجعَ إليه الجوابُ أنه قد أوصى إلى خمسة: وأحدُهم أبو جعفر المنصور، ومحمد بن سليمان - وأبيه علي المدينة - وعبد الله، وموسى - ابنه - وحميدة - زوجته -^(١)

ولكنكم يُعجبني ويُعجب كلُّ ساخرٍ ومستهزئٍ هذا البكاء من الخليفة، لأنه بكاء التماسيح . فإنه بعد أن ارتقى منبر رسول الله ﷺ، أَرعَبَ ابنه الإمام الصادق عليه السلام، وأمر بإحراق بيته عليه، ثم لما مات تظاهرَ بأنه يبكيه .

(١) الكافي ١ م ص ٣١٠ وإعلام الوری ص ٢٩٠ رواه عن أبي أيوب الخوزي، وما ذكرناه أصح، وهو في حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٩١ .

ويأمر بضرب عنق من أوصى له لأنه يكون الإمام من بعده . فتأمل ، واحكم .



«وعن النضر بن سويد، نحو هذا الحديث السابق، إلا أنه قال :

«أوصى إلى خمسة: أولهم أبو جعفر المنصور، ثم عبد الله،
وموسى، ومحمد بن جعفر، ومولى لأبي عبد الله عليه السلام» .

فقال المنصور: مالي إلى قتل هؤلاء سبيل»^(١) .

والرواية الأولى أصح . . ومع ذلك تعجبنى وتعجب كل ساخر
ومستهزئ دموع الممثلات على خشبة المسرح، فإنها دموع تكون تحت
الطلب، ولا علاقة لها بمشاعر صاحبها وأحاسيسه، لأنها أقرب إلى العهر
والفجر . وهذا الخليفة - نبي لم يطلب أجراً على أداء الرسالة إلا مودة
قرباه - يكي لخبر موت ابن رسول الله، وهو أعرف بموته ممن أخبره، لأنه
هو الأمر بقتله سماً . . والأمر بعدها - بضرب عنق وصيه - .

فيا عنق السوء وعين الشيطان، ما ذنب من يوصي له الإمام حتى يجوز
لك ضرب عنقه؟ . لقد كان الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه
وتحياته وبركاته، كان يعلم غباءك ويعرف حمقك وسوء سريرتك، ولذلك
أوصى - أول ما أوصى - إليك ليُلقيمك حجراً، وليضع في فيك التراب،
وليفضح أهدوثك كما فضح أباه الكرام أسلافك اللثام، وليبقى كيدك في
نحرك غصة في صدرك، وليجعلك تموت بغيظك ولا تبلغ حاجتك من ابنه
الكريم ووصيه العظيم .

فَسُحِقاً لِخُلَفَاءِ تَرَبُّعُوا بِاسْمِ الدِّينِ، ثُمَّ عَمَلُوا عَمَلَ الشَّيَاطِينِ . .



(١) إعلام الوري ص ٢٩٠ .

ووردت الرواية السابقة على الشكل التالي :

«دعا أبو جعفر المنصور، في جوف الليل، أبا أيوب الخويزي، فلما أتاه رمى كتاباً إليه وهو يكي، وقال: هذا كتاب محمد بن سليمان، يُخبرنا أن جعفر بن محمد - الصادق عليه السلام - قدم ماتاً. فإنا لله، وإنا إليه راجعون. وأين مثل جعفر!.

ثم قال له: أكتب: إن كان أوصى إلى رجل بعينه، فقدّمه واضرب عنقه.

فكتب، وعاد الجواب: قد أوصى إلى خمسة، أحدهم أبو جعفر المنصور، ومحمد بن سليمان - وأبيه في المدينة - وعبد الله - ابن الإمام - وموسى - ابنه الكاظم عليه السلام - وحميدة - زوجته العظيمة -.

قال المنصور: ما إلى قتل هؤلاء سبيل؟^(١)

فيا أبا جعفر - المخذول - تبكي الإمام وتسترجع، ولا ترى مثيلاً للإمام الصادق عليه السلام بين الناس، ثم تكتب لعميلك غير المحمّد وغير المحمود بضرب عنق الإمام الذي أوصى له!؟. فأنت تتأسف على الراحل بعد أن لَطَّخت يديك بدمه بعد حرق منزله، فما معنى دموعك أيها المتحجّر القلب!؟. والعجيب من عينك كيف تدمع وقلبك في مثل قساوة الصخر، وهو في صدر حامل غلّ وجبروت!؟.

إنّ مَنْ كان بكاءً على العظماء، رقيق الحاشية، مُرهف الحسّ، لا يكتب لواليه: أحرق، دسّ السّم، أقتل! . وبدون ذنب ولا مبرر. . فلا أدري ما هي موازينكم الشرعية أيها الحلفاء المتنازون على منبر رسول الله ﷺ،

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٢٠.

كما تتنازى القردة؟ . لقد ارتضيتموها خلافة ظلم، وفتك، وسفك دماء، وسلطان أيام في الدنيا يؤدي إلى خلود في النار ١٢. فتعساً لملكٍ ملطخ بدماء الأبرياء، انقضت مدته، وحملت وزره، وذقت مرّ نتائجه حين قدتمت إلى المعاد بشر زاد..

لم يعرفكم حق المعرفة سوى أئمتنا عليهم السلام، وغش بريق ذهبكم، وبريق سيفكم فوق الرقاب، جميع معاصريكم، ما عدا بعض المؤمنين والصالحين، ثم غش التاريخ المزور كل من جاء بعدكم.. فسموكم خلفاء ١.

نعم عرفكم إمامنا الصادق عليه السلام، الذي لما رأى في عهد جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، أن أبا جعفر المنصور سيقتله بالسّم، ثم يأمر بقتل وصيه من بعده، أوصى لخمسة جعل أولهم أبا جعفر المنصور.. ودفن غيظك في قلبك الأسود.. وأبقاه دفيناً معك في لحدك لتبعث على عداوة الأبرار الأطهار..

مرکز تحقیقات کتب و تفسیر علوم اسلامی

قال داود بن كثير الرقي: «أتى أعرابي إلى أبي حمزة الشمالي، فسأله خبراً فقال: توفي جعفر الصادق.

فشهق شهقة وأغمي عليه.

فلما أفاق قال: هل أوصى إلى أحد؟.

قال: نعم، أوصى إلى ابنه عبد الله، وموسى، وأبي جعفر المنصور.

فضحك أبو حمزة وقال: الحمد لله الذي هدانا إلى المهدي، وبين لنا عن الكبير، ودلنا على الصغير، وأخفى عن أمرٍ عظيم.

فسئل عن قوله، فقال: بين عيوب الكبير - يعني عبد الله - ودل على

الصغير لإضافته إليه، وكتّم الوصية للمنصور - أي عن المنصور - لأنه لو
سأل المنصور عن الوصي، لَقِيلَ: أنت،^(١).

فَبُورِكَ بالفهم السليم الذي ربّاه فيك أئمّتنا عليهم السلام يا أبا حمزة ! .

وأين حماقة أبي جعفر المنصور، وبلادة ذهنه عن إدراك ما أدركت من
فحوى وصية الإمام الصادق عليه السلام ١٢ . لقد دلّ الإمام على عيوبك يا منصور
بوصيته، ونبّه فيها إلى أنك تبيّت أمراً عظيماً تهتزُّ له الأفلاك ! . فكتّم حقيقة
وصيته عنك، وعَلِمَ - سلفاً - بأنك تُقَصِّر عن تحديد الوصي الحقيقي بذاته
وصفاته، كما يُحدِّده الشيعة الذين ربّاهم إمامهم الصادق سلام الله عليه .



مركز تحقيقات كميوتور علوم اسلامی

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٢٠ .

ومع محمد المهدي

. . ثم نطوي الصفحة الأولى - السوداء - من صفحات تاريخ العباسيين مع إمامنا الكاظم عليه السلام ، لنتفتح صفحة عهدٍ آخرٍ كان له مساسٌ حقيقيٌّ به ، لأن الخليفة الجديد - المهدي - قد بدأ عهده بأسوأ مما انتهى به عهدُ سلفه .
ولتُعطيك صورةً عن تأسيس ذلك السلطان الغاشم على أسس الحقد وخُبث السريرة ، نورد لك نموذجاً حياً مما أجراه ذلك الخليفة الذي لم يعرف الهدى منذ مطلع عهده ، فنضع بين يديك وقائع الجلسة الليلية التالية :
«إنه لما بُوع محمد المهدي ، دعا حميد بن قحطبة نصف الليل وقال :
إن إخلاصَ أبيك وأخيك فينا أظهرُ من الشمس ، وحالك عندي موقوف .

فقال : أفديك بالمال والنفس .

فقال : هذا لسائر الناس .

قال : أفديك بالروح ، والأهل ، والمال ، والولد .

فلم يُجب المهدي .

فقال : أفديك بالمال ، والنفس ، والأهل والولد ، والدين .

فقال : لِلَّهِ دَرْكٌ .

فعا هذه على ذلك . وأمره بقتل الكاظم عليه السلام في السحر بغتة .

فنام - أي المهدي - فرأى علياً عليه السلام يُشير إليه ويقول : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ
إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (١) .

فانتبه مذعوراً ، ونهى حميداً عما أمره ، وأكرم الكاظم ووصله (٢) .

.. ولم هذه العجلة يا أمير المفسدين بقتل الإمام في أول أيام
عهدهك ؟ .

أفأنت تقدمه قرباناً لله إذ تمت لك البيعة ؟!

ولم استحوذ عليك الشيطان من أول يوم ؟ .. ولم لم تصبر إلى الغد
فطلبت هذا المارق السافل في الليل ؟!

فتصور كيف فاجأ هذا المتعدي على حُرْمَاتِ اللَّهِ عميله بقوله :
وحالك عندي موقوف ، ليرى مدى استحواذ الشيطان عليه ، ومقدار تضحياته
بسييل هذا العرش الظالم ؛ فلم يرض منه أن يفديه بالمال والنفس والولد ،
وسكت عند ذلك ليرى حقيقة إخلاص هذا العتل الزنيم ، ففداه ابن قحطبة
بالدين !!! نعم ، وللشيطان درُّ هذا الجلف ، ابن القحطبة ! .

خليفة لرسول الله ، يريد من الناس أن يبيعوا آخرتهم بدنياهم لينالوا
رضاه .. ويطلب من هذا الأرعن أن يستفتح له عهده بقتل إمام الزمان ! .

ثم تبايت هذا الخليفة الضال ، وذاك المرثي الجبان على ارتكاب هذه
الجريمة النكراء ، فألقى الله تعالى كيدهما في نحرهما ، حين يُحبط عليٌّ

(١) سورة محمد : ٢٢ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٠١ .

أمير المؤمنين مكيدتهما ويصنع الخليفة الوقح بأي من القرآن الكريم قام من نومه عند سماعها ذعراً خائفاً.

فيا قارئ الكريم، اسأل معي هذا القطعة الذي هو كحمار المصطبة: لِمَ يقدي هذا الخليفة بدينه؟!

لقد فداه بالدين . . وهو بلا دين .

واسمه حميد، ولكنّه ذميم، وقراره الذي اتخذه أمام الخليفة لا ترتضيه الحمير .

أجل، هذه صفحة واحدة من الصفحات السود في تاريخ خلفاء المسلمين، لم يرفضهم أحد من المسلمين، إذا استثنينا أئمتنا عليهم السلام وأتباعهم .



ثم ورد خبر إحضار الإمام عليه السلام، ومحاولة قتله، في هذا العهد، هكذا:

مركز تحقيقات كويتيون علوم إسلامية

«ولقد نُقل عن الفضل بن الربيع، أنه أخبر عن أبيه - الوزير - أن محمد المهدي ابن المنصور، طلب موسى بن جعفر من المدينة إلى بغداد، فحبسه . ففي بعض الليالي رأى المهدي في منامه علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو يقول: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٢)» (١).

قال الربيع - الوزير - : فأرسل إليّ ليلاً فراعني وخفت من ذلك . وجئت إليه وإذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتاً . فقال : عليّ الآن بموسى بن جعفر .

(١) سورة محمد: ٢٢ .

فجثته به، فعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال: يا أبا الحسن، رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النوم، فقرأ علي كذا. فتوهمني أن تخرج علي أو علي أحد من ولدي؟

فقال: لا والله لا فعلت ذلك، ولا هو من شأني.

فقال: صدقت. . يا ربيع، أعطه ثلاثة آلاف دينار، ورده إلى أهله إلى المدينة.

قال الربيع: فأحكمت أمره ليلاً، فما أصبح إلا وهو في الطريق خوف العوائق^(١).

وروى الجنابذي هذا الخبر، وذكر أنه وصله بعشرة آلاف دينار، ورده إلى أهله^(٢).

فهل من لائم لي إذا قلت بسفاهة هؤلاء الخلفاء؟ وأنهم كانوا عمي البصائر، لا يميزون بين ما يجوز، وما لا يجوز، من أجل ملك زائل لم يتنعموا به عشر معشار ما قاسوا من الآمة وويلاته، ومن عذاب الضمائر، لو كانت لهم ضمائر، لكن. . قد حملوا آثامه وموبقاته. . فبئس ما أوردوا أنفسهم من المهالك في الدنيا وفي الآخرة، لما قنعوا بحمل أسماء جوفاء خلعوها والسيوف في رقابهم، مشهورة بأيديهم لا بأيدي من كانوا يعدبونهم ظلماً وعدواناً.

لقد قتلوا كثيرين من بني علي. . ومات أكثرهم قتلاً بنفس السيوف.

وقتلوا بني عموميتهم. . وقتلهم أبناؤهم، أو إخوانهم، أو قادتهم.

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٣ ونبأيع المودة ج ٣ ص ١١ و ص ٣٢ مكرر إلى آخره، وهو في تذكرة الخواص ص ٣١٣ - ٣١٤.

(٢) المصدر السابق.

وَقَتَلُوا غَيْرَهُمْ قَتْلَ شَهَادَةٍ . . . ثُمَّ مَاتُوا - هُمْ - مَيْتَةً سُوءًا .
فَتَعَسَّأَ لَهُمْ ، وَضَلَّتْ أَعْمَالُهُمْ . . . وَخَسِرَتْ صَفَقَتُهُمْ .

وهكذا، فقد «أقدم المهدّي إمامنا إلى بغداد، ثم رده إلى المدينة بعد سماع تلك الآية التي رده عن عزمه على قتله لا تورعاً منه ولا خوفاً من الله، بل لأن أجل الإمام كان مؤخراً في علم الله تعالى، إذ أقام أبو الحسن عليه السلام في المدينة إلى أيام الرشيد الذي قدم المدينة فحمله معه، وحبه ببغداد إلى أن توفي فيها^(١) كما رأيت سابقاً - ولم يستقدمه المهدّي إلى بغداد إلا ليقتله كما سمعت في قصة ابن قحطبة (الذي زيد في اسمه حرف الطاء) ولكن وسوسة إبليس، ومكر الخليفة التعيس، ومكر عميله الخسيس، داسها كلها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بنعله المخصوفة حين تراءى للمهدي في المنام وأطار لبه هلعاً، وأفقدته صوابه فزعاً.

ومن جميل صنع الله تعالى أن «ورود أئمتنا عليهم السلام على جابرة تلك القصور، كان يوقع أولئك الجابرة في مأزق لا مخرج لهم منها، إذ كان الأئمة عليهم السلام يقولون كلمة الحق في مجلس الظلم والباطل، ويحتجون على الحاكمين وعملائهم من القضاة وغيرهم بما لا جواب عندهم فيه، فيفضحون باطلهم ولا يجد الحاكمون حيلة للبطش بهم بسهولة، فتخرج فضائح الحكم والقضاء في الدين على ألسنتهم الصادقة التي لا تعرف المراءاة ولا المداراة.

روى أحمد بن محمد، عن أبي قتادة القمي، عن أبي خالد الزبالي، قال:

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٩ وانظر تذكرة الخواص ص ٣١٤.

قَدِيمَ أَبُو الْحَسَنِ، مُوسَى، زُبَالَةَ - مَكَانَ بِطَرِيقِ مَكَّةَ مِنَ الْكُوفَةِ - وَمَعَهُ
جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ الْمَهْدِيِّ - الْعَبَّاسِيِّ - بَعْثَهُمْ فِي إِشْخَاصِهِ الْقُدَمَةَ الْأُولَى .

قال: وأمرني بشراء حوائج له . فنظرت إليّ وأنا مغمومٌ فقال لي:

يا أبا خالد، مالي أراك مغموماً .

قلت: هوذا تصير إلى هذا الطاغية، ولا آمنه عليك .

قال: يا أبا خالد، ليس عليّ منه بأس . إذا كان شهر كذا وكذا،

فانتظرنِي فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ، فَإِنِّي أُوَفِّيكُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَمَا كَانَتْ لِي هَمَّةٌ إِلَّا إِحْصَاءَ الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ، حَتَّى كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ،

فغَدَوْتُ أَوَّلَ اللَّيْلِ إِلَى الْمَصْرِ الَّذِي وَعَدَنِي . فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرْهُ حَتَّى كَادَتْ

الشمسُ أَنْ تَغِيبَ . وَوَسَّوسَ الشَّيْطَانُ فِي صَدْرِي فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، وَخَفْتُ أَنْ

أَشُكَّ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَثَرٌ عَظِيمٌ .

فبينما أنا كذلك وإذا سوادٌ قد أقبل من ناحية العراق . فانتظرتُه، فوافاني

أبو الحسن أمام القطار - أي القافلة - على بغلة له، فقال: إيه أبا خالد .

قلت: لبيك يا بن رسول الله .

قال: لا تشكَّنْ، ودَّ الشيطان أنك شككت .

قلت: قد كان ذلك .

فسُررتُ بتخليصه فقلت: الحمد لله الذي خلّصك من الطاغية .

فقال: يا أبا خالد، إن لهم إليّ عودةً لا أتخلص منها^(١) .

أولَى لَنَا فَأَوْلَى، ثُمَّ أَوْلَى لَنَا فَأَوْلَى أَنْ نُقِرَّ بِشَأْنِ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ الْعِظَامِ

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٨ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٧٥ - ٢٧٦ والكالبي م ١ ص ٤٧٧ وهو في

مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٨٧ باختلافٍ يسير في بعض ألفاظه .

الذين يوقنون للشيء قبل حدوثه . بالسنين ، وبالشهور ، والأيام . بل بالساعات من الليل أو النهار . ثم لا يُخطئون في التوقيت مطلقاً . وجديرٌ بنا أن لا نمرُّ بمثل هذه الحوادث الغريبة مروراً عابراً دون وقفة تأمل بحال مخلوقين من البشر يفجأون الناس في كلِّ حين بما يميّزهم عن البشر ، ويرفعهم إلى مراتب عالية لم ينلها إلا الرُّسلُ والأنبياء والأصفياء ؛ ثم نغض الطرف ولا ننظر إليهم بعمقٍ لنقفَ على شيءٍ من حقيقة أمرهم الربّاني من حيث كرامة الله تعالى لهم وإكرامه .

فإمامنا الكاظم عليه السلام ، الذي أشخص مكرهاً من الحجاز إلى العراق ، وجيء به تحت الحراسة العسكرية الشديدة ، بأمر سلطان الزمان الفاشم الذي يُخشى أن يغدر به ويقتله ، أقول إمامنا هذا - وفي هذه الحال - يلتقي بأحد شيعته في زبالة ، ويريح باله من الخوف عليه من بطش السلطان الجبار ، ثم يضرب معه موعداً يحدده بالشهور ، وبالأيام ، ثم بالساعات من الليل ، ليلتقي معه أثناء عودته سالمًا ، في ذلك المكان ، وكأنه هو عليه السلام يُصرف الأمور ، وكأن الأقدار تتصرف عن أمره . ثم يُدهش أكثر ما يُدهش عودته في الموعد المضروب تماماً ، ويلاحظ على صاحبه بأن الشيطان كاد يستزله دون أن يصرح بشيء ، ثم يقول بجزم : إن لهم إلى عودته لا أتخلص منها .

عَمِيَّتْ بَصِيرَةٌ مِنْ لَا يِرَاكُ إِمَامًا مُلْهِمًا يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ .

وَعَمِيَّتِ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي صَدُورِ مُنْكَرِي إِمَامَتِكَ ، وَجَاجِدِي حَقُّكَ الَّذِي اخْتَصَّكَ بِهِ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ .

وهل كان معاصروك عمياناً أبصار . وقلوب . وبصائر . ومرضى نفوس ؟

لا ، ولكن ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ ﴾ (١) .

(١) سورة محمد : ٢٥ .

لقد خسروا لما زعموا أنهم يتمكنون من معرفة الله سبحانه عن طريق غيركم، وضلُّوا لما عبده ولم يجعلوكم وسيلةً بينهم وبينه لِتُقْبَلَ عبادتهم.

وأيم الحق إن قلوب بني العباس لمتحجرةً إنسانياً، وخالية من الإيمان دينياً، ولقد أضلُّوا أشياعهم وأتباعهم؛ وإلا فما معنى أن يروا مثل هذه المعجائب والآيات ثم لا يُعبرونها انتباهاً، بل يَكْذِبون بها ويصرفون الناس عنها، ويرصدون كلَّ اهتمامهم لإطفاء نور الله بأفواههم حين يحاربون أوليائه وتُجْبِأه من على منبر الإسلام وباسم جدِّهم الذي جاء بالإسلام من عند ربِّه عزَّ وعلا.

ليت هؤلاء الأئمة الذين طهرهم الله من الرِّجس واختصَّهم بما اختصَّهم به - ليتهم كانوا أئمةً لغير المسلمين، ولغير العرب، وإذا لرأيت لهم تقديساً وتمجيداً وتحميداً..

فيومَ قال النبي ﷺ: «ويلٌ لولدي من وُلد العباس» كان يعني ما يقول، وكان يُلْفِت نظرَ المسلمين إلى فراغة حُكم يُنْكَلون بولده ولا يراعون فيهم قرابةً ولا رَجْماً.. ولكنَّ قوله ذلك، لم يردع بني العباس عمَّا مارسوه من القسوة، ولم يردع أكثرَ المسلمين عن مُشايعتهم على محاربة أهل البيت ﷺ مع ما رأوا في ذلك من باطلٍ وظلم.



قال عليُّ بن أسباط: «لما وردَ أبو الحسن، موسى ﷺ على المهدي، - العباسي - رآه يردُّ المظالم.

فقال: يا أمير المؤمنين، ما بالُ مَظْلَمَتِنَا لا تُردُّ؟

فقال له: وما ذلك يا أبا الحسن؟

قال: إنَّ الله تبارك وتعالى، لما فتحَ على نبيِّه ﷺ فدَكَ وما والاها،

لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ (١) فلم يذر رسول الله ﷺ من هم. فراجع في ذلك جبرائيل، وراجع جبرائيل ﷺ ربه، فأوحى الله إليه أن ادفع فذلك إلى فاطمة ﷺ. فدعاها رسول الله ﷺ فقال لها: يا فاطمة إن الله أمرني أن أدفع إليك فذكاً.

فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك.

فلم يزل وكلاهما فيها حياة رسول الله ﷺ.

فلما ولي أبو بكر أخرج منها وكلاءها.

فأنته فسألته أن يردها عليها. فقال لها: إئتيني بأسود أو أحمر يشهد

لك بذلك.

فجاءت بأمر المؤمنين ﷺ، وأم أيمن، فشهدا لها.

فكتب بترك التعرض.

فخرجت والكتاب معها. فلقبها عمر فقال: ما هذا معك يا بنت

محمد؟.

قالت: كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة.

قال: أرينيه.

فأبت. فانتزعه من يدها ونظر فيه. ثم تفل في ومحا، وخرقه. فقال

لها: هذا لم يوجف عليه أبوك بخيل ولا ركاب، فضمي الحبال في رقابنا.

- أي جربنا بالحبال إلى أي حاكم أو علفي مشانقنا إذا قدرت -.

فقال المهدي: يا أبا الحسن، حدها لي. - يعني بين حدودها -.

(١) سورة الإسراء: ٢٦.

فقال: حدُّ منها جبلٌ أُحد، وحدُّ منها عريشُ مصر، وحدُّ منها سيفُ البحر، وحدُّ منها دومةُ الجندل.

فقال له: كلُّ هذا؟.

قال: نعم، يا أمير المؤمنين، هذا كله. إن هذا كله مما لم يوجف على أهله رسولُ الله ﷺ بخيل ولا ركاب.

فقال: كثيرًا. وأنظرُ فيه،^(١).

كثيرًا، وتنظرُ فيه؟. ولا تنفذه وأنت تردُّ المظالمَ إلى أهلها؟.

لقد نظر فيه من هو أكبرُ منك، وأعطى صكًّا بثبوتِه. ثم انتزع الصكُّ من الزهراء عليها السلام بدوافعٍ سياسيةٍ ترمي إلى إضعافِ بني عليٍّ وفاطمةَ مادياً، وبسبيلِ محاربتهم معنوياً، وترمي - أيضاً - إلى ضربِ كلِّ ما أوصى به محمدٌ ﷺ. وقد كان المأمولُ منك يا ابنِ عباس أن تثارَ لأبناءِ عمِّك لو كنتَ تعقل. . ولكنك على نفسِ الخطِ الهادفِ إلى إفقارهم وحربهم، وتباً للملك الذي يُردي صاحبه في نارِ جهنم.

وبالنسبة لفتك ذكر الزمخشري في (ربيع الأبرار) ثم ذكِرَ في كتاب (تاريخ الخلفاء) أن هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر: خذُ فدكاً حتى أردُّها إليك، فيأبى، حتى ألحَّ عليه، فقال عليه السلام:

لا آخذها إلا بحدودها.

قال: وما حدودها؟.

قال: إن حددتها لم تردّها.

(١) الكافي ١ ص ٥٤٣.

قال: بحق جدك إلا فعلت .

قال: أما الحدُّ الأولُ فعَدَن .

فتغيَّر وجهُ الرشيد وقال: إنها . - أي أنه يستزيد الحديث عن حدودها . -

قال: والحدُّ الثاني سمرقند .

فأربدٌ وجهه - أي صار أغبر . -

والحدُّ الثالثُ أفريقية .

فأسودَّ وجهه وقال: هيه ا .

قال: والرابعُ سيفُ البحرِ ممَّا يلي الخزر وأرمينية .

قال الرشيد: فلم يبقَ لنا شيءٌ ا . فتحوَّل إلى مجلسي . - أي ترَبَّع على

عرش الملك . -

قال موسى - عليه السلام - : قد أعلمتك أنني إن حدَّدتها لم تردّها .

فعند ذلك عزمَ على قتله ، واستكفى أمره^(١) .

وفي رواية ابن أسباط أنه قال: أمَّا الحدُّ الأولُ فعرشُ مصر ، والثاني

دومة الجندل ، والثالثُ أحد ، والرابعُ سيفُ البحر . - وهذا هو الصحيح . -

فقال: هذا كلُّه ا؟ . هذه الدنيا . (وأدرك أن ردَّ فدكٍ يعني ردَّ الأمر إلى

أصحابه . . .) .

فقال: هذا كان في أيدي اليهود بعد موت أبي هالة ، فأفأه الله على

رسوله بلا خيلٍ ولا ركابٍ ، فأمره الله أن يدفعه إلى فاطمة^(٢) .

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٢٠ - ٣٢١ وتذكرة الخواص ص ٣١٤ .

(٢) المصدر السابق .

والتحديد الذي ورد في أول هذه الرواية لم أره في غيرها، وفدكُ
معروفة الحدود في ذلك العصر، وفي كل عصر، ولكنها تسليئة أمراء
المسلمين أثناء محاوراتهم التافهة.. ولكن الذي كان غير معروف عند سائر
الناس هو أن ينزو بنو أمية وبنو عباس على منبر الإسلام، وهم من أشد الناس
بُعداً عن الإسلام ومروقاً من الدين!



«وقد جرى لأبي يوسف - القاضي الفقيه في القصر - مع أبي الحسن،
موسى صلوات الله عليه بمحضر المهدي، أن موسى عليه السلام سأل أبا يوسف
عن مسألة ليس فيها عنده شيء».

فقال لأبي الحسن، موسى عليه السلام : إني أريد أن أسألك عن شيء».

قال : هات .

قال : ما تقول في التظليل للمحرم؟

قال : لا يصلح .
مركز تقيت كميونر علوم رسيدي

قال : فيضرب الخبء في الأرض فيدخل فيه؟

قال : نعم .

قال : فما فرق بين هذا وذلك؟

قال أبو الحسن، موسى عليه السلام : ما تقول في الطامث تقضي الصلاة؟

قال : لا .

قال : تقضي الصوم؟

قال : نعم .

قال : وليم؟

قال: إن هذا، كذا جاء.

قال أبو الحسن عليه السلام: وكذلك هذا.

فقال المهدي لأبي يوسف: ما أراك صنعت شيئاً.

قال: يا أمير المؤمنين، رماني بِحُجَّةٍ^(١).

وفي موردٍ آخرٍ ذكر في آخر الحديث أن الإمام عليه السلام قال: «أتعجبُ من سنة النبي وتستهزئ بهاء؟. إن رسول الله ﷺ، كشفَ ظلاله في إحرامه، ومشى تحت الظلال وهو مُحرم. إن أحكام الله تعالى لا تُقاس، فمَن قاس بعضها على بعضٍ فقد ضلَّ سواء السبيل.



فسكت السائل لا يرجع جواباً^(٢).

وهكذا كان ديدنُ أئمتنا عليهم السلام مع فضاة العصر، وعملاء القصر، فكثيراً ما تعرض لهم الأئمة وساء لوهم، فوقفوا حيارى عن الجواب، وضاعوا وضاع علقهم في تلك القصور، وذاب ورّمهم وشحمهم حين الفشل الذريع الذي كانوا يقعون فيه.



(١) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٩٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٣ - ٣١٤.

(٢) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٩٤ ورد أن ذلك كان بمحضر الرشيد، وكذلك في كشف الغمة ج ٣ ص ٢٠ والإرشاد ص ٢٧٩ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٤ وإعلام الوري ص ٢٩٩.

..ومع موسى الهادي

قال عليُّ بنُ يقطين:

«لَمَّا حُمِلَ رَأْسُ صَاحِبِ فَخٍ^(١) إِلَى مُوسَى بْنِ الْمُهَدِي - أَيِ الْهَادِي الْعَبَّاسِيِّ - أَخَذَ يَنَالُ مِنَ الطَّالِبِيِّينَ إِلَى أَنْ نَالَ مِنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، وَحَلَفَ اللَّهُ بِقَتْلِهِ . فَتَكَلَّمَ فِيهِ الْقَاضِي أَبُو يُوْسُفَ حَتَّى سَكَنَ غَضْبُهُ .

وَأَنْهَى الْخَبِرَ إِلَى الْإِمَامِ ~~عَلِيٍّ~~ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: بِمَ تُشِيرُونَ؟ .

قالوا: نرى أن تتباعد عنه، وأن تُغَيَّبَ شَخْصَكَ، فَإِنَّهُ لَا يَوْمَنُ شُرَّهُ .

فتبسّمَ ثم قال:

زَعِمْتُ سَخِينَةً أَنْ سَتَغْلِبُ رَبُّهَا وَلَتَغْلِبَنَّ مَغَالِبُ الْعَلَابِ^(٢)

(١) صاحبُ فَخٍ هو أبو عبد الله، الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب ~~عليه السلام~~، بآيئة جماعة من العلويين بالخلافة، وخرج له سنة ١٦٩ هجرية، فلقيته جيوشُ بني العباس له في وادي قُرب مكة - هو وادي فَخٍ - فقتل هناك .

(٢) هذا البيت لكعبة بن مالك، وقيل: هو لحسان بن ثابت. والسخينة لقبُ قريش لأنها كانت تُكثر من أكل السخينة فتعابُ به. والسخينة طعام يُصنع من الدقيق والسمن مع إضافة هير ذلك إليها.

ثم رفع يده إلى السماء فقال :

إلهي كم من عدو شحذ لي طبة مديته - أي حد سيفه - وأرهف لي
شبا حده وداف لي قوايل سُمومه - أي خلط سُمومه بالطعام - ولم تنم
عني عين جراسيته . فلما رأيت ضعفي عن احتمال الفواجح - أي
المصائب - وعجزتي عن ملِمات الجوائح - العواصف الهائلة - صرّفت عني
ذلك بحولك وقوتك ، لا بحولي وقوتي . فألقيته في الحفيرة التي احتفر
لي ، خائباً مما أمله في دنياه ، متباعداً مما رجاه في آخرته ، فللك الحمد
على قدر استحقاقك سيدي .

اللهم فخذ بعزتك ، وافل حده عني بقدرتك ، واجعل له شغلاً في ما
يليه ، وعجزاً عمّن يتاويه .

اللهم وأهدني عليه عدوى حاضرة تكون من غيظي شفاءً ، ومن حقي
عليه وفاةً ، وصل اللهم دعائي بالإجابة ، وانظم شكائتي بالتغيير ، وعرفه صماً
قليل ما وعدت الظالمين ، وعرفني ما وعدت في إجابة المضطرين ، إنك ذو
الفضل العظيم ، والمن الكريم .

ثم أقبل على أصحابه فقال لهم :

يفرح روعكم . فإنه لا يأتي أول كتاب من العراق ، إلا بموت موسى
- الهادي - بن المهدي - العباسي - .

قالوا : وما ذلك أصلحك الله .

قال : وحرمة صاحب القبر - يعني رسول الله ﷺ - قد مات من يومه
هذا . والله ﴿ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ (١) .

(١) سورة الذاريات : ٢٣ .

ثم تفرق القوم، فما اجتمعوا إلا لقراءة الكتب الواردة بموت موسى بن المهدي^(١).

فالائمة من أهل بيت النبي صلوات الله عليه وعليهم، كانوا يعملون بين يدي ربهم، ولا يتاجرون مع غيره، وكانوا - إذا لزم الأمر - يضربون الضربة القاصمة - بإذن الله - فلا تخفى على خصومهم، ولكنهم يأخذهم الكبر والكفر والفساد، وسورة العزة بالإثم، فتزداد طباعهم قسوة وصلابة.

فهذا الهادي إلى الضلال وسوء النفع، قد نال من الطالبين سباً وشتماً ولعناً، ولم يشف غليله بقتل الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وحمل رأسه إليه، بل عزم على قتل الإمام الكاظم عليه السلام أيضاً ليرد حر قلبه الذي كان أسود تضطرم فيه نار الحقد.

فما كان من إمامنا عليه السلام، إلا أن برز إلى الله تعالى في خلوة روحانية، ورفع إليه كفيه ابتهالاً وتضرعاً، ودعا على ذلك الحاكم الظالم الذي كان يصر بأنبايه حنقاً عليه، ثم انفل من دعائه ليخبر أصحابه بأن الهادي - السلطان المتجبر - الذي يخافون عليه منه قد لوت حنقه دعوة الإمام عليه السلام، فأوردته الموت الزؤام.

فيا أيها المتعالي في الأرض، الغافل عما يراد بك، هل ضمنت لنفسك طول العمر حتى تنتقم لعشيرتك المارقة من الدين، وتوغل في الانتقام؟
وهلاً ذكرت المتعالي في السماء، المنتقم الجبار، ولا ذكرت أن سيف عزرائيل عليه السلام وصلت فوق رأسك، ولا تعرف متى يهوي عليه فيشقّه نصفين؟

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٠٦ - ٣٠٧ وحلقة الأبرار ج ٢ ص .

أُؤَمِنْتُ مَكْرَ اللّهِ ۙ ۱۹ ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (۱)

وأنت منهم كما دلت عليه سيرتك، وما تنطوي عليه سيرتك . . وقد
دُفن غلُّك معك، فابتلع الزقوم، واشرب من ماء الحميم.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إرسدی

(۱) سورة الأعراف: ۹۹.

..ومع هارون

الرشيد

الحديث عن إمامنا عليه السلام في عهد هذا الخليفة الذي لم يكن رشيداً في تفكيره الأخروي، ولا سديداً في تقديره، ولا حكيماً في تدبيره الدنيوي، بل عمل بجاهلية حمقاء، وبعصبية رعناء، جعلناه لا يتورع عن ارتكاب كبائر المحرمات، ولا عن ممارسة أقبح التصرفات، تماماً كالملاحد بالله، الكافر برسوله، الذي لا تربطه بالإسلام أدنى رابطة - أقول: إن الحديث عنه عليه السلام في هذا العهد يفضح العباسية التي حادت عن الدين، وعمّا أنزله رب العالمين.

فكثيراً ما كنت أتعجب وأنا أدرس أعماله مع إمامنا سلام الله عليه، إذ رأيتها أعمال رجل باع آخرته بذنياه، وتصرف تصرف عات متعنت لم يرتكز تصرفه إلى سبب يُدين به الإمام عليه السلام، بل كان تصرف ظلم مفضوح يقوم به من لا يؤمن ببعث ولا بنشور ولا حساب ولا عقاب.

ولقد كان ينبغي لهذا الهارون - القارون - أن يخجل من قرباه بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأن يكون رشيداً يحفظ خط الرجعة، حتى ولو كان ملحداً كافراً بما جاء به ابن عمه صلوات الله وسلامه عليه وعلى أهل بيته

الطاهرين . . . وإنني لا أعرف كيف تحدر من صُلب العباس بن عبد المطلب
أمراء جائرون ظلموا ذرية النبي أعظم ظلم، وعاملوهم بجبروتٍ لم يعرف
التاريخ لها نظيراً . . .

فلو كان أبناء رسول الله ﷺ من التُّرك أو الدَّيلم، لكان الأحرى
بأولئك الأمراء - وهم أبناء عمومته - أن يُقربوهم، ويحوظونهم بكل عطفٍ
ولطف . ولكنهم فعلوا العكس، إذ حكموا التُّرك ووضعوهم على رؤوسهم،
وأدخلوهم على حريمهم، وأملوا على التاريخ سطوراً سوداء لم يحوِ التاريخ
مثلها إلا نادراً .

فيا ليتهم أكرمواهم، ووصلوا رَجْمَهُمْ، وتقرَّبوا بذلك إلى الله تعالى
وإلى رسوله، خصوصاً إذا عَلِمْنَا أن الأئمة عليهم السلام لم يُظهروا للعباسيين أيَّ
تنكُّرٍ أو خصومة، ولا شهروا في وجوههم سيفاً؛ ولا حرَّضوا عليهم أحداً،
ولا فاهوا بكلمةٍ عدوانيةٍ تدلُّ على المنافسة . في المُلْك والسلطان .

وسترى في هذه الصفحات الطَّوال من عهد هذا الخليفة العنيد، ما
يترك العاقل في حيرةٍ من أمر خليفته قالوا إنه أصلح من غيره في العباسيين .

«وكان هارون الرشيد قد حمل الإمام عليهما السلام من المدينة، لعشر ليالٍ
من شوال سنة تسع وسبعين ومائة، وقد قدم المدينة مُنصرفه من عُمره شهر
رمضان، ثم شخصَ إلى الحجِّ وحمله معه»^(١) .

وسترى كيف قبض عليه، وكيف عامله أسوأ معاملةٍ، دون أي سابقةٍ
تقتضي ذلك .

فقد «ذكرَ ابنُ عمار، وغيره من الرواة، أنه لما خرج الرشيد إلى

(١) الكافي ١٢ ص ٤٧٦ .

الحج، وقرب من المدينة، استقبله الوجوه من أهلها يقدّمهم موسى بن جعفر عليه السلام على بغلة.

فقال له الربيع: ما هذه الدابة التي تلقيت عليها أمير المؤمنين، وأنت إن طلبت عليها لم تدرك، وإن طلبت عليها لم تقف - يعني أنها لا تلحق عدوه إذا هاجمه عليها، وإذا هرب من عدوه وهو عليها لا ينجو منه - أ.

فقال - عليه السلام -: إنها تطأطأت عن خيلاء الخيل، وارتفعت عن ذلة العير - أي الحمير - . وخير الأمور أوسطها.

قالوا: ولما دخل الرشيد المدينة توجه إلى زيارة النبي صلى الله عليه وآله، ومعه الناس، فتقدم إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا بن عم - مفتخراً بذلك على غيره.

فتقدم موسى عليه السلام إلى القبر وقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا أ.

فتغير وجه الرشيد، وتبين الغيظ فيه (الكبرى)

قال المدائني: أقام موسى بالمدينة حتى توفي المهدي والهادي.

وحجّ هارون الرشيد واعتمر في شهر رمضان من سنة تسع وسبعين ومائة. فلما عاد إلى المدينة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - دخل إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله يزوره ومعه الناس. فلما انتهى إلى القبر وقف فقال: السلام عليك يا رسول الله، يا بن عم، افتخاراً على من حوله.

(١) الإرشاد ص ٢٧٨ - ٢٧٩ وإعلام الوري ص ٢٩٦ - ٢٩٧ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٧٤ وكشف الغمة ج ٣ ص ١٩ - ٢٠ والاحتجاج ج ٢ ص ٣٩٣ وهو في مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٢٠ باختصار.

فدنا موسى بن جعفر فقال: السلام عليك يا أبتِ ا .

فتغير وجه الرشيد وقال: هذا هو الفخر يا أبا الحسن جداً .

ثم أخذه معه إلى العراق فحبسه عند السندي بن شاهك . وتولى حبسه
أخت السندي بن شاهك ، وكانت تتدبّر ، فحكّت عنه أنه كان إذا صلى العتمة
حمد الله ومجّده ودعاه إلى أن يزول الليل ثم يقوم فيصلّي حتى يصلّي
الصُّبح ، ثم يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس . ثم يقعد إلى ارتفاع
الضحى . ثم يرقد ، ويستيقظ قبل الزوال . ثم يتوضأ ويصلّي ، حتى يصلّي
المغرب ؛ ثم يذكر الله حتى يصلّي المغرب ، ثم يصلّي ما بين المغرب
والعتمة . فكان هذا ذأبه إلى أن مات ؛ فكانت إذا رآته قالت : خاب قوم
تعرضوا لهذا الرجل الصالح^(١) .

«ولمّا كان محبوباً بعث إلى الرشيد برسالة : أنه لن ينقضي عني يوم
من البلاء ، إلّا ينقضي عنك يوم من الرّخاء ، حتى تُقضي بنا جميعاً إلى يوم
ليس له انقضاء ، يخسر فيه المُبطلون»^(٢) .

وبعد هذا ، أنا لا أدري لماذا تغير وجه خليفة المسلمين حينما سمع ما
قاله الإمام عليه السلام ، عند دخوله على جدّه المصطفى عليه السلام ١٢٠ .

وكيف جاز للخليفة المتعجرف أن يفتخر على الناس ويتواضع حين

(١) الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٥٤ وفي تاريخ الأمم والملوك ج ١١ ص ٧٠ ذكر وفاته فقط ، وهو
في مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٢٠ باختصار ، وفي تذكرة الخواص ص ٣١٤ بكامله ، نقلًا
عن الزمخشري والمدائني . وهو في حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ وآخره في كشف الغمة
ج ٣ ص ٨ و ص ٤٠ أورده فيما ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد نقلًا عن أحمد بن
إسماعيل .

(٢) المصدر نفسه .

يخاطب الرسول من غير أدب ولا تهذيب ، ويقول له : يا بن عم ، ثم لا يجوز
لِسِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وابنِ عليٍّ وفاطمةَ ﷺ ، أن يفتخر بأبوة جده التي
ما بعدها فخرٌ لمفتخرٍ !! .

هذا يجوز له رغماً عن سائر العالمين .

والخليفةُ كان جليفاً حين خاطب النبي ﷺ بهذه اللفظة .

وحقٌ للإمام أن يفتخر ولو رُغمَ أنفِ خليفةِ جبار ، ورضيَ أم أبي ،
واربداً وجهه أو أسود . . وإن تغيرَ وجهه قد دلَّ على خُبثِ سريره ، وأظهر أنه
ذو وجهين ولسائين ، ويُبطن غيرَ ما يُظهر ، بدليل أنه قال للإمام
الكاظم ﷺ : هذا هو الفخر . . ثم أمرَ باعتقاله فوراً لنقله إلى حبسه
المُظلم !

لقد كان له يومٌ سُلْطَةٌ نفَّذَ فيه ما أراد . . ولكنه نسيَ أن للإمام ﷺ
يومَ اقتصاصِ عَصِيبٍ ، وأن يومَ العدلِ أشدُّ على الظالم ، من يومِ الظلمِ على
المظلوم . كما قال أمير المؤمنين صلواتُ اللهِ عليه وتحياته وبركاته . .
﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (١)

«حدَّث أبو أحمد ، هاني بن محمد العبدي (٢) قال : حدثني أبو محمد ،
رفعه إلى موسى بن جعفر ﷺ ، قال :

لَمَّا أُدخِلْتُ على الرشيدِ سلَّمْتُ عليه ، فردَّ عليَّ السلام ، ثم قال : يا
موسى بن جعفر ، خليفَتانِ يجبى إليهما الخراج ١٩ .

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧ .

(٢) في رجال المامقاني ج ٣ ص ٢٩٠ نقل الوحيد رواية الصدوق عنه مترضياً عليه ، وهو دليلٌ على
وثاقته .

فقلت : يا أمير المؤمنين، أعيذك بالله أن تبوءَ بإثمي وإثمك فتقبلَ الباطلَ من أعدائنا علينا. فقد علمتَ بأنه قد كُذِبَ علينا منذ قبض رسول الله ﷺ. أما علمُ ذلك عندك؟! فإن رأيتَ بقرابتك من رسول الله ﷺ أن تأذنَ لي أحدثك بحديثٍ أخبرني به أبي عن آباءه عن جدِّي رسول الله ﷺ.

فقال : قد أذنتُ لك .

فقلت : أخبرني أبي عن آباءه، عن جدِّي رسول الله ﷺ، أنه قال : إنَّ الرِّجَمَ إذا مسَّتِ الرحمَ، تحرَّكتْ واضطربتْ. فناولني يدك جعلني الله فداك .

قال : اذنُ مني .

فدنوتُ منه، فأخذ بيدي ثم جذبني إلى نفسه، وعانقني طويلاً، ثم تركني وقال :

إجلس يا موسى ، فليصل عليك بأبي عبدي

فنظرتُ إليه، فإذا به قد دمعتُ عيناه، فرجعتُ إلي نفسي .

فقال : صدقتُ، وصدق جدُّك ﷺ، لقد تحرَّك دمي، واضطربتُ عروفي حتى غلبتُ عليَّ الرِّقَّةُ وفاضت عيناي، وأنا أريد أن أسألك عن أشياء تتلجج في صدري منذ حين وأنا لم أسأل عنها أحداً. فإن أنت أجبتني عنها خلَّيتُ عنك ولم أقبل قولَ أحدٍ فيك. وقد بلغني أنك لم تكذب قط. فاصدقني فيما أسألك ما في قلبي .

فقلت : ما كان علمه عندي فإنني مُخبرك به إن أنت أمنتني .

قال : لك الأمان إن صدقتني وتركتِ التقيَّةَ التي تُعرفون بها معاشرَ بني فاطمة .

فقلت : ليسأل أمير المؤمنين عما شاء .

قال : أخبرني لِمَ فَضَّلْتُمْ عَلَيْنَا ، ونحن وأنتم من شجرة واحدة ، وبنو عبد المطلب ، ونحن وأنتم واحد؟ ١ . إنا بنو عباس ، وأنتم ولدُ أبي طالب ، وهما عما رسول الله ﷺ ، وقرابتهما منه سواء ١ .

فقلت : نحن أقرب .

قال : وكيف ذلك .

قال : لأنَّ عبد الله وأبا طالب ، لأبٍ وأمٍّ ، وأبوكم العباس ليس هو من أمِّ عبد الله ولا من أمِّ أبي طالب .

قال : فَلِمَ ادَّعَيْتُمْ أَنْكُمْ وَرِثْتُمْ النَّبِيَّ ﷺ ، والعمُّ يحجب ابن العم ؟ .
وَقَبَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ تُوْفِي أَبُو طَالِبٍ قَبْلَهُ ، وَالْعَبَّاسُ عَمُّهُ حَيٌّ ؟ .

فقلتُ له : إن رأَى أمير المؤمنين أن يُعْفِينِي عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، وَيَسْأَلُنِي عَنْ كُلِّ بَابٍ سِوَاهُ يُرِيدُهُ .

مركز تحقيقات كويتيون علوم إسلامية

فقال : لا ، أو تُجِيب .

فقلتُ : فأْمَنِي .

قال : آمَنْتُكَ قَبْلَ الْكَلَامِ .

فقلت : إنَّ فِي قَوْلِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام : إِنَّهُ لَيْسَ مَعَ وَوَلَدِ الصُّلْبِ ، ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى ، لِأَحَدٍ سَهْمٌ إِلَّا الْأَبْوِينَ وَالزُّوجَ وَالزُّوجَةَ ؛ وَلَمْ يَثْبِتْ لِلْعَمِّ مَعَ وَلَدِ الصُّلْبِ مِيرَاثٌ ، وَلَمْ يَنْطِقْ بِهِ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ وَلَا السَّنَّةُ ؛ إِلَّا أَنَّ تَيْمًا وَهَدِيًّا ، وَبَنِي أُمِّيَّةٍ قَالُوا : الْعَمُّ وَالذُّ ، رَأْيَا مِنْهُمْ بِلَا حَقِيقَةٍ وَلَا أَثَرٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِ عَلِيٍّ مِنَ الْعُلَمَاءِ قَضَايَاهُمْ خِلَافُ قَضَايَا هَوْلَاءَ . هَذَا نُوحُ بْنُ دَرَّاجٍ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِقَوْلِ عَلِيٍّ ، وَقَدْ حَكَمَ بِهِ . وَقَدْ وَلَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَصْرَيْنِ : الْكُوفَةَ ، وَالْبَصْرَةَ . وَقَدْ قَضَى بِهِ ، فَأَنْهَى

إلى أمير المؤمنين فأمر بإحضاره وإحضار من يقول بخلاف قوله: منهم
سُفيان الثوري، وإبراهيم المازني، والفضيل بن عياض، فشهدوا أنه قول
علي في هذه المسألة؛ فقال لهم فيما بلغني بعض العلماء من أهل الحجاز:
لِمَ لا تُفتون وقد قضى نوح بن دراج... فقالوا: جسر، وجبنا... وقد أمضى
أمير المؤمنين قضيتَه بقول قدماء العامة عن النبي ﷺ، أنه قال: أقضاكم
علي؛ وكذلك عمر بن الخطاب قال: علي أقضانا. وهو اسم جامع، لأن
جميع ما مدح به النبي ﷺ أصحابه من القرابة والفرائض، والعلم، داخل
في القضاء.

قال: زدني يا موسى.

قلت: المجالس بالأمانات، وخاصة مجلسك.

فقال: لا بأس به.

فقلت: إن النبي لم يُورث من لم يُهاجر، ولا أثبت له ولاية حتى
يُهاجر.

فقال: ما حججتك فيه؟

قلت: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ
وَكَلِيلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَخُنِيَ يُّهَاجِرُوا...﴾^(١) وإن عمي العباس لم يُهاجر.

فقال لي: إنني أسألك يا موسى: هل أفيتت أحداً بذلك من أعدائنا، أو
أخبرت أحداً من الفقهاء في هذه المسألة بشيء؟

فقلت: اللهم لا، وما سألتني عنها إلا أمير المؤمنين.

ثم قال لي: جوزتم للعامة والخاصة أن ينسبوكم إلى

(١) سورة الأنفال: ٧٢.

رسول الله ﷺ، ويقولوا لكم: يا بني رسول الله، وأنتم بنو علي، وإنما يُنسب المرء إلى أبيه، وفاطمة إنما هي وعاء، والنبىُّ جدُّكم من قبل أمكم!.

فقلت: يا أمير المؤمنين، لو أن النبيُّ نُشِرَ - أي عاد حياً - فخطب إليك كريمتك - أي ابنتك - هل كنت تُجيبه؟

قال: سبحان الله! ولم لا أُجيبه؟ بل أفتخرُ على العربِ والعجمِ وقريشٍ بذلك.

فقلت له: لکنه لا يخطب إليّ، ولا أزوجه.

فقال: ولم!؟

قلت: لأنه ولدني، ولم يلدك.

فقال: أحسنت يا موسى.. ثم قال: كيف قلتُم: إنا ذرية النبي، والنبيُّ لم يُعقب، وإنما العقبُ الذكرُ، لا الأنثى؟ وأنتم وُلدُ الإبنة، ولا يكون وُلدها عقباً له.

فقلت: أسألك بحق القرابة، والقبر ومن فيه - أي قبر النبي ﷺ - إلا أهديتني عن هذه المسألة.

فقال: لا، أو تُخبرني بحُجَّتكم فيه يا وُلدَ عليّ! وأنت يا موسى يعسوبهم وإمامُ زمانهم. كذا أنهي إليّ، ولستُ أهديك في كلِّ ما أسألك عنه، حتى تأتيني فيه بحُجَّة من كتاب الله؛ وأنتم تدعون، معشرَ وُلدِ عليّ، أنه لا يسقط عنكم منه شيء، ألف ولا واو، إلا تأويله عندكم، واحتججتم بقوله عز وجل: ﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾^(١) واستغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم.

(١) سورة الأنعام: ٣٨.

فقلت: تأذن لي في الجواب؟

قال: هات.

فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:
﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَذَكَرْنَا وَيْحَ عِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (١) من أبو
عيسى يا أمير المؤمنين؟

فقال: ليس لعيسى أب.

فقلت: إنما ألحقناه بذراري الأنبياء عليهم السلام، عن طريق مريم عليها السلام.
وكذلك ألحقنا بذراري النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل أمنا فاطمة... أزيدك يا أمير
المؤمنين؟

قال: هات.

قلت: قول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ
تَقَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلُ فَنَجْعَلُ
لِكُلِّ فِتْنَةٍ لِّقَابًا وَأَلْبَسُنَا لَهُمُ الْكُفْرَ وَالزُّلْمَ أَكْثَمَ لِلْغُلُوبِ﴾ (٢) ولم يدع أحد أنه أدخله النبي صلى الله عليه وآله وسلم
تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلا علي بن أبي طالب عليه السلام، وفاطمة،
والحسن، والحسين، أبناءنا الحسن والحسين، ونساؤنا فاطمة، وأنفسنا
علي بن أبي طالب عليه السلام. على أن العلماء قد أجمعوا على أن جبرائيل قال
يوم أحد: يا محمد، إن هذه لتهي المواساة من علي. قال: لأنه مني، وأنا
منه. فقال جبرائيل: وأنا منكما يا رسول الله؛ ثم قال: لا سيف إلا ذو
الفقار، ولا فتى إلا علي. فكان كما مدح الله عز وجل به خليله عليه السلام إذ

(١) سورة الأنعام: ٨٤ و ٨٥ وهذا النفاش موجود في بتابيع المودة ج ٣ ص ١٠.

(٢) سورة آل عمران: ٦١ وهذا النفاش وما سبقه موجودان في كشف الغمة ج ٣ ص ٤١ - ٤٢.

يقول: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ﴾ (١) إنا نفتخر بقول جبرائيل أنه منا.

فقال: أحسنت يا موسى، ارفع لنا حوائجك.

فقلت: إن أول حاجة لي، أن تاذن لابن عمك أن يرجع إلى حرم جدّه وإلى عياله.

فقال: ننظر إن شاء الله.



وروي أن المأمون قال لقومه: أتدرون من علمني الشيعة ١٩ . .

فقال القوم: لا والله ما نعلم ذلك.

قال: علمني الرشيد.

قيل له: فكيف ذلك والرشيد يقتل أهل البيت ١٩ .

قال: كان الرشيد يقتلهم على الملك، لأن الملك عقيم.

ثم قال: إنه دخل موسى بن جعفر عليه السلام على الرشيد يوماً، فقام إليه واستقبله، وأجلسه في الصدر، وقعد بين يديه، وجرى بينهما أشياء.

ثم قال موسى بن جعفر لأبي: يا أمير المؤمنين، إن الله عز وجل قد فرض على الولاة عهداً: أن يُنعشوا فقراء هذه الأمة، ويقضوا عن الغارمين، ويؤدوا عن المثقل، ويكسوا العاري، ويحسنوا إلى العاني؛ وأنت أولى من يفعل ذلك.

قال: أفعُل، يا أبا الحسن.

ثم قام، فقام الرشيد لقيامه، وقبل بين عينيه ووجهه، ثم أقبل عليّ

(١) سورة الأنبياء: ٦٠.

وعلى الأمين والمؤمن فقال: يا عبد الله، ويا محمد، ويا إبراهيم، امشوا بين يدي ابن عمكم وسيدكم ا. خذوا بركابه، وسووا ثيابه، وشيعوه إلى منزله.

فأقبل إليّ أبو الحسن، موسى بن جعفر عليه السلام، سراً بيني وبينه، فبشّرني بالخلافة، وقال لي: إذا ملكت هذا الأمر فأحسِن إلى ولدي؛ ثم انصرفنا.

وكنتُ أجراً ولدي أبي عليه؛ فلما خلا المجلس قلت: يا أمير المؤمنين، ومن هذا الرجل الذي أعظمتُه وأجللتُه وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته وأقعدته في صدر المجلس، وجلست دونه؛ ثم أمرتنا بأخذ الركاب له ١٩.

قال: هذا إمام الناس، وحجة الله على خلقه، وخليفته على عباده.

قلت: يا أمير المؤمنين، أليست هذه الصفات كلها لك وفيك ١٩.

فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق. والله يا بني إنه لأحق بمقام رسول الله مني ومن الخلق جميعاً. ووالله لو نازعتني في هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك، لأن المملك عقيم ا.

فلما أراد الرحيل من المدينة إلى مكة، أمر بصرة سوداء فيها مائتا دينار، ثم أقبل على الفضل فقال له: اذهب إلى موسى بن جعفر وقل له: يقول لك أمير المؤمنين: نحن في ضيقة، وسياتيك برنا بعد هذا الوقت.

فمضت في وجهه فقلت: يا أمير المؤمنين، تُعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش وبني هاشم، ومن لا تعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار إلى ما دونها، وتُعطي موسى بن جعفر، وقد عظمتُه وأجللتُه، مائتي دينار، وأخس عطية أعطيتها أحداً من الناس ١١٩.

فقال: اسكت لا أم لك ا. فإنني لو أعطيته هذا ما ضمته له، ما كنت

آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه . وفقر هذا وأهل بيته، أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وإغنائهم»^(١).

وروى سفيان بن نزار الخبر السابق هكذا:

«كنت يوماً على رأس المأمون فقال: أتدرون من علمني التشيع؟»

فقال القوم جميعاً: لا والله ما نعلم.

قال: علمنيهِ الرشيد.

قيل له: وكيف ذلك والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت؟

قال: كان يقتلهم عن الملك، لأن الملك عقيم. ولقد حججت معه سنة إلى المدينة، فتقدم إلى حُجابه، وقال: لا يدخلن علي رجل من أهل المدينة ومكة إلا نَسَبَ نفسه.

وهكذا كان. فكان يصل من المال خمسة آلاف دينار وما دونها، على قدر شرف وهجرة الرجل.

فأنا ذات يوم واقفت، إذ دخل الفضل بن ربيع، فقال: يا أمير المؤمنين، على الباب رجل زعم أنه موسى بن جعفر عليه السلام.

فأقبل علينا، ونحن قيام على رأسه، والأمين، والمؤمن، وسائر القواد، فقال: احتفظوا على أنفسكم، ثم قال لآذنه: إنذن له، ولا ينزل إلا على بساطي.

فدخل، فلما رأى الرشيد رمى بنفسه عن حمار كان راكبه، فقال الرشيد: لا والله إلا على بساطي.

(١) الاحتجاج ج ٢ من ص ٣٨٧ إلى ص ٣٩٣.

فمنعَه الحُجَاب من الترجُّل، ونظرنا إليه بأجمعينا بالإجلال والإعظام،
فمازال يسير على حماره حتى سارَ إلى البساط، والحُجَابُ والقُوَادُ مُحَدِّقُونَ
به .

فنزَلَ، وقام الرشيدُ فاستقبله إلى آخر البساط، وقبَّل وجهه وصنَّبه،
وأخذ بيده حتى صيره في صدر المجلس، وأجلسه معه فيه؛ وجعل يحدثه
ويقبل بوجهه عليه ويسأله عن أحواله .

ثم قال له: يا أبا الحسن، ما عليك من العيال؟

فقال: يزيدون على الخمسمائة .

قال: أولاد كلهم؟

قال: لا، أكثرهم موالٍ وحشم . وأمَّا الولدُ فلي نيفٌ وثلاثون،
الذكُورُ منهم كذا، والنسوانُ منهم كذا .

قال: فليَمَ لا تُزَوِّج النسوانَ من بني عمومتهم وأكفائهن؟ .

قال: اليدُ تقصرُ عن ذلك .

قال: فما حالُ الضيعة؟ .

قال: تُعطي في وقتٍ، وتمنعُ في آخر .

قال: فهل عليك دين؟ .

قال: نعم .

قال: كم؟ .

قال: نحو من عشرة آلاف دينار .

فقال الرشيد: يا بن عم، أنا أعطيك من المال ما تُزَوِّجُ به الذُكُورَ
والنُسوانَ، وتقضي الدين، وتعمُر الضياع .

فقال له : وصلتكَ رَجَمَ يابنِ عَمٍّ، وشَكَرَ اللهُ لكْ هذه النِيَّةَ الجميلة .
ثم قام، فقام الرشيدُ لقيامه، وقَبَلَ عَيْنِيهِ ووجهه، ثم أَقْبَلَ عَلَيَّ، وعلى
الأمين والمؤمن فقال : يا عبدَ اللهِ، ويا مُحَمَّدَ، ويا إبراهيمَ : بين يدي
عَمُّكم وسيدكم . خُذُوا بِرِكَابِهِ، وَسُوِّوا عَلَيْهِ ثِيَابَهُ، وشيِّعوه إلى منزله .
فأقبلَ عَلَيَّ أبو الحسن عليه السلام سِرّاً بيني وبينه، فبشّرني بالخِلافة وقال
لي : إذا ملكتَ هذا الأمرَ فأحسن إلى وُلدي .

فلما خلا المجلسُ قلت : يا أمير المؤمنين، مَنْ هذا الرجل الذي
عظمتُهُ وأجلتُهُ، وقُمتَ من مجلسك إليه فاستقبلته وأقعدته في صدر
المجلس وجلستَ دونه، ثم أمرتُنَا بأخذِ الرُّكابِ له ؟

قال : هذا إمامُ الناس، وحُجَّةُ اللهِ على خلقِهِ، وخليفته على عباده .

قلت : يا أمير المؤمنين، أو ليستَ هذه الصفاتُ كُلُّها لك وفيك ؟

فقال : أنا إمامُ الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر، وموسى بنُ جعفر
إمامٌ حقٌّ، واللهُ يا بُنَيَّ إِنَّهُ لأَحَقُّ بِمَقَامِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنِّي ومن الخلق
جميعاً . واللهُ لو نازعتني في هذا الأمرِ لأخذتُ الذي فيه عينك، فإنَّ المُلْكَ
عقيم .

فلما أراد الرحيلَ إلى مكة، أمرَ بِصُرَّةِ سوداءَ فيها مائتا دينار، وقال
للفضل بن الربيع، اذهبْ بهذه إلى موسى بن جعفر وقل له : نحن في ضيقٍ،
وسياتيك بِرُّنَا بعد هذا الوقت .

فقمْتُ في صدره فقلت : يا أمير المؤمنين، تُعطي أبناءَ المهاجرين
والأنصار وسائر الناس خمسة آلاف دينار وما دونها، وتُعطي موسى بن جعفر
مائتي دينار، أحسنَ عطيةً أعطيتها لمن لا يُعرف حسبه ونسبه ؟

قال : اسكُتْ لا أبا لك، فإنني لو أعطيتُ هذا ما ضمنتُه له، ما كنتُ آمنه

أَنْ يَضْرِبَ وَجْهِي غَدًا بِمِائَةِ أَلْفِ سَيْفٍ مِنْ شِيعَتِهِ وَمَوَالِيهِ . وَفَقَرُ هَذَا وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، أَسْلَمُوا لِي وَلَكُمْ مِنْ بَسْطِ أَيْدِيهِمْ وَأَعْيُنِهِمْ» (١) .

وفي هذه الرواية، والرواية التي سبقتها، خزّي واضح فاضح في تصرفات هذا الخليفة المغتصب الجبار الذي حارب الله ورسوله، وما جاء به الرسول عن ربه؛ وهو على سنة من سبقه من سلاطين المسلمين، في التضييق على أهل هذا البيت الكريم صلوات الله وسلامه عليهم .

وقد كانت سياسة جميع المتأمرين على رقاب المسلمين بالباطل، تبدأ بسياسة إفقار أهل هذا البيت ومحاربتهم اقتصادياً، وقد سها عن بال أولئك المتأمرين أن الله تبارك وتعالى قال في كتابه المجيد: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ (٢) وتناسى أولئك الأمراء المناصبون لله ورسوله أن الخالق عز وجل قد سخر لأئمة أهل البيت كل شيء، ولم يكن ينقصهم المال، بل كانت عطاياهم تفوق عطايا الملوك . ومن العجيب أنهم كانوا يحاربونهم مع أنهم ما طلبوا ملكاً ولا رغبوا في سلطان، ولا أغانوا طالب سلطة، بل كانت وظيفتهم محصورة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقول كلمة الحق في وجه الباطل الذي كان عليه الحُكَّام وقضائهم .

وَأَمَّا كَذِبُكَ يَا هَارُونَ فَقَدْ سَمِعَهُ مِنْكَ ابْنُكَ الْمَأْمُونُ فِي حَدِيثِكَ مَعَهُ .

وَأَمَّا زَعْمُكَ بِأَنَّكَ لَا تَأْمَنُ الْإِمَامَ أَنْ يَضْرِبَ وَجْهَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ سَيْفٍ مِنْ شِيعَتِهِ وَمَوَالِيهِ إِذَا اسْتَفْنِي ، فَإِنَّا نَقُولُ لَكَ : لَمْ تَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ قَلَّةُ ذَاتِ الْيَدِ ، وَلَا خُلُقُ لِيُطَالَبَ بِمُلْكٍ دُنْيَوِيٍّ . فَمَا هَذَا مِنْكَ سِوَى كَذِبٍ وَافْتِرَاءٍ وَتَبْرِيرٍ

(١) حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٦٩ إلى ٢٧٢ في حديث طويل تركنا آخره لما فيه من خزّي يظهر في تصرف هذا الخليفة . وهو في وفاة الإمام موسى الكاظم ص ١٨ إلى ص ٢٢ .

(٢) سورة الحجر: ٢١ .

لشنيع فعلك الذي فضحك أمام ولدك الذي - بفضل سوء سلوكك الديني - لم يكن أصلح منك والحمد لله، بل لَطُخَ يده بدمِ أئمة أهل بيت رسول الله صلواتُ الله عليه وعليهم، كما لَطُخْتَ يدك بقتلهم، والمُلْكُ العقيمُ الذي حرصت عليه قد راح من يدك، وقد حملت وزرهُ على ظهرك، وبؤت بالخسران في الدار الباقية، وقد علمت الآن أنك قد حدثت عن خط الحق واتبعت الباطل.

أما إمامنا العظيم عليه السلام، فإنه كان مشغولاً عنك وعن دنياك ببر الفقراء والمحتاجين، يحمل لهم الطعام والمال ليلاً، ويوزعه عليهم وأنت تغط في نومك وقد أتخمت الشيطان غشاً وغروراً. . والدنيا عند إمامنا هذا صلواتُ الله وسلامه عليه، لا تساوي عَفْطَةَ عَنزٍ كما قال جدُّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . .

وأنت متٌ بنفظك، ودُفن معك عملك الخاسر.

مركز تحقيقات فتوى نور علوم حسيني

وبالمعنى السابق روى الريان بن شبيب أن المأمون قال:

«إستأذن الناسُ على الرشيد، فكان آخر مَنْ أذن له موسى بن جعفر.

فلما نظرَ إليه الرشيدُ تحركَ ومدَّ بصره وهنَّقه إليه حتى دخلَ البيتَ

الذي كان فيه .

فلما قَرَّبَ منه جثا الرشيدُ على رُكبتيه وعائقه، ثم أخذَ يسأل عن

أحواله، وأبو الحسن يقول: خير، خير.

فلما قام عائقه وودَّعه .

فقلت: يا أمير المؤمنين، رأيتك عمِلتَ بهذا الرجل شيئاً ما عملته مع

أحدٍ قطاً . فمَنْ هذا الرجل ١٩ .

فقال: يا بُنَيَّ هذا وارثُ علمِ النبيِّينَ، هذا موسى بنُ جعفر بن محمد؛
إن أردتَ العلمَ الصحيحَ فعند هذا.

قال المأمون: فعند ذلك انغرسَ في قلبي حُبُّهم^(١).

أجل، هذا وارثُ علمِ النبيِّينَ، وعنده العلمُ الصحيح.

فما بالك يا وارث علمِ الشياطينَ، تربعُ على ضلعك، وتبيعُ آخرتك
بأرخص ثمن، وبإشباع البطن والفرج!!!

وهذه الرواية - كسابقتيها -، تدل على خليفةٍ يعرف ويحرف... وليس
مَنْ يعلمُ كَمَنْ لا يعلم... وويلٌ لمن لم يعملْ بعلمه، فإنَّ حسابَه عسيراً.



وعن محمد بن الزبرقان الدامغاني، الشيخ، قال:

قال أبو الحسن، موسى بن جعفر، عليه السلام:

لَمَّا أَمَرَهُم هَارُونَ الرَّشِيدُ بِحَمَلِي - أَي بِاعْتِقَالِهِ - دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ،
فَلَمْ يَرُدِّ السَّلَامَ، وَرَأَيْتُهُ مُغْضَبًا.

فَرَمَى إِلَيَّ بِطُومَارٍ^(٢) فَقَالَ: إِقْرَأْهُ! فَإِنَّ فِيهِ كَلَامًا قَدْ عَلَّمَ اللَّهُ بِرَأْيِي

منه، فيه:

إنَّ موسى بن جعفر يُجْبَى إِلَيْهِ خُرَاجُ الْآفَاقِ مِنْ غُلَاةِ الشَّيْعَةِ، مِمَّنْ
يَقُولُ بِإِمَامَتِهِ، يَدِينُونَ اللَّهَ بِذَلِكَ، وَيَزْعَمُونَ أَنَّهُ فَرَضَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ
الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَيَزْعَمُونَ أَنَّ مَنْ لَمْ يُوَهِّبْ - يَهَبْ - إِلَيْهِ الْعُشْرَ، وَلَمْ
يَصِلْ بِإِمَامَتِهِمْ، وَلَمْ يَحْجُجْ بِأَذْنِهِمْ، وَيَجَاهِدْ بِأَمْرِهِمْ، وَيَحْمِلَ الْغَنِيمَةَ إِلَيْهِمْ،

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤، ص ٣٦٠ وهو في حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٢) الطومار: كتاب طويل يستعمله القدماء.

ويفضل الأئمة على جميع الخلق، ويفرض طاعتهم مثل طاعة الله وطاعة رسوله، فهو كافر، حلال ماله ودمه! وفيه كلامٌ شناعةٌ مثل المتعة بلا شهود، واستحلال الفروج بأمره ولو بدرهم، والبراءة من السلف ويلعنون عليهم في صلاتهم. ويزعمون أن من - لم - يتبرأ منهم فقد بانت امرأته منه، ومن آخر الوقت فلا صلاة له لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾^(١) ويزعمون أنه واد في جهنم.

والكتاب طويل، وأنا قائمٌ أقرأ، وهو ساكت.

فرفع رأسه وقال: قد اكتفيت بما قرأت، تكلم بحجتك بما قرأته.

قلت: يا أمير المؤمنين، والذي بعث محمداً ﷺ بالنبوة، ما حمل إلي قط أحدٌ درهماً ولا ديناراً من طريق الخراج. لكننا معاشر أبي طالب، نقبل الهدية التي أحلها الله عز وجل لنبيه ﷺ في قوله: لو أهديت إلي كراع لقبيلته، ولو دعت إلي ذراع لأجبت وقد علم أمير المؤمنين ضيق ما نحن فيه، وكثرة عدونا، وما منعنا السلف من الخمس، فاضطررنا إلى قبول الهدية. وكل ذلك مما علمه أمير المؤمنين.

فلما تم كلامي سكت.

ثم قلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لابن عمه في حديث عن آباءه، عن النبي ﷺ؟

فكأنه اغتنمها، فقال: مأذونٌ لك، هايت.

فقلت: حدثني أبي، عن جدِّي، يرفعه إلى النبي ﷺ، أن الرجيم إذا مسَّ رجماً تحركت واضطربت فإن رأيت أن تناولني يدك.

(١) سورة مريم: ٥٩.

فأشار بيده إليّ، ثم قال: أدنّ . .

فدنوتُ، فصافحني، وجذبني إلى نفسه ملياً، ثم فارقتني وقد دمعت
عيناه .

فقال لي: إجلس يا موسى، فليس عليك بأس، صدقت، وصدق
جدك، وصدق النبي ﷺ، لقد تحرك دمي واضطربت عروقي، واعلم أنك
لحمي ودمي، وأن الذي حدثني به صحيح. وإنني أريد أن أسالك عن
مسألة، فإن أجبتني أعلم أنك قد صدقتني، وخلّيت عنك، ووصلتك ولم
أصدق ما قيل فيك .

فقلت: ما كان علمه عندي، أجبتك فيه .

فقال: لِمَ لا تنهون شيعتكم عن قولهم لكم: يابن رسول الله، وأنتم
وُلدُ عليٍّ وفاطمة؟ إنما هي وعاء، والولد يُنسب إلى الأب، لا الأم .

فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يُعفيني من هذه المسألة، فعل .

فقال: لستُ أفعل، أو أجبت .

فقلت: فإنا في أمانك الأُصيبني من آفة السلطان شيئاً؟ .

فقال: لك الأمان .

قلت: أعودُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
صُحُلًا هَدَيْنَا نُوْحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى ﴿٨٥﴾
فمن أبو عيسى؟ .

فقال: ليس له أب، إنما خلق من كلام الله عز وجل، وروح القدس .

(١) سورة الأنعام: ٨٤ و٨٥ .

فقلت: إنما لحق عيسى بذراري الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم،
من قبل مريم؛ وألحقنا بذراري الأنبياء من قبل فاطمة عليها السلام، ومن قبل
علي عليه السلام.

فقال: أحسنت يا موسى، زدني من مثله.

فقلت: اجتمعت الأمة، برها وفاجرها، أن حديث النجراني حين دعاه
النبي ﷺ إلى المباهلة، لم يكن في الكساء إلا النبي ﷺ، وعلي،
وفاطمة، والحسن، والحسين عليهما السلام، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ
فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَلَدِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ
وَأَنْفُسَنَا.﴾^(١) فكان تأويل: ﴿أبنائنا﴾: الحسن والحسين، ﴿ونساءنا﴾:
فاطمة، ﴿وأنفسنا﴾: علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقال: أحسنت. ثم قال: أخبرني عن قولكم: ليس للعلم مع ولد
الصُّلب ميراث؟

فقلت: أسألك يا أمير المؤمنين بحق الله، وبحق رسوله ﷺ، أن
تُعفيني من تأويل الآية وكشفها، وهي عند العلماء مستورة.

فقال لي: إنك ضمنت لي أن تجيب فيما أسألك، ولست أعفيك.

فقلت: فجدد لي الأمان.

فقال: قد أمّنتك.

فقلت: إن النبي ﷺ، لم يورث من قدير على الهجرة فلم يهاجر.
وإن عمي العباس قدير على الهجرة فلم يهاجر، وإنما كان في عدد الأسارى
عند النبي ﷺ، وجحد أن يكون له الفداء. . . فأنزل الله تبارك وتعالى على

(١) سورة آل عمران: ٥٥.

النبي ﷺ يُخبره بدفين له من ذهب، فبعث علياً عليه السلام، فأخرجته من عند أم الفضل، وأخبر العباس بما أخبره جبرائيل عن الله تبارك وتعالى، فأذن لعلي وأعطاه علامة الموضع الذي دُفِنَ فيه، فقال العباس عند ذلك: يا بن أخي، ما فاتني منك أكثر. وأشهد أنك رسول رب العالمين.

فلما أحضر علي الذهب، فقال العباس: أفقرتني يا بن أخي، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَسْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا يُؤْتِيكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنَ الْكُرْبَىٰ وَلَيْبَسْتُمْ مِّنْ شَرِّهِمْ شَيْئًا يُّهَاجِرُونَ﴾ (٢) ثم قال: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ (٣).

فرايته قد اغتم.

ثم قال: أخبرني من أين قلمت إن الإنسان يدخله الفساد من قبل النساء لحال الخمس الذي لم يدفع إلى أهله؟
فقلت: أخبرك يا أمير المؤمنين بشرط أن لا تكشف هذا الباب لأحد ما دمت حياً، وعن قريب يُعرف الله بيننا وبين من ظلمنا. وهذه مسألة لم يسألها أحد من السلاطين غير أمير المؤمنين.

قال: ولا تيم، ولا عدي، ولا بنو أمية، ولا أحد من آبائنا؟

قلت: ما سئلت، ولا سئلت أبو عبد الله، جعفر بن محمد عنها.

قال: الله!

قلت: الله.

(١) سورة الأنفال: ٧٠.

(٢) سورة الأنفال: ٧٢.

(٣) سورة الأنفال: ٧٢.

قال: فإن بلغني عنك، أو عن أحدٍ من أهل بيتك كُشِفَ ما أخبرتني به،
رجعتُ عما أمتك به.

فقلت: لك عليّ ذلك.

فقال: أجبُّ أن تكتبَ لي كلاماً موجزاً، له أصولٌ وفروعٌ، يفهمُ
تفسيرُهُ، ويكون ذلك سماعك عن أبي عبد الله عليه السلام.

فقلت: نعم، وعلى عيني، يا أمير المؤمنين.

قال: فإذا فرغت فارقْ حوائجك.

قال [الإمام عليه السلام]: ووكلَ بي من يحفظني، وبعثَ إليّ في كلِّ يومٍ
مائدةً سيرةً، فكتبتُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميعُ أمور الدنيا أمان:

أمرٌ لا اختلافَ فيه، وهو إجماعُ الأمةِ على الضرورة التي يضطرون
إليها، وأخبارُ المُجمَعِ عليها، المعروفين عليها كلَّ شبهةٍ، والمُستنبطُ منها
على كلِّ حادثة.

وأمرٌ يحتملُ الشكَّ والإنكار، وسبيله استيضاحُ أهلِ الحُجَّةِ عليه. فما
ثبتَ لِمتَّجِليه من كتابٍ مُستجمَعٍ على تأويله، أو سُنَّةٍ عن النبي صلى الله عليه وآله لا
اختلافَ فيها، أو قياسٍ تعرفُ العقولُ عدلَه، ضاقَ على من استوضحَ تلك
الحجةَ ردُّها، ووجبَ عليه قبولُها والإقرارُ والديانةُ بها. وما لم تثبتْ
لِمتَّجِليه به حُجَّةٌ من كتابٍ مُستجمَعٍ على تأويله، أو سُنَّةٍ عن النبي صلى الله عليه وآله لا
اختلافَ فيها، أو قياسٍ تعرفُ العقولُ عدلَه، ويسعُ خاصُّ الأمةِ وعامُّها
الشكُّ فيه والإنكارُ له.

كذلك هذانِ الأمرانِ من أمر التوحيدِ فما دونه، إلى أرش الخدش فما

دونه . فهذا المعروض الذي يُعرض عليه أمرُ الدين، فما ثبت لك بُرهانه
اصطفيته، وما غمضَ عنك ضوؤه نقيته .

ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله، ونعم الوكيل .

فأخبرت الموكل بي أنني قد فرغت من حاجته .

فأخبره . فخرج . وعرضتُ عليه، فقال: أحسنت، هو كلامٌ موجزٌ
جامعٌ، فارفع حوائجك يا موسى .

فقلت: يا أمير المؤمنين، أول حاجتي إليك أن تأذن لي في الانصراف
إلى أهلي، فإنني تركتهم باكين آيسين من أن يروني .

فقال: مأذونٌ لك . ازدد .

فقلت: يُقي الله لنا أمير المؤمنين معاشير بني عمه .

فقال: ازدد .

فقلت: عليّ عيالٌ كثيرٌ، وأعيننا بعد الله ممدودة إلى فضل أمير
المؤمنين وعادته .

فأمر لي بمائة ألفِ درهم، وكسوة، وحملني وردني إلى أهلي
مكرماً^(١) .

وهكذا يرى قارئنا الكريم أن هذا الخليفة لم ينقص فهماً ولا علماً
بمركز الإمام الرباني، ولا بكونه الإمام الحق، والحجة على الخلق؛ ولكن
لا ينقصي العجب من أنه كان يُخرجه في كل سؤال يُلقيه عليه، ويتعنت في

(١) الاختصاص من ص ٥٤ إلى ص ٥٨ وأشار إلى رواية تُحف العقول من ٢٩٨ إلى ٣٠٠
والاختلاف اللفظي، وإلى رواية المجلسي في بحار الأنوار م ١١ ص ٢٦٨ وهو في وفاة الإمام
موسى الكاظم من ص ٩ إلى ص ١٨ .

أسئلته ومضايقه مضايقةً مفتعلةً لياخذَ عليه جواباً لا يُعجبه فينتقم منه ١ .
ولماذا هذا يا خليفة الزمان؟

نعم، لماذا لا يصفو قلبك لإمامٍ منصّبٍ من الله، فتقرّبهُ وتُدنيه،
وتجعله مستشارك الأمين، والمفتي لك بالحق وبشريعة سيّد المرسلين،
وحيثُ لا يصفو قلبه عليك، ويدعو لك بالتوفيق، ويكون مرجعك في أمور
ديناك ودينك؟ ١٩ .

أجل، لماذا تُبعد ابن عمّ لك صادق أمين، وتقرّب الترك والدّيلم،
وتسلك مسلك الظلمة الجائرين الخارجين من ربقة الدين، المناصبين العداة
لما ينزل من ربّ العالمين؟ ١٩ .

من العار الشنيع على الدين أن تتسمّى بأمر المؤمنين، وأن تكون
خليفةً للمسلمين، مازلت تفعل وتفعل مع إمام الهدى والحجة على الورى .
أما في تحف العقول، فورد ذكر المجلس هكذا:
«دخل على الرشيد وقد عمّد على القبض عليه لأشياء كذبت عليه
عنده . فأعطاه طوماراً طويلاً فيه مذاهبُ وشنعةٌ نسبها إلى شيعة .

فقرأه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، نحن أهل بيتٍ مُنينا بالتقوّل علينا،
وربنا غفورٌ ستور، أبى أن يكشف أسرارَ عبادِهِ إلا في وقت محاسبتِهِ ﴿يَوْمَ لَا
يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ٨٨ ﴿إِلَّا مَنْ أَىَ اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ٨٩ (١) .

ثم قال: حدّثني أبى، عن أبيه، عن عليّ، عن النبي صلواتُ الله
عليهم: الرجمُ إذا مسّت الرجمَ اضطربت، ثم سكنت . فإن رأى أمير
المؤمنين أن تمسّ رجمي رجمه ويصافحني ففعل .

(١) سورة الشعراء: ٨٨ - ٨٩ .

فتحوّل عند ذلك عن سريره، ومدّ يده إلى موسى عليه السلام فأخذ بيمينه، ثم ضمّه إلى صدره فاعتنقه وأقعدّه عن يمينه وقال: أشهد أنك صادق، وأبوك صادق، وجدك صادق، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صادق. ولقد دخلت وأنا أشدُّ الناس عليك حنقاً وغضباً لما رقي إليّ فيك. فلما تكلمت بما تكلمت وصافحتني سرّي عني، وتحوّل غضبي عليك رضى.

وسكت ساعة، ثم قال له: أريد أن أسألك عن العباس وعليّ، بم صار عليّ أولى بميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العباس، والعباس عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصنو أبيه؟!

فقال له موسى بن جعفر عليه السلام: اعفني.

قال: واللّه لا أعفيك، فأجبنني.



قال: إن لم تعفني فأمني.

قال: آمنتك.

مرزوقية تكملة لشرح أصول

قال موسى عليه السلام: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يورث من قدير على الهجرة ولم يهاجر. إن أباك العباس آمن ولم يهاجر. وإن علياً عليه السلام آمن وهاجر، وقال الله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مَا لَكُم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا﴾ (١).

فالتمع لون الرشيد وتغير، وقال: مالكم لا تُنسبون إلى عليّ وهو أبوكم، وتُسبون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو جدكم؟!

فقال موسى عليه السلام: إن الله نسب المسيح عيسى بن مريم عليها السلام إلى خليله إبراهيم عليه السلام بأمه مريم البكر البتول التي لم يمسسها بشر بقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي

(١) سورة الأنفال: ٧٢.

الْمُحْسِنِينَ ﴿٨١﴾ وَذَكَرْنَا وَيْحَ وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ . . ﴿١﴾ .
 فنسبه بأمه وحدها إلى خليله إبراهيم عليه السلام ، كما نسب داود ، وسليمان ،
 وأيوب ، وموسى ، وهارون عليه السلام بآبائهم وأمهاتهم ، فضيلة لعيسى عليه السلام ،
 ومنزلة رفيعة بأمه وحدها ؛ وذلك قوله في قصة مريم عليها السلام : ﴿ إِنَّ اللَّهَ
 اصْطَفَىٰ لَكَ وَلَهَّرَكَ وَأَصْطَفَىٰكَ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١١﴾ ﴿٢﴾ بالمسيح من غير
 بشر . وكذلك اصطفى ربنا فاطمة عليها السلام ، وطهرها وفضلها على نساء
 العالمين بالحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة .

فقال له هارون : - وقد اضطرب وساء ما سمع - : من أين قلتم :
 الإنسان يدخله الفساد من قبل النساء ، ومن قبل الآباء ، لحال الخمس الذي
 لم يدفع إلى أهله ١٩ .

فقال موسى عليه السلام : هذه مسألة ما سألتها أحد من السلاطين غيرك - يا
 أمير المؤمنين - ولا تيم ، ولا عدي ، ولا بنو أمية ، ولا سئل عنها أحد من
 آبائي ، فلا تكشفني عنها .
 قال : فإن بلغني عنك كشف هذا ، رجعت عما آمنتك .

فقال موسى عليه السلام : لك ذلك .

قال : فإن الزندقة قد كثرت في الإسلام ، وهؤلاء الزنادقة الذين
 يرفعون إلينا ، في الأخيار هم المنسوبون إليكم ، فما الزنديق عندكم أهل
 البيت ١٩ .

فقال عليه السلام : الزنديق هو الراد على الله ورسوله . وهم الذين يحادون
 الله ورسوله ، قال الله : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ

(١) سورة الأنعام : ٨٤ و٨٥ .

(٢) سورة آل عمران : ٤٢ .

حَادَّ اللَّهُ رَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ
.. إلى آخر الآية ﴿^(١)﴾ وهم المُلجِدون، عدلوا عن التوحيد إلى الإلحاد.

فقال هارون: أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ مَنْ أَلْحَدَ وَتَزَنَّدَقَ .

فقال موسى عليه السلام: أَوَّلُ مَنْ أَلْحَدَ وَتَزَنَّدَقَ فِي السَّمَاءِ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ ،
فَاسْتَكْبَرَ وَافْتَخَرَ عَلَى صَفِيِّ اللَّهِ وَنَجَّيَهُ آدَمَ عليه السلام ، فَقَالَ اللَّعِينُ : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ
خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ ﴿^(٢)﴾ فَعَنَّا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ وَالْجَدِّ ، فَتَوَارَثَ الْإِلْحَادَ
ذُرِّيَّتُهُ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ .

فقال : ولإبليس ذرية ١٢ .

فقال عليه السلام : نعم ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَسَتَّخَذُونَ دُورَ رَبِّتَهُ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ ﴿^(٣)﴾ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ ﴿^(٤)﴾ لِأَنَّهُمْ
يُضِلُّونَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ بِزُخَارِفِهِمْ وَكُذِّبِهِمْ ، وَيَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَمَا
وَصَفَّهُمُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿^(٥)﴾ أَيَّ أَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ ذَلِكَ إِلَّا تَلْقِينَا ،
وَتَأْدِيبًا ، وَتَسْمِيَةً وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ ، وَإِنْ شَهِدَ ، كَانَ شَاكًا حَاسِدًا مُعَانِدًا ،
وَلِذَلِكَ قَالَتِ الْعَرَبُ : مَنْ جَهِلَ أَمْرًا عَادَاهُ ، وَمَنْ قَصَرَ عَنْهُ عَابَهُ وَالْحَدَّ فِيهِ ،
لِأَنَّهُ جَاهِلٌ ، غَيْرُ عَالِمٍ ﴿^(٥)﴾ .

(١) سورة المجادلة: ٥٢ .

(٢) سورة الأعراف: ١٢ وسورة ص: ٧٦ .

(٣) سورة الكهف: ٥٠ - ٥١ .

(٤) سورة لقمان: ٢٥ .

(٥) تحف العقول ص ٢ .

وإذا لم نقف قليلاً مع ما جرى في هذا المجلس، لا نكون قد أنصفنا حقيقة البحث والتحليل، لأنه قد جرت فيه محاورَةٌ، بل مُحاوَةٌ هامةٌ للغاية؛ وقد ظهرَ على أثر ذلك بعضُ الحقائق التي تستحقُّ الوقوفَ .

فمن ذلك أن الخليفةَ على المسلمين، لم يتأدّب بأدب الإسلام، إذ لم يردّ التحيةَ على الإمام عندما دخلَ وسلّم عليه، مع أن الله سبحانه وتعالى أمرَ بردّ التحيةِ كأقلِّ الواجب فقال عزُّ من قائل: ﴿ وَإِذَا حُيِّبْتُمْ بِتَحِيَّاتِهِمْ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا . . ﴾ (١) وقد أمرَ بذلك أمراً وجوبياً . . لم يسمع به خليفة المسلمين!!! فاضطرَّ الإمام عليه السلام لإيراد حديث الرّجم إذا مسّت الرّجم .

ومنها - أيضاً - مفاجأته للإمام بقوله: يا موسى بن جعفر، خليفتان يُجبى إليهما الخراج ١٩ .

ومنها دموع التماسح التي انحدرت من عيني هارون . . أو قارون .
ومثلها هجمته على الإمام ليحتضنه ويثبت أن عرق القراية قد تحرك وأصابته رقة الممثلين على خشبة المسرح! .

وكذلك أسئلة التعجيز التي اختارها . وهي إن دلّت فإنما تدلّ على اللوم الحاقد، لأنها كانت مُنتقاةً لمضايقه الإمام عليه السلام، فهي عملية إخراج للإمام، وإخراج للخليفة . . جاءت فاشلةً والحمد لله، إذ نسي الخليفة أنه بين يدي إمام انتدبه السماء، فلا يرتجُ عليه، ولا يتلعثم ولا يصعب عليه جواب .

ومن ذلك - أخيراً - أن إمامنا العظيم سلام الله عليه، قد أذلّ كبرياء هذا القارون المتربّب على الناس، المتأله عليهم بقرايته من

(١) سورة النساء: ٨٦ .

رسول الله ﷺ، فبين للناس أنه أبعد منه عن النبي ﷺ في النسب وفي الحق... ثم كشف عن جهل الخليفة بالقرآن وبالإيمان، وعن بطلان دعواه وأدعاءاته.

ثم يلاحظ أن الخليفة قد تنقل مع إمامنا عليه السلام بين جملة مواضع هامة للغاية، وأنه كان يذعن لقول الإمام البليغ في كل مسألة، ثم يقفز إلى مسألة ثانية مشابهة... وسلم بكل جواب، ثم ختم ذلك باعترافه الذي أفضى به لولده المأمون، الذي لم يكن مأموناً على أهل هذا البيت الذي طهره الله تعالى في كتابه العزيز.

.. أفأنت هارون الرشيد كما لثبت نفسك، أم أنت قارون العنيد كما هي حقيقتك وواقعك؟ لقد غشك في دنياك أنك أثناء تربعتك على العرش كنت تقول للغمامة: أمطري أنني شئت فإن خراجك سيعود إلي... ثم نسيت أن لك موقفاً يوم الحساب تُسأل فيه عما أسرفت في حياتك. ذلك أنك لم تكن من المؤمنين بالموقف وبالحساب، وإذا أدعت أنك مؤمن بذلك، فنحن نحكم بسفاهك حين ترضى بلذة زائلة، وترضى - أيضاً - بالخلود في العذاب وتكون من ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٨٦) (١).

فلم تكن رشيداً بالحقيقة بمقدار ما كنت عنيداً، ولم يكن رأيك سديداً، بل كنت - كأسلافك - جباراً عنيداً.

والشيء الأكيد أن هذا الخليفة الغافل عما يراد به، كان ذكياً، ولكنه استثمر ذكائه لتأثيل ملك دنيوي، وغابت عن ذهنه آخرته بأصها بدار الغرور،

(١) سورة البقرة: ٨٦.

ولم يحمل إليها إلا الأوزار والآثام . . مع أنه لم يكن غيباً قطعاً، ولا فاته العلم بأن الإمام سفير من ربه إلى خلقه، ولا خفيت عليه إمامته وجدارته، ولكن حُب التسلُّط على الرقاب ألغى هذا الحبل في عنقه، ليكون في الآخرة سلسلة ذرْعها سبعون ذراعاً . .

فلا شك أن جرم هذا الخليفة مزدوج لأن مجالسته مع الإمام قد سجلها عليه التاريخ، وظهرت فيها معرفته بالحق معرفة تامة، واتضح حربُه للحق اتضاحاً أتم، إذ استغرقت الدنيا جميع تفكيره وأنسته أن الإمام الذي تقلب في سجونهِ أربعة أعوام، سيكون جزاؤه هو - بمقابل ذلك - أن يتقلب في عذاب الله الشديد أحقاباً . .

ولنتصوّر الفرق بين هذا الخليفة الظالم للإمام الكاظم عليه السلام، وبين عفوَ الإمام عنه في مواطن القدرة عليه - مع قدرة الإمام عليه في كل لحظة بإذن الله - أقول: لتتصوّر الفرق العظيم نعرض أمام ناظرِك الرواية التالية:

فقد قيل: «ولما أمرَ هارونُ موسى بنَ جعفر عليه السلام أن يُحمَلَ إليه - من البصرة إلى بغداد بعد أن رفض الوالي أن يقتله - أدخلَ عليه وعليَّ بنُ يقطينَ على رأسه، مُتوكِّئاً على سيفه، فجعل يلاحظ موسى عليه السلام ليأمره فيضرب به هارون - لأن ابنَ يقطين متشيعٌ مُتشدّد - .

ففتن هارون، فقال: قد رأيت ذلك .

فقال - ابنُ يقطين - : يا أمير المؤمنين، سللتُ من سيفي شبراً رجاء أن تأمرني فيه بأمرِك . .

فنجأ - ابنُ يقطين - منه بهذه المقالة^(١) .

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٠٨ .

فلو أن الإمام عليه السلام أشار لعلي بن يقطين ليغتال الرشيد، لكان خلط لحمه بدمه. ولكن ما أبعده الإمام عن الغدر، وهو أمين الله في أرضه ١٩.

وعلي بن يقطين هو من هو في تشييعه وحبه للإمام، وفي إخلاصه وولائه لجميع أئمة هذا البيت المطهر عليه السلام. وقد دفعه ذلك الولاء إلى أن يطمع في جزع عنق هارون الرشيد الذي يُرعب إمامه مرة بعد مرة، ولم يأسف لوظيفته ولا للوزارة والمنصب بعد أن يطهر سيفه بدم هذا الغاصب الناصب. وقد خلصه الله سبحانه وتعالى حين أطلق لسانه بأن قال للخليفة لما عرف أنه أراد قتله: سَلَلْتُ من سيفي شِبْرًا رجاء أن تأمرني فيه بأمرك. يعني أنه قال عكس ما أضمراً فأبقى على نفسه ونجا من فتك الخليفة.

ولكننا نواخذ علي بن يقطين لأنه نسي أن الأئمة عليهم السلام لا يغدرون بخصومهم، ولا يهتمون بشؤون الدنيا التي تشغل غيرهم بسلطانها الذاهب كما تذهب الشمس مهما طال نهار الصيف.

مركز تحقيقات كويتيون علوم إسلامية

«وفي كتاب الأنوار قال العامري:

إن هارون الرشيد أنفذ إلى موسى بن جعفر جارية حليفة لها جمال ووضاعة - أي نظيفة، مشرقة الوجه، بالغة الحُسن - لتخدمه في السجن.

فقال - الإمام عليه السلام -: قُلْ لَهُ: ﴿بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيكُمْ نَفْسُكُمْ﴾ (١) لا حاجة لي في هذه، ولا في أمثالها.

قال: فاستشاط هارون غضباً، وقال: إرجع إليه، وقُلْ لَهُ: ليس برضاك حبسناك، ولا برضاك خدمناك. واترك الجارية عنده وانصرف.

(١) سورة النمل: ٣٦.

قال : فمضى ورجع .

ثم قام هارون من مجلسه ، وأنفذ الخادمَ إليه ليتفحص له عن حالها .
فراها ساجدةً لربِّها ، لا ترفع رأسها ، تقول : قُدُّوسٌ سبحانك سبحانك .
فقال هارون الرشيد : سَحَرها واللَّهِ موسى بن جعفر بسحره ا . عليَّ بها .
فأتيَ بها وهي ترتعدُّ شاخصةً نحو السماء بصراً ا .

فقال : ما شأنك ا ؟ .

قالت : شأنِي الشأنُ البديع ا . كنتُ عنده واقفةً ، وهو قائمٌ يصلي ليلاً
ونهاره . فلما انصرف من صلواته بوجهه وهو يُسَبِّحُ اللهَ ويقدِّسه ، قلت : يا
سيدي هل لك حاجةٌ أعطيكها ؟ .

قال : وما حاجتي إليك ا ؟ .



قلت : إنِّي أدخِلْتُ إليك لحوائجك .

قال : فما بالُ هؤلاء ا ؟ . مركز تحقيقات علوم وادب اسلامی

قالت : فالْتَقْتُ فإذا روضةً مزهرةً لا أبلغُ آخرها من أولها بنظري ، ولا
أولها من آخرها . فيها مجالسُ مفروشةٌ بالوشى والديباج ، عليها وُصفاءُ
ووصائفُ وُخُدَّامٌ ، لم أرَ مثلَ وجوههم حُسنًا ، ولا مثلَ لباسهم لباسًا ، عليهم
الحريرُ الأخضرُ ، والأكاليلُ ، والدرُّ ، والياقوتُ ، وفي أيديهم الأباريقُ
والمناديلُ ، ومن كلِّ الطعامِ ا . فَحَرَرْتُ ساجدةً حتى أقامني هذا الخادمُ
فرايتُ نفسي حيث كنتُ .

قال هارون الرشيد : يا خبيثةً لعنك سجدتِ فتمتِ ، فرايتِ هذا في منامِك .

قالت : لا واللَّهِ يا سيدي ، إلا قبلَ سُجودِي . رأيتُ ، فسجدتُ من أجل

ذلك .

فقال الرشيد: أقبض هذه الخبيثة إليك، فلا يسمع هذا منها أحد.
فأقبلت في الصلاة. فإذا قيل لها في ذلك قالت: هكذا رأيت العبد
الصالح.

فُسئِلَتْ عن قولها؟. قالت: إني لمأعائنتُ من الأمر، نادتنِي الجوّاري: يا
فلانة، أبعدِي عن العبد الصالح حتى ندخلَ عليه، فنحن له دونك أ.
فما زالت كذلك حتى ماتت؛ وذلك قبل موسى بأيامٍ يسيرة^(١).
ولا يبعد أن يكون الخليفة قد أمر بأن يُدسَّ لها السمُّ في الطعام.
فالخليفة الذي يدعي أنه مسلمٌ، يقول لِمعاجز السماء: هذا سحرٌ
مُفترى أ.

هو يعترف بأن الإمامَ إمامٌ حقٌّ مراراً وتكراراً، وأمام الغريبِ من
أصحابه، والقريبِ من أولاده، ثم يتهمه بالسُّحرا. فلماذا هذا؟ أ.
إنه من ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾^(٢) من جهة، ثم
ثبت على الكفر.

وهو يفعلُ ذلك ليقول الناسُ بقوله، ويشتهر عند النُّصاب أن الإمام
ساحر.. فَيُتَّهَمُ بالسُّحْر كما اتَّهَمَ جدُّه رسول الله ﷺ بالسُّحْر من قِبَل
الكُفْرَة والمُشْرِكِينَ، مع علمهم بِبُتُوته، ولكن لتشتهرَ هذه الصفة وتمشي على
السنة الناس.

فما باله - وهو يعتبر الدينَ خرافةً، والمعجزةُ سحراً - ما باله يجلس
على منبر رسول الله ﷺ، ويحكمُ باسمِ دينه؟ أ.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٩٧ - ٢٩٨ وهو في الأنورا البهية ص ٣٦٣ باختصار.

(٢) سورة النساء: ١٣٧.

لقد أتبع قولَ من سبقه في النبي: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا
مَسْحُورًا﴾ (١) . . . فما باله هو والكافرون؟ ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِمْ . . .﴾ (٢) بهذا
القول الذي قابل الظالمون به كل نبوة . . .

إن هذه الوصيفة قد أبانت شيئاً من أسرار أنباء هذا البيت الذين أذهب
الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؛ وأبانت بعد أن رآته رأي العين، وآمنت
به، وأيقنت بعظمة الإمام عليه السلام، وبرفيع منزلته عند خالقه . . . فكفر الخليفة
بقولها . . . وسمى ما رآته سحراً .

فسحقاً لخلافة إسلامية ترى معاجز السماء سحراً بسحراً .

وتعسأ له حين يأمر خادمه بأن لا يسمع قولها أحد . . . ﴿يُرِيدُونَ أَن
يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُشِيعَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ﴾ (٣) .



قال الفضل بن الربيع، ورجل آخر - لم يذكر اسمه -:
«حجج هارون الرشيد، وابتدأ بالطواف ومُنِعَتِ العامةُ من ذلك لينفردَ وحده .
فبينما هو كذلك إذ ابتدرَ أعرابيُّ البيتَ، وجعلَ يطوف معه .
وقال الحُجَّاب: تنح يا هذا من وجه الخليفة .

فانتهرهم الأعرابيُّ وقال: إنَّ الله ساوى بين الناس في هذا الموضع
فقال: ﴿سَوَاءٌ أَعْلَمَكُمُ فِيهِ وَالْبَاطِلُ . . .﴾ (٤) .

(١) سورة الإسراء: ٤٧ .

(٢) سورة الذاريات: ٥٣ .

(٣) سورة التوبة: ٣٢ .

(٤) سورة الحج: ٢٥ .

فَأَمَرَ الْحَاجِبُ بِالْكَفِّ عَنْهُ .

فلما طاف الرشيد، طاف الأعرابيُّ أمامه؛ فنهض إلى الحجر الأسود ليقبله، فسبَّه الأعرابيُّ والتَّثمه .

ثم صار الرشيد إلى المقام ليصلي فيه، فصلى الأعرابيُّ أمامه .

فلما خرج الرشيدُ من صلاته استدعى الأعرابيُّ؛ فقال الحُجَّابُ: أجب أمير المؤمنين .

فقال: ما لي إليه حاجة فأقوم إليه . بل إن كانت الحاجةً له، فهو بالقيام إليَّ أولى .

قال - أي الرشيد - : صدق .

فمشى إليه، وسلَّم عليه، فردَّ عليه السلام .

فقال هارون الرشيد: اجلس يا أعرابيُّ؟

فقال: ما الموضعُ لي فتستأذنيني فيه بالجلوس . إنما هو بيتُ الله نصبه لعباده، فإن أحببت أن تجلسَ فاجلس، وإن أحببت أن تنصرف انصرف .

فجلس هارون وقال: ويحك يا أعرابيُّ، مثلك من يزاحمُ الملوك؟

قال: نعم، وفيَّ مُستمع .

قال: فإنِّي سائلُك، فإن عجزتْ آذيتُك .

قال: سؤالُك هذا، سؤالُ متعلم، أو سؤالُ مُتَعَنِّت؟

قال: بل متعلم .

قال: اجلس مكانَ السائل من المسؤول، وسل . وأنت مسؤول .

فقال - أي الرشيد - : أخبرني ما فرضُك؟

قال: إن الفرض، رحمك الله، واحد، وخمسة، وسبعة عشر، وأربع وثلاثون، وأربع وتسعون، ومائة وثلاثة وخمسون على سبعة عشر، وفي اثني عشر واحداً، وفي أربعين واحداً.

قال: فضحك الرشيد وقال: ويحك، أسألك عن فرضك وأنت تعدُّ علي الحساب؟

قال: أما علمت أن الدين كله حساب؟ ولو لم يكن الدين حساباً لَمَا اتَّخَذَ اللَّهُ لِلْمَخْلُوقِ حِسَاباً. ثم قرأ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ حَرْوِي أَيْنَا بِهَا وَكُنْ بِنَا حَسِيبِينَ﴾^(١).

قال: فبين لي ما قلت، وإلا أمرت بقتلك بين الصفا والمروة.

فقال الحاجب: تهبه لله، ولهذا المقام.

قال: فضحك الأعرابي من قوله.

فقال الرشيد: مِمَّ ضحكْتَ يا أعرابي؟

فقال: تعجباً منكما، إذ لا أدري من الأجهل منكما: الذي يستوهب أجلاً قد حضر، أو الذي استعجل أجلاً لم يحضر؟

فقال الرشيد: فسُر ما قلت.

قال: أما قولي: الفرض واحد، فدين الإسلام كله واحد. وعليه خمس صلوات في سبع عشرة ركعة. وأربع وثلاثون سجدة، وأربع وتسعون تكبيرة، ومائة وثلاث وخمسون تسيحة.

وأما قولي: من اثني عشر واحداً، فصيام شهر رمضان، من اثني عشر شهراً.

(١) سورة الأنبياء: ٤٧.

وأما قولي: من الأربعين واحداً، مَنْ مَلَكَ أَرْبَعِينَ دِينَاراً، أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ دِينَاراً.

وأما قولي: من مائتين خمسة، فَمَنْ مَلَكَ مِائَتَيْ دَرَاهِمٍ؛ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَمْسَةَ دَرَاهِمٍ.

وأما قولي: فَمِنْ الدَّهْرِ كُلِّهِ وَاحِداً، فَحِجَّةُ الْإِسْلَامِ.

وأما قولي: من واحدٍ واحداً، فَمَنْ أَهْرَقَ دَمًا فِي غَيْرِ حَقٍّ، وَجِبَ إِهْرَاقُ دَمِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْنَفْسَ بِالنَّفْسِ...﴾^(١).

فَقَالَ الرَّشِيدُ: لِلَّهِ دَرُّكَ! . وَأَعْطَاهُ بَدْرَةَ.

فَقَالَ: بِمِ اسْتَوْجِبَ مِنْكَ هَذِهِ الْبَدْرَةَ يَا هَارُونَ؟ . بِالْكَلامِ أَوْ بِالسَّأَلِ؟ .



قال: بل بالكلام.

قال: فإني سألتك عن مسألة، فإن أنت أتيت بها، كانت البدره لك، تصدق بها في هذا الموضع الشريف. فإن لم تجبني عنها، أضفت إلى البدره بدره أخرى، لأتصدق بها على فقراء الحي من قومي.

فأمر بإيراد أخرى، وقال: سل عما بدا لك.

فقال: أخبرني عن الخنفساء، تزق، أم ترضع ولدها؟!

فخرد هارون - أي طال سكوته - وقال: ويحك يا أعرابي، مثلي من يسأل عن هذه المسألة؟!

فقال: سمعت ممن سمع من رسول الله ﷺ، يقول: مَنْ وَلِيَ أَقْوَاماً وَهَبَ مِنَ الْعَقْلِ كَعَقُولِهِمْ. وَأَنْتَ إِمَامُ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَجِبُ أَنْ لَا تُسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ

(١) سورة المائدة: ٤٥.

من أمر دينك ومن الفرائض، إلا وأجبت عنها. فهل عندك له جواب؟ ١٩.

قال هارون: رحمك الله، لا. فبين لي ما قلتَهُ وخذِ البدرتين.

فقال: إن الله تعالى لما خلق الأرض، خلق دبابات الأرض من غير قرث ولا دم؛ خلقها من التراب، وجعل رزقها وعيشها منه. فإذا فارق الجنين أمه، لم تزقه، ولم ترضعه، وكان عيشها من التراب.

فقال هارون: والله ما ابتلى أحد بمثل هذه المسألة.

وأخذ الأعرابي البدرتين وخرج. فتبعه بعض الناس وسأله عن اسمه، فإذا هو موسى بن جعفر بن محمد، عليه السلام.

وأخبر هارون بذلك، فقال: والله لقد ركنتُ أن تكونَ هذه الورقة من تلك الشجرة! ^(١).

فيا بن الحلال الذي يعرف الورقة وشجرتها!

ما بالك تريد أن تعري هذه الشجرة من ورقها؟ ١٩.

ولكن بُق أنها شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وهي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

وحصرمة المملك أعمت عينك، وأعمت بصيرتك.

. وهذا الأعرابي العظيم يزاحم الملوكة ويلوي أعناقها!

ومذ زاحمته في اغتصاب حقه، بؤت بسخط الله ورسوله، وستبؤأ المقعد الذي يليق بك في الآخرة.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٢-٣١٣.

قال عليُّ بنُ حمزة:

«كان يتقدّم الرشيدُ إلى خدمه إذا خرجَ موسى بنُ جعفر من عنده أن يقتلوه!».

فكانوا يهْمون به فيتداخلهم من الهيبة والزعج. - أي الدهشة والرهبة -.

فلما طال ذلك أمرَ بتمثالٍ من خشبٍ، وجعل له وجهاً مثلَ موسى بن جعفر، وكانوا إذا سَكروا أمرهم أن يذبحوه بالسكاكين، فكانوا يفعلون ذلك أبداً.

فلما كان في بعض الأيام، جمعهم في الموضع وهم سُكاري، وأخرج سيدي إليهم؛ فلما بَصُرُوا به همَّوا به على رسم الصورة. فلما علمَ منهم ما يريدون، كلمهم بالخزريَّة والتركية، فرموا من أيديهم السكاكين، ووثبوا إلى قدميه فقبلوهما، وتضرَّعوا إليه، وتبعوه إلى أن شيعوه إلى المنزل الذي كان ينزل فيه.

فسألهم الترجمانُ عن حالهم، فقالوا: إن هذا الرجلَ يصير إلينا في كلِّ عامٍ، فيقضي أحكامنا، ويرضي بعضنا من بعض، ونستسقي به إذا قحط بلدنا، وإذا نزلت بنا نازلةٌ فرزنا إليه.

فعاهدهم أن لا يأمرهم بذلك، فرجعوا^(١).

فلماذا هذا الكيدُ لبني المصطفى ﷺ؟ لم يفعل مثله مشركو قريش، ولا كفَّارُ الأرضِ يا صانعَ التمثالِ!

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٠٠ - ٣٠١ وهو في حلية الأبرار ج ٢ من ص ٢٦٧ إلى ص ٢٦٩ بتفصيل أولى.

هل صدقت نفسك الأمانة بالسوء حين سؤلت لك هذا التمثال الخشبي
لتحارب به ابن النبي؟ بل لتحارب به مشيئة الرب العلي.

لا بد أنك صدقتها، كما صدقت المتزلفين والكذابين حين سموك أمير
المؤمنين، وأنت في قصرٍ تفوح منه روائح البغي والجور، والفسق
والفجور، وجميع الموبقات التي حاربها الرسول وربُّ الرسول.

إن الوقت الذي صرفته بالتفكير وبصنع التمثال، كان يُغنيك عنه إقامة
حدٍّ من حدود الشرع تُرضي به الله عزَّ اسمه وتُرضي به الإمام الذي تحاربه.
وستحمل وزرَ ذلك وتبعته الثقيلة إلى يوم القيامة، وستحمل ذلك إلى جانب
التبعات الأخرى الكبرى، لأنَّ ذنوبك كلها كبائر: بدءاً من جلوسك على منبر
رسول الله ﷺ بغير حق، وانتهاءً بالجرائم النكراء التي كانت تُرتكب داخل
قصرك وخارجته في أنحاء البلاد، وبأمرك وحدك.

هذا، وقد كان هذا الخليفة الجبار يعتقل الإمام ويشرده عن أهله
ودياره ظلماً وعدواناً كما رأينا، في حين كان الإمام عليه السلام يقضي حوائج
المحتاجين من العباسيين، ويمشي في مصالح المضطربين منهم؛ فقد روي
أنَّ محمد بن سليمان قال:

«لما حمل سيدي موسى بن جعفر عليه السلام إلى هارون الرشيد، جاء إليه
هشام بن إبراهيم العباسي وقال له: يا سيدي، تركبُ إلى الفضل بن يونس
تسأله أن يروجَّ أمري. - ذلك أنه يحمل صكاً عليه بدين له عنده -.

فركبَ إليه أبو الحسن عليه السلام، فدخل حاجبه فقال: يا سيدي، أبو
الحسن، موسى عليه السلام، بالباب.

فقال: إن كنت صادقاً، فأنت حُرٌّ، ولك كذا وكذا.

فخرج الفضل بن يونس حافياً يعدو، حتى خرج إليه فوق على قدميه
يُقْبَلُهُمَا؛ ثم سأله أن يدخل.

فدخل، فقال له: اقض حاجة هشام بن إبراهيم.

فقضاها؛ وطلب إلى الإمام عليه السلام أن يكرمه بالغداء عنده، فتغدى
عنده^(١).

فهو عليه السلام يحسن لبني عمه العباس، ويصل بذلك رَجْمَهُمْ، وهم
يسيئون إليه، ويقطعون به رَجْمَ رسول الله ﷺ، ولذلك قطع الله نسلهم
عن وجه الأرض، وكثر نسله فملا الدنيا فلا تجد فيها إلا سيداً موسوياً،
والحمد لله.

. . أما خليفة الزمان، فقد كان يتلوه مع الإمام بأسئلة تافهة أحياناً
ليفطني على جوهر حبيبه وتشريده. فاستمع إلى ما رواه هاني بن محمد بن
محمود العبدي، عن أبيه بإسناده، حيث قال:

«إن موسى بن جعفر عليه السلام، دخل على الرشيد، فقال له الرشيد: يا بن
رسول الله، أخبرني عن الطبائع الأربع.

فقال موسى عليه السلام: أمّا الرِّيحُ فإنه ملك يداري. وأمّا الدمُ فإنه عبد
غارم، وربما قتل العبد مولاة. وأمّا البلغمُ فإنه خصم جدل، إن سُدَّ من
جانبٍ انفتح من جانبٍ آخر. وأمّا المرأةُ، فإنها أرض إذا اهتزت رجفت بما
فوقها.

فقال هارون: يا بن رسول الله، تُنفِقُ على الناس من كُنوز الله تعالى
ورسوله ﷺ^(٢).

(١) حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٨٤.

(٢) الاختصاص ص ١٩٨.

وقارني الكريم، وأنا، نرى أن الإمام عليه السلام يرمز في تعريفه للطبائع الأربعة إلى شيء خفي علينا. ولكن ذلك الشيء الذي عناه لم يخف على الرشيد قطعاً. فربما كان قد أجرى له ذلك التحليل الرمزي ليبيّن له أنه ربما قتل العبد مولاها. أو أنه عنى غير ذلك. فالمهم أن الرشيد فهم ما أراد الإمام. ولكن الأهم هو أن نفهم نحن لماذا كان الرشيد يحور ويدور على أسئلة كهذه، ولا يسأل الإمام عن أشياء جوهرية لها مساس بحكمه الظالم؟ وبأسباب حبس الإمام ووضعها في قفص الاتهام دون ذنب أو جرم؟



«وروى الشريف المرتضى في «الغرر» عن أبي عبد الله عليه السلام، بإسناده عن أيوب بن الحسين الهاشمي، أنه حضر باب الرشيد رجل يقال له: نفيح الأنصاري، وحضر موسى بن جعفر على حمار له، فتلقاه الحاجب بالإكرام، وعجل له بالإذن.

فسأل نفيح عبد العزيز بن عمر: من هذا الشيخ؟

قال: شيخ آل أبي طالب، شيخ آل محمد؛ هذا موسى بن جعفر.

قال: ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم - أي العباسيين - يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير. أما إن خرج لأسوأه.

فقال عبد العزيز: لا تفعل؛ فإن هؤلاء أهل بيت قلما تعرض لهم أحد في الخطاب، إلا وسموه في الجواب سمة يبقى عارها عليه مدى الدهر.

قال: وخرج موسى، وأخذ نفيح بلبجام حماره وقال: من أنت يا هذا؟

قال: يا هذا، إن كنت تريد النسب أنا ابن محمد حبيب الله، ابن

اسماعيل ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله . وإن كنت تريد البلد، فهو الذي فرض الله على المسلمين، إن كنت منهم، الحج إليه . وإن كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضي مشركو قومي مسلمي قومك أكفأهم حتى قالوا: يا محمد، أخرج إلينا أكفأنا من قريش! . وإن كنت تريد الصيت والاسم، فنحن الذين أمر الله بالصلاة علينا في الصلوات المفروضة، تقول: اللهم صل على محمد وآل محمد، فنحن آل محمد.

خَلُّ عَنِ الْحَمَارِ .

فخلى عنه ويده ترتعد، وانصرف مخزياً .

فقال له عبد العزيز: ألم أقل لك؟^(١) .

ونعيماً يا نفيح، وما نفعك ضرورك! .

بل نعيماً يا ضرير، يا أعمى البصر والبصيرة . . ورثاء لسوء حالك بعد أن أردت الإساءة إلى الإمام ^{عليه السلام} ، فأيس يدك على لجام حماره . يا حماراً .

وسحقاً لامثالك من أهل العناد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، فصب عليهم ربك سوط عذاب . .
ومن تعرض لِمَا لا يعنيه، أصيب بما لا يرضيه . . يا نفيح . . يا وضع!

قال محمد بن علي بن ماجيلويه :

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٦ وهو في إهلام الوري ص ٢٩٧ باختلاف يسير في اللفظ، وهو في حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

«لما حبسَ هارونَ الكاظمَ عليه السلام، جنَّ عليه الليل، فجدَّد موسى ظهورَهُ فاستقبل بوجهه القبلة، وصلى أربع ركعات، ثم دعا فقال:

يا سيدي نجني من حبسِ هارون، وخلصني من يدي يا مخلصَ الشجرِ من بينِ رملٍ وطين، ويا مخلصَ النارِ من بينِ الحديدِ والحجر، ويا مخلصَ اللبنِ من بينِ قرثٍ ودم، ويا مخلصَ الولدِ من بينِ مشيمةٍ ورحم، ويا مخلصَ الروحِ من بينِ الأحشاءِ والأمعاء، خَلِّصني من يدِ هارونَ الرشيد.

قال: فرأى هارونَ رجلاً أسودَ بيده سيفٌ قد سلَّه، واقفاً على رأسِ هارون وهو يقول: يا هارون، أطلقني عن موسى بن جعفر، وإلا ضربتُ علاوتك - أي عنقك - بسيفي هذا.

فخاف من هيئته ثم دعا بحاجبه.

فجاء الحاجبُ فقال له: إذهب إلى السجن، وأطلق موسى بن جعفر^(١).

«وفي روايةٍ عن الفضل بن الربيع، أنه قال: سُرَّ إلى حبسنا، وأخرج موسى بن جعفر، وادفع إليه ثلاثين ألف درهم، واخلع عليه خمسن خلع، واحمله على ثلاث مراكب. وخيرُهُ: إما المقام معنا، أو الرحيل إلى أي البلاد أحب.

فلما عرض الخلع عليه أبى أن يقبلها^(٢).

وفي روايةٍ عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، قال في نهايتها: «فخرجَ الحاجبُ، ففرغَ بابَ السجن، فأجابه صاحبُ السجن، فقال: مَنْ ذا؟»

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٠٥ - ٣٠٦ وولادة الإمام موسى الكاظم من ص ٢٣ إلى ص ٢٥.
(٢) المصدر السابق.

قال: إنَّ الخليفة يدعو موسى بن جعفر، فأخرجه من سجنك، وأطلق عنه.

فصاح السجَّان: يا موسى، إنَّ الخليفة يدعوك.

فقام موسى مدعوراً فزعاً وهو يقول: لا يدعوني في جوف هذا الليل إلاَّ لشرٍّ يريد به.

فجاء إلى هارون، فقال: سلامٌ على هارون.

فردَّ عليه السلام، ثم قال له: ناشدتك الله، هل دعوت في جوف هذا الليل بدعوات؟

فقال: نعم.

قال: وما هنَّ؟

فذكر له ما فعل وما دعا.

فقال هارون: قد استجاب الله دعوتك. ثم دعا بخلع، فخلع عليه ثلاثاً، وحمله على فرسه وأكرمه. وبقي عند هارون كريماً، شريفاً، يدخل عليه في كلِّ خميس، إلى أن حبسه الثانية، وتوفي في حبسه^(١).

وما كان الإمام عليه السلام، ليفعل ذلك من الدعاء بالخلاص، إلاَّ ليعرف خليفة الزمان المزيف، أنه إذا دعا الله استجاب له، وأنه لم يدع على الخليفة مطلقاً، ليستكمل مدته من الظلم والجور الذي هو عليه؛ وكذلك ليعرفنا - نحن أيضاً - أنه يستطيع أن ينجو في كلِّ لحظة من خطر هؤلاء الظلمة، وأن يزيلهم عن مراتبهم. ولكنه عليه السلام مأمور بالصبر كآبائه صلوات الله عليهم، وسكوته يُنجيه ردهاً من الزمن يقول فيه كلمة الحق بين الناس، في مجالس

(١) حلية الأبرار ج ٤ ص ٢٦٦ - ٢٦٧ ووفاء الإمام موسى الكاظم ص ٢٧.

الأمراء، وفي قصورهم كما في سجونهم، لِيُلْقِيَ الحُجَّةَ عليهم وعلى أتباعهم. وهو يعمل بموجب الميثاق الذي بيده من جدّه سيّد المرسلين وخاتم النبيّين صلوات الله عليه وعلى أهل بيته. فالإمام مرصودٌ لأمرٍ خاصٍّ من الله تبارك وتعالى، وهو لا يحد عن الخطّ المرسوم له قيدَ شعرة، فإذا انتهى ما هو مأمورٌ به في عهد جدّه عليه السلام ينتهي أمره ويلحق بأبائه الطاهرين عليهم السلام.



وقال المسعودي في (مروج الذهب) تحت هذا العنوان:

«رؤيا الرشيد يُؤمَرُ بالتخليّة عن موسى بن جعفر - حين كان في

حبسه -:

وذكر عبد الله بن مالك الخُزاعي - وكان على دار الرشيد وشروطه -

قال:

أتاني رسولُ الرشيد في وقت ما جاءني فيه قَطٌّ، فانتزعني من موضعتي، ومنعني من تغيير ثيابي، فأعني ذلك منه.

فلما صرْتُ إلى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيدَ خبري، فأذن لي في الدخول عليه.

فدخلتُ، فوجدته قاعداً على فراشه، فسلمت.

فسكت ساعةً، فطار عقلي وتضاعف الجزع عليّ، ثم قال لي:

يا عبد الله، أتدري لِمَ طلبتُك في هذا الوقت؟

قلت: لا والله يا أمير المؤمنين.

قال: إنني رأيت الساعةَ في منامي كأنّ جيشاً قد أتاني ومعه حربَةٌ، فقال

لي: إن لم تُخلُ عن موسى بن جعفر الساعةَ، وإلّا نحرّتك بهذه الحربة.

فاذهب، فخلّ عنه .

فقلت: يا أمير المؤمنين، أطلق موسى بن جعفر؟ ثلاثاً .

قال: نعم، امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر؛ وأعطه ثلاثين ألف درهم، وقُلْ له: إن أحببت المقام قبلنا، فلك عندي ما تحب، وإن أحببت المضي - الانصراف - إلى المدينة، فالإذن في ذلك إليك .

قال - عبد الله بن مالك الخزاعي - : فمضيت إلى الحبس لأخرجه، فلما رأني موسى وثب إلي قائماً، وظن أنني قد أمرت فيه بمكروه . فقلت: لا تخف، وقد أمرني أمير المؤمنين بإطلاقك، وأن أدفع لك ثلاثين ألف درهم . وهو يقول لك: إن أحببت المقام قبلنا فلك ما تحب، وإن أحببت الانصراف إلى المدينة فالأمر في ذلك مطلق إليك .

وأعطيته الثلاثين ألف درهم، وخلّيت سبيله، وقلت: لقد رأيت في أمرك عجباً .

قال: فإنني أخبرك . بينما أنا نائم إذ أتاني النبي ﷺ ، فقال:

يا موسى، حُبستَ مظلوماً، فقلْ هذه الكلمات: فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس .

فقلت: بأبي وأمي، ما أقول؟ .

فقال: قل: يا سامع كل صوت، ويا سابق الفوت، ويا كاسي العظام
ومُنشِرها بعد الموت، أسألك بأسمائك الحسنى، وباسمك الأعظم الأَكْبَرِ
المَخْرُوجِ المَكْنُونِ، الَّذِي لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ المَخْلُوقِينَ، يَا حَلِيماً ذَا أَنَاةٍ
لَا يَفْؤَى عَلَى أَنَاتِهِ، يَا ذَا المَعْرُوفِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ أَبَداً، وَلَا يُحْصَى عَدَدُهُ،
فَرِّجْ عَنِّي .

فكان ما ترى» (١).

وكل هذه الروايات تؤدي إلى نتيجة واحدة، هي أن الإمام عليه السلام إذا أراد أن يفعل شيئاً فعله بمشيئة ربه وإذنه، وأنه يفعل هذه المعاجز البسيطة ليُنَبِّه الغافلين، وليهز السوط للظالمين، وليوضح للناس أجمعين أنه قادر - بقدرته ربه - على فعل ما يريد، ولم يفكر يوماً بملك الدنيا وسلطانها الزائل.



ونقل أبو جعفر بن جرير الطبري عن الأعمش أنه قال:

«رأيت كاظم الغيظ عليه السلام عند الرشيد وقد خضع له.

فقال له عيسى بن أبان: يا أمير المؤمنين، لِمَ تخضع له؟»

قال: رأيت من ورائه أفعى تضرب بأنيابها وتقول: أجبهُ بالطاعة وإلا

بلعتك! ففرعتُ منها، فأجبت» (٢).

نعم كان يرى الرشيد وأسرته أكثر من ذلك من معاجز أهل هذا البيت المقدس صلوات الله عليهم، ولكنهم فراعنة كفرعون موسى الذي اتهمه بالسحر، وهو يعلم أنه ليس بسحر. ولجهلهم بالدين تمسكوا بسلطان ظالم قتل بعضهم أباه من أجله، وقتل غيره أخاه أو ابن عمه، وما رعوأ فيه لمؤمن كرامة ولا فضلاً.

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٤٦ - ٣٤٧ وفي بنابيع المودة ج ٣ ص ١١ ذكر أن هارون الرشيد رأى هلياً رضي الله عنه في المنام معه حرباً وهو يقول: خلص الكاظم وإلا فتلتك بهذه الحربة. وهو في بنابيع المودة ج ٣ ص ٣٢ و٣٧ وأن الرشيد رأى في منامه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام. وهو أيضاً في حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٦٣ - ٢٦٤ وفي الاختصاص ص ٥٩ - ٦٠ وقال: رواه الصدوق في «العيون» والمجلسي في بحار الأنوار م ١١ ص ٣٩٩.

(٢) حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٦٠.

وإذا كنت تعجب مما ذكرناه، فاستمع إلى ما هو أعجب. فعن أبي محمد، عبد الله - بن الفضل بن الربيع - عن الفضل، أنه قال:

«كنت أحجب الرشيد، فأقبل عليّ يوماً غضباناً، ويده سيفٌ يُقلِّبه. فقال لي: يا فضل، بقرابتي من رسول الله ﷺ، لئن كان لم تأتني بأبن عمي الآن لأخذت الذي فيه عيناك.

فقلت: بمن أجيئك؟

فقال: بهذا الحجازي.

قلت: وأي حجازي؟

قال: موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال الفضل: فخفت من الله عز وجل أن أجيء به إليه. ثم فكرت بالنتمة فقلت له: أفعل.

فقال: إيتني بسوطين وسمارين، وجلادين...

فأتيته بذلك، ومضيت إلى منزل أبي إبراهيم، موسى بن جعفر. فأتيت إلى خربة فيها كوخ من جرائد النخل، فإذا أنا بغلام أسود فقلت له: استأذن لي على مولاك، يرحمك الله.

فقال لي: ليح، ليس له حاجب ولا بواب.

فولجت إليه، فإذا بغلام أسود بيده مقصراً يأخذ من جبينه وعرنين أنفه من كثرة سجوده. فقلت له: السلام عليك يا بن رسول الله. أجب الرشيد.

فقال: ما للرشيد وما لي؟ أما تشغله نعمته عني؟

ثم وثب مسرعاً وهو يقول: لولا أنني سمعت في خبر عن جدي رسول الله ﷺ أن طاعة السلطان للتيبة واجبة، إذا ما جئت.

فقلت له : استعِدُّ للعقوبة يا أبا إبراهيم ، رحمك الله .

فقال عليه السلام : أليس معي من يملك الدنيا والآخرة ؟ . ولن يقدرَ اليومَ على سوءٍ بي إن شاء الله تعالى .

قال الفضل بن ربيع : فرأيتُه وقد أدار يده يُلَوِّحُ بها رأسه ثلاثَ مرَّاتٍ .
فدخلتُ على الرشيد ، فإذا كأنه امرأةٌ تُكَلِّمُ ، قائمٌ حيراناً . فلما رأني قال لي : يا فضل .

قلت : لبيك .

فقال : جئتني بابن عمي ؟ .

قلت : نعم .

قال : لا يكون أزعجته ؟ .

فقلت : لا .



قال : لا يكون أعلمته أنني عليه غضبان ، وأنتي قد هيَّجتُ على نفسي ما لم أردُه . . . إذن له بالدخول .

فأذنتُ له . فلما رآه وثب إليه قائماً ، وعانقه وقال له : مرحباً بابن عمي وأخي ووارثِ نعمتي . ثم أجلسه على فخذي وقال له : ما الذي قطعك عن زيارتنا ؟ .

فقال : سعةٌ مملكتك ، وحبُّك للدنيا .

فقال : إئتوني بحُقَّةِ الغالية - أي بالطيب - فأني بها . فعلقه بيده ، ثم أمرَ أن يُحملَ بين يديه خلعٌ وبِدْرَتا دنانير . - أي صُرَّتَانِ - .

فقال موسى بن جعفر عليه السلام : لولا أنني أرى أن أزوجَ بها من عُرَّابِ بني أبي طالبٍ لثلا ينقطع نسله أبداً ما قبلتها .

ثم تَوَلَّى ﷺ ، وهو يقول : الحمد لله رب العالمين .

فقال الفضل - للرشيد - : أردت أن تُعاقبه ، فخلعت عليه وأكرمته ١٢ .

فقال لي : يا فضل ، إنك لما مضيت لتجيشني به ، رأيت أقواماً قد أحذقوا بداري ، بأيديهم جرابٌ قد غرسوها في أصل الدار ، يقولون : إن أذى ابن رسول الله ﷺ خسفنا به ، وإن أحسن إليه انصرفنا عنه وتركناه .

فتبعته فقلت له : ما الذي قلته حتى كُفيت أمر الرشيد ١٣ .

قال : دعاء جدِّي علي بن أبي طالب ﷺ . كان إذا دعا به ما برز إلى عسكري إلا هزمه ، ولا إلى فارسٍ إلا قهره ، وهو دعاء كفاية البلاء .
فقلت : وما هو ؟ .

قال : قل : اللَّهُمَّ بِكَ أَسَاوِرُ ، وَبِكَ أَطَاوِرُ ، وَبِكَ أَحَاوِرُ ، وَبِكَ أَصُولُ ، وَبِكَ أَنْتَصِرُ ، وَبِكَ أَمُوتُ ، وَبِكَ أَحْيَا ، أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَنِي وَرَزَقْتَنِي ، وَسَتَرْتَنِي عَنِ الْعِبَادِ بِلُطْفٍ مَا خَوَّلْتَنِي وَأَهْنَيْتَنِي ، وَإِذَا هَوَيْتُ رَدَدْتَنِي ، وَإِذَا عَثَرْتُ قَوْمْتَنِي وَإِذَا مَرَضْتُ شَفَيْتَنِي ، وَإِذَا دَعَوْتُ أَجَبْتَنِي ، يَا سَيِّدِي أَرْضْ عَنِّي فَقَدْ أَرْضَيْتَنِي ،^(١)

وهذه من آياته التي آمنَ بها الخليفة حال حدوثها ، ولكنه كفرَ بها كما كفرَ بغيرها من قبلُ كما هي عادةُ أهل العناد الذين إذا رأوا آية ﴿ وَحَمَدُوا بِهَا ﴾ وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَفْصَحُ .^(٢)

ومن آياته التي فجعاً بها الناس يومئذٍ ، وهو في آخر سجنٍ حلَّ فيه ، ما قاله أبو الأزهر ، ناصح بن عليِّة البرجمي في حديث طويل :

(١) حلية الأبرار ج ٢ من ص ٢٦١ إلى ص ٢٦٤ .

(٢) سورة النمل : ١٤ .

«جمعني مسجد بإزاء دار السندي بن شاهك، وابن السكيت .
فتفاوضنا - أي تذاكرنا - في العربية، ومعنا رجل لا نعرفه، فقال: يا هؤلاء،
أنتم إلى إقامة دينكم أخرج منكم إلى إقامة أئمتكم، وساق الكلام إلى إمام
الوقت، وقال: ليس بينكم وبينه غير هذا الجدار .

قلنا: تعني هذا المحبوس، موسى؟ .

قال: نعم .

قلنا: سترنا عليك، فقم من عندنا مخافة أن يراك أحد جليسا فنؤخذ

بك .

قال: واللّه لا يفعلون ذلك أبداً . واللّه ما قلت لكم إلا بأمره، وإنه
ليرانا ويسمع كلامنا، ولو شاء أن يكون ثالثنا لكان .

قلنا: فقد شئنا، فادعنا إلينا .

فإذا قد أقبل رجل من باب المسجد داخلًا، كادت لرؤيته العقول أن

تذهل؟ . فعلمنا أنه موسى بن جعفر بن محمد بن جعفر بن محمد بن موسى
. . ثم قال: أنا هذا الرجل، وتركتنا .

وخرجنا من المسجد مبادرين، فسمعنا وجيباً شديداً . وإذا السندي بن
شاهك يعدو داخلًا إلى المسجد معه جماعة . فقلنا: كان معنا رجل فدعانا
إلى كذا وكذا، ودخل هذا الرجل المصلّي، وخرج ذلك الرجل ولم نره .

فأمر بنا فأمسكنا . ثم تقدم إلى موسى وهو قائم في المحراب، فاتاه
من قبل وجهه، ونحن نسمع، فقال: يا ويحك، كم تخرج بسحرك هذا
وحيلتك من وراء الأبواب والأغلاق والأقفال، وأردك! . فلو كنت هربت
كان أحب إلي من وقوفك هاهنا . أتريد يا موسى أن يقتلني الخليفة .

قال: فقال موسى، ونحن واللّه نسمع كلامه: كيف أهرب، وللّه في

أيديكم موقّت لي يسوق إليها أقدارها، وكرامتي على أيديكم . . . في كلام له .

قال : فأخذ السندي بيده ومشى ، ثم قال للقوم : دَعُوا هَذَيْنِ وَاخْرُجُوا إِلَى الطَّرِيقِ فَامْنَعُوا أَحَدًا يَمُرُّ مِنَ النَّاسِ حَتَّى أُتِمَّ أَنَا وَهَذَا إِلَى الدَّارِ (١) .

فيا رب ﴿ أَمْ لَهُمْ آعُونَ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا . . ﴾ (٢)
وَأَيْنَ يَضِيعُ الْفَهْمُ ، وَيَغِيبُ الْعِلْمُ وَالرُّشْدُ ؟ ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٣) .

قال محمد بن عبّاد المهلبي :

«لَمَّا حَبَسَ هَارُونَ الرَّشِيدُ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ ، وَأَظْهَرَ الدَّلَائِلَ وَالْمَعْجَزَاتِ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ ، دَعَا الرَّشِيدُ يَحْيَى بْنَ خَالِدِ الْبُرْمَكِيِّ وَسَأَلَهُ تَدْبِيرًا فِي شَأْنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ :
الَّذِي أَرَاهُ لَكَ أَنْ تَمُنَّ عَلَيْهِ وَتَهَيَّلَ رَجْمَهُ .

فقال الرشيد : انطلق إليه ، وأطلق عنه الحديد ، وأبلغه عني السلام ،
وقل له : يقول لك ابن عمك : إنه قد سبق فيك مني يمين أن لا أخليك حتى
تقر لي بالإساءة ، وتسألني العفو عما سلف منك . وليس عليك في إقرارك
عار ، ولا في مسألتك إياي منقصة . وهذا يحيى وهو ثقتي ووزير ي ، فله قدر
ما أخرج من يميني ، وانصرف راشداً .

فقال عليه السلام : يا أبا علي ، أنا ميت ، وإنما بقي من أجلي أسبوع . فاكتب
قولي ، واتيني يوم الجمعة ، وصل أنت وأوليائي علي فرادى . وانظر إذا سار

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٢) سورة الأعراف : ١٩٥ .

(٣) سورة الحج : ٤٦ .

هذا الطاغية إلى الرقة وعاد إلى العراق لا يراك ولا تراه، واحتل لنفسك فلاني رأيت في نجومك ونجم ولدك ونجمه أنه ياتي عليكم، فاحذروه! .

ثم قال له: يا أبا علي، أبلغه عني: يقول موسى بن جعفر: رسولي يأتيك يوم الجمعة، ويخبرك بما يرى. وستعلم غداً إذا جاثيتك بين يدي الله من الظالم والمعتدي على صاحبه! .

فلما أخبره بجوابه قال هارون: إن لم يدع النبوة بعد أيام فما أحسن حالنا! .

فلما كان يوم الجمعة توفي أبو إبراهيم عليه السلام (١) .

وبوفاة الإمام عليه السلام يوم الجمعة، كتب الله تعالى الخزي على وجه الخليفة الذي سخر من قول الإمام وقال: إن لم يدع النبوة بعد أيام فما أحسن حالنا! .

فإن الإمام عليه السلام قد أنبا يحيى البرمكي بأن هذا السلطان الظالم سيفتك به وبأولاده، وحذره من ذلك، فلم يأخذ الحيلة لنفسه ولا لأولاده، فوقع هو وإياهم في الهلاك .

والشيء الهام الذي نريد إيضاحه، هو أن هارون الرشيد كان يمؤه على الآخرين، ويريهم أنه يريد إطلاق سراح الإمام في الأسبوع الذي عزم فيه على سمه، وبذلك يصرف أفكارهم عن أنه يدبر المكيدة مع أعوانه لسم الإمام وقتله. ولذلك نرى الإمام صلوات الله عليه لم يجبه بأكثر من أن تهدده بمحاكمته بين يدي الله تعالى، وكشف له عن علمه بتدبير الحيلة لقتله وهو يعلن أنه سيطلق سراحه، وبذلك ألقمه حجراً سد به فاه .

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٩٠ .

قال عبد الله بن إبراهيم الجعفري :

«كتب يحيى بن عبد الله بن الحسن، إلى موسى بن جعفر عليه السلام :

أما بعد، فأوصي نفسي بتقوى الله، وبها أوصيك . فإنها وصية الله في الأولين، ووصيته في الآخرين .

خبرني من ورد علي من أعوان الله على دينه ونشر طاعته، بما كان من تحنك مع خذلانك، وقد شاورت في الدعوة للرؤسا من آل محمد عليهم السلام، وقد احتجبتها واحتجها أبوك من قبلك . - أي احتجبا المشورة - . وقديماً أدعيتم ما ليس لكم، وبسَطْتُمْ آمالكم إلى ما لم يُعْطِكُم اللهُ، فاستهويتم وأضللتم؛ وأنا مُحذِرُك ما حذرك الله من نفسه .

فكتب إليه أبو الحسن، موسى بن جعفر عليه السلام :

من موسى بن أبي عبد الله: جعفر، وعلي، مشتركين في التذلل لله وطاعته؛ إلى يحيى بن عبد الله بن حسن.

أما بعد، فإنني مُحذِرُك اللهُ ونفسي، وأعلمك أليم عذابه، وشديد عقابه، وتكامل نِقْمَاتِهِ . وأوصيك ونفسي بتقوى الله، فإنها زينُ الكلام وتثبيتُ النعم .

أتاني كتابك تذكر فيه أنني مدع، وأبي من قبل، وما سمعت ذلك مني ! ﴿ سَتَكُنَّ بِشَهَادَتِهِمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ ^(١) .

لم يدع جرح الدنيا ومطالبها لأهلها مطلباً لآخرتهم، حتى يفسد عليهم مطلب آخرتهم في دنياهم .

وذكرت أنني تُبَطِّتُ الناس عنك لرغبتني فيما في يدك، وما منعني من

(١) سورة الزخرف: ١٩ .

مدخلك الذي أنت فيه لو كنت راغباً، ضعفت عن سنة، ولا قلة بصيرة
بحجة. ولكن الله تبارك وتعالى خلق الناس أمشاجاً وخرائب وخرائن.

فأخبرني عن حرفين أسألك عنهما: ما العترف في بدنك؟ وما
الصهلج في الإنسان؟ ثم اكتب إلي بخبير ذلك.

وأنا متقدم إليك أحذرك معصية الخليفة، وأحثك على بره وطاعته،
وأن تطلب لنفسك أماناً قبل أن تأخذك الأظفار، ويلزمك الخناق من كل
مكان، فتروح إلى النفس من كل مكان تجده حتى يمن الله عليك بمنه
وفضله، وريقة الخليفة أبقاه الله، فيؤمّنك ويرحمك، ويحفظ فيك أرحام
رسول الله، والسلام على من أتبع الهدى، ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى
مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾^(١).

قال الجعفري: فبلغني أن كتاب موسى بن جعفر عليه السلام، وقع في يدي
هارون (الرشيد) فلما قرأه قال: الناس يحملوني على موسى بن جعفر، وهو
بريء مما يُرمى به^(٢).

فلم تأخذ البريء بغير ذنب يا عنق البعير الذي جلس على مقعد
الخلافة ليقيم العدل بين الناس ١٩.

وكيف يجوز لك أن تتهم بريئاً، وتحبس بريئاً، وتسم بريئاً، وتقتل بريئاً.
إذا وقفت وإياه بين يدي الله، وجائك أمام الحكم العدل، فستبوء
بالخسران في ساعة لا ينفع فيها الندم لمن ندم وتاب.

أيام شقاء الإمام في ظل حكمك انتهت.. بأن راح إلى ربه شهيداً
مظلوماً، ولحق بابائه الأبرار الأطهار.. إلى جنة الله ورضوانه.

(١) سورة طه: ٤٨.

(٢) الكافي ١م ص ٢٦٦-٢٦٧.

وأَيَّامُ سَعَادَتِكَ وَلَهْوِكَ وَغَفْلَتِكَ قَدْ انْقَضَتْ . . وَرُحْتَ حَكْمًا ظَالِمًا قَدْ
تَقَمَّصَ غَيْرَ سِرْبَالِهِ، وَوَرَدَ عَلَى رَبِّهِ يَدًا بِيَدٍ مَعَ فِرَاعِنَةِ الْعَصُورِ، وَمَعَ ابْنِ
مُلْجَمٍ وَقَتْلَةِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَأَبْنَائِهِ عليهم السلام . . وَكُنْتُمْ جَبَّارِينَ، وَوَقَعْتُمْ بَيْنَ
يَدَيِ جَبَّارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . الْحَاكِمِ بِالْعَدْلِ . .



مرکز تحقیقات کپیوٹر علوم اسلامی

عِلْمُهُ بِمَا يَكُونُ..

علمُ النبيِّ وأوصيائه - صلواتُ الله عليه وعليهم - بما كان وبما يكون، من البديهيَّات التي لا تحتاج إلى برهانٍ، ولا تفتقر إلى دليلٍ، ذلك أنهم خُلفاءُ الله في الأرض، وأمناؤُهُ على الرُحِيِّ، وسُفْرَاؤُهُ إلى الخلق، وليس من العجيب أن يكون السفيرُ على علمٍ بما يدور في أرجاء دولته، ولا من الغريب أن يكون سفيرُ الله تعالى على معرفةٍ تامَّةٍ بما يحدث في الأرض بكاملها، لأنَّ عِلْمُهُ من علمِ الله، بعد أن كان انتدابه من قبَلِهِ عزَّ وجلَّ.

أجل، نحن نُخلِّقُ مع عَيْنَيْنِ وَأُذُنَيْنِ، ولسانٍ وشفَتَيْنِ، وعقلٍ يعي ويقدر، والإمامُ يُخلِّقُ هكذا مع إضافة أن تكون مداركُهُ مرهفةً وأكثرَ قدرةً، إلى جانب أنه يحمل آثار الإمامة التي تجعله على صلةٍ بالسماء، كما يتصل الناس اليوم فيما بينهم بسلكٍ وبلا سلك، وإلى جانب موظفي سفارته من الملائكة الذين يعملون بين يديه ليلَ نهار، ليوفِّروا له عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ يَلْزَمُهُ وَيُسألُ عنه، سوى ما استأثر الله تعالى به لنفسه من علم الساعة وغيرها.

فمن الحسن بن علي بن يقطين، عن أبيه، قال:

«سألت أبا الحسن عليه السلام - أي الإمام الرضا - عن شيءٍ من أمر

العالم.

فقال: نكت في القلب، ونقر في الأسماع. وقد يكونان معاً^(١).

وعن أبيه، عن علي بن يقطين - أيضاً - قال:

«قلت لأبي الحسن: علم عالمكم استماع، أو إلهام؟»

قال: يكون سماعاً، ويكون إلهاماً. ويكونان معاً^(٢).

وهذا الأمر من مواهب الله تعالى لهم، والخلق يتفاوتون بتفاوت درجات طاقاتهم من حيث العقل والإدراك، وقوة الحدس، ودرجات الذكاء والفهم. فكيف بالأئمة عليهم السلام، وقد رصدهم الله تعالى للأمر الخطير؟

قال سليمان الجعفري:

«كنت عند أبي الحسن عليه السلام، فقال: يا سليمان اتق فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله^١.

فسكت حتى أصبت خلوقة فقلت: جعلت فداك، سمعتك تقول: اتق فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله^١.

قال: نعم، يا سليمان. إن الله خلق المؤمنين من نوره، وصبغهم في رحمته، وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية. والمؤمن هو المؤمن لأبيه وأمه: أبوه النور، وأمه الرحمة. وإنما ينظر بذلك النور الذي خلق منه^(٣).

ونحن - في حياتنا اليومية - نرى من ينظر بنور الله، ويُخبرنا بأشياء في ضمائرنا لا يعلمها إلا الله تعالى، ويستشف أشياء كثيرة من وراء الغيب، وينطق بمعلومات حدسية تكون صادقة إلى حد المائة بالمائة.

(١) بصائر الدرجات ج ٧ ص ٣١٦.

(٢) المصدر السابق ص ٣١٧.

(٣) بصائر الدرجات ج ٢ ص ٧٩ - ٨٠.

أما الأئمة عليهم السلام ، فهم على رأس المؤمنين ، وقد وهبهم الله سبحانه من نوره ، ومن علمه ، ما يجعلهم قادرين على معرفة ما كان وما يكون ، لأن ذلك ميسورٌ لهم بوسائل كثيرة هيأها سبحانه لهم . وهم جديرون بأن يملأوا مركز ولايتهم على الناس ، حتى لا يكون بين الناس من يساويهم أو يداني علمهم ومعرفتهم مطلقاً .

وقد قال علي بن حمزة :

«دخلتُ على أبي الحسن : موسى عليه السلام ، في السنة التي قبض فيها أبو عبد الله الصادق عليه السلام ، فقلتُ له : كم أتى لك ؟ .

فقال : تسع عشرة سنة .

فقلتُ : إن أباك أسرَّ إليَّ سرّاً ، وحدثني بحديثٍ ، فأخبرني ؟ .

فقال لي : قال لك كذا وكذا ، حتى نسقُ عليَّ جميع ما أخبرني به أبو عبد الله عليه السلام ^(١) .

فابنُ التسع عشرة سنة الذي روى للسائل ما قاله أبوه له سرّاً حرفاً حرفاً ، ودون زيادةٍ أو نقصانٍ ، ومن غير أن يكون حاضراً حين تكلم أبوه ، لم يرو ذلك إلا بعلمٍ يقينٍ أُلقيَ في سمعه ، أو نكثَ في قلبه من لدنِ عليمٍ خبيرٍ وعلى كلِّ شيءٍ قديرٍ .

ونحن نعترف بقُدرة الله المطلقة ، وما علينا ممن يعنى عن نور الشمس ، ويُنكر ضوء النهار ؟ .

وهذا ابنُ الإمام الكاظم عليه السلام ، إسماعيلُ بنُ موسى يقول :

«كُنَّا مع أبي الحسن عليه السلام في عُمرَةٍ ، فنزلنا بعض قصور الأمراء .

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٨ - ٢٩

وأمر بالرحيل، فشددت المحامل، وركب بعضُ الغلمان. وكان أبو الحسن عليه السلام في بيت، فخرج فقام على بابه فقال: حُطُّوا، حُطُّوا.

قال إسماعيل: وهل ترى شيئاً؟^١.

فقال: إنه ستأتيكم ريحٌ سوداءٌ مُظلمةٌ، ترمح - أي تطرح - بعضُ الإبل.

فحُطُّوا. وجاءت ريحٌ سوداء.

قال إسماعيل بن موسى: فأشهد لقد رأيتُ جَمَلاً كان لي عليه كنيسة - أي شبه اليهودج - كنت أركب فيها أنا وأحمدُ أخي. ولقد قام ثم سقط على جنبه بالكنيسة^(١).

فهل هذا من الحدس، أم من الفطن، أم من ظاهرة طبيعية راهنة لم يروها قبل أن يحدثهم عنها.

لا هو من هذا ولا من ذلك، بل إنه وحيٌ يوحي كمثل ما أوحى لأُمِّ موسى التي ألهمت إلهاماً كسبه ما يُلهم الأنبياء، وكانت موضع عناية الله تبارك وتعالى ليتمَّ أمرُ سلامة ابنها نبي المستقبل. وهذه البادرة كتلك فسَمَّها إن شئت معجزةً ربَّانيةً، ولولا ذلك لَمَا عرف أن الريح ستكون سوداءً، ولا خطر بباله أنها سترمح بعضُ الإبل.

ومثل ذلك ما رواه علي بن حمزة الذي قال:

«كُنَّا بِمَكَّةَ سَنَةً مِنَ السَّنِينَ، فَأَصَابَتِ النَّاسَ تِلْكَ السَّنَةُ صَاعِقَةً كَبِيرَةً، حَتَّى مَاتَ مِنْ ذَلِكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

فدخلتُ على أبي الحسن عليه السلام، فقال مُبتدئاً من غير أن أسأله:

(١) المصدر السابق ص ٣٣.

يا علي، ينبغي للغريق، والمصعوق أن يُترَبَّصَ به ثلاثاً، إلى أن يجيء منه ريحٌ يدلُّ على موته .

قلتُ له : جُعِلتُ فداك ، كأنك تُخبرني أنه دُفِنَ ناسٌ كثيرٌ أحياء .

قال : نعم ، يا علي : قد دُفِنَ ناسٌ كثيرٌ ما ماتوا إلا في قبورهم^(١) .

وهذا من عِلْمِ الله عزَّ وجلَّ ، لأنه ما من أحدٍ نزل في قبرٍ غريقٍ أو قبر مصعوق ، ورأى أنهما دُفِنَا حَيَّين ، وأنهما لم يموتا حقيقةً عندما أُغْمِيَ عليهما إغماءٌ يُشبه الموت . ثم إن هذا لا يتحقق بالحدس والتخمين ، ولا يجعله الاحتمال معقولاً . ولكنه علمٌ بما كان وبما يكون ، موهوبٌ للإمام عليه السلام بشأن من يصاب بغيوبةٍ مفاجئةٍ طويلة الأمد ، ثم يُفِيق منها ويعود إلى الحياة .



وقال إسحاق بن عمار :

«سمعتُ العبد الصالح ينمى إلى رجلٍ نفسَه . فقلت في نفسي : وإنه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته^(٢) .»

فالتفتُ إليَّ شِيبَةُ المَغْضَبِ فقال : يا إسحاق ، كان رشيد الهجري^(٢) ، وكان من المستضعفين ، يعلم علم المنايا والبلايا . فالإمامُ أولى بذلك . يا إسحاق اصنع ما أنت صانعٌ فعمرك قد فني ، وأنت تموت إلى ستين ، وإخوتك وأهل بيتك لا يلبثون من بعدُ إلا يسيراً حتى تفترق كلمتهم ويخون بعضهم بعضاً ، ويصيرون لإخوانهم ومن يعرفهم رحمةً ، حتى يشمت بهم عدوهم .

قال إسحاق : فإنني أستغفر الله مما عرض في صدري .

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٢) رشيد الهجري من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان قد ألقى إليه علم المنايا والبلايا .

فلم يلبث إسحاق بعد هذا المجلس إلا ستين حتى مات . ثم ما ذهبت الأيام حتى قام بنو عمّار ، بأموال الناس وأفلسوا أقبح إفلاس رآه الناس . فجاء ما قال أبو الحسن عليه السلام فيهم ، ما غادرَ قليلاً ولا كثيراً^(١) .

فيا إسحاق بن عمّار ، ما كان أغناك عن سماع خبر فناء عمرك ، وافتراق كلمة إخوتك وأهل بيتك وما يحلُّ بهم من الويل والإفلاس والهتك ؟ . أنت بين يدي إمام علمه من علم ربّه الذي سواه فعدله في أية حالة ما شاء ربّه ، وصنعه على عينه ، وجعله وليّه المختار من عباده . .



وشبيهة بما سبق ما رواه عثمان بن عيسى عن خالد الذي قال :

«كنت مع أبي الحسن عليه السلام بمكة ، فقال : من هاهنا من أصحابكم ؟ .

فعددت عليه ثمانية أنفس .

فأمر بإخراج أربعة ، وسكت عن أربعة .

فما كان إلا يوم ، ومن الغد مات الأربعة ، فسلموا^(٢) أي سلم من أمر

بإخراجهم .

وقال خالد بن نجیح - هذا - عن أبي الحسن عليه السلام .

«قال لي : إفرغ بينك وبين من كان له معك عمل في سنة أربع وسبعين

ومائة حتى يجيئك كتابي ، وانظر ما عندك وما بعث به إليّ ، ولا تقبل من أحد شيئاً .

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٣٢ - ٣٣ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٧٧ والكاظمي م ١ ص ٤٨٤ باختلاف يسير في اللفظ ، وهو كذلك في مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٨٧ وهو في بصائر الدرجات ج ٦ ص ٢٦٤ عن سيف بن عميرة ، وفي ص ٢٦٥ خبر يشبهه . وهو في إعلام الوری ص ٢٩٥ باختلاف يسير في اللفظ .

(٢) بصائر الدرجات ج ٦ ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

وخرج إلى المدينة، وبقي خالد بمكة خمسة عشر يوماً، ثم مات^(١).
فالإمام ~~عليه السلام~~ - كما قال - لا يُقاس بالمستضعفين في الأرض كرشيد
الهجري ركبته الذي أطلع على علم المنايا وعلم البلايا ولم يخطيء في قول
في هذا الموضوع.

فمن هشام بن الحكم، قال:

«أردت شراء جارية بمنى، وكتبتُ إلى أبي الحسن أشاوره فلم يرد عليَّ
جواباً.

فلما كان في الطواف مرّ بي برمي الجمار على حمار، ونظر إلى الجارية من
بين الجوارى، ثم أتاني كتابه: لا أرى بشرائها بأساً إن لم يكن في عمرها قلة.

قلت: لا والله ما قال لي هذا الحرف إلاّ وها هنا شيء. لا والله لا
أشترها.

ثم قال: فما خرجتُ من مكة حتى دُفنت^(٢).

فأعيد نظرتك بالله يا مولاي كم هي نافذة إلى أعماق المجهول، وكم
هي صائبة تنفذ إلى معرفة ما يكون من قضاء الله وقدره، كما برأها خالقها عزاً
وجل. وطوبى لمن آمن بكونك ولياً لله، وحُجّة له في أرضه.

قال الوشاء: حدّثني الحسن بن عليّ قائلاً:

«حججتُ أنا وخالي إسماعيل بن إلياس، فكتبتُ إلى أبي الحسن

(١) المصدر السابق.

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٣٣ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

الأول عليه السلام، وكتب خالي: إن لي بناتٍ وليس لي ذكراً، وقد قُتِلَ رجالنا.
وقد خلقتُ امرأتي حاملاً، فادعُ الله أن يجعله غلاماً، وسمِّه.
فوقع في الكتاب: قد قضى الله حاجتك. فسَمِّه محمداً.

فقدِمنا إلى الكوفة وقد وُلِدَ له غلامٌ قبل وصولنا إلى الكوفة بستة أيام،
ودخلناها يومَ سابعه.

فقال أبو محمد: هو والله اليوم، رجلٌ، وله أولاد،^(١).

فكيف عرف سلامُ الله عليه وهو في الحجاز، والمرأةُ الحاملُ في
العراق؟. الأمرُ سهلٌ، وللقصة نظائرٌ تدلُّ على معرفته بالحمل، ونوعه. ولا
يخالف ذلك قولَ الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ...﴾^(٢)
لأنَّ الإمام حين يتكلَّم في هذا الموضوع يتكلَّم بما يعلمه عن طريق ما يأتيه
من تقديرات الله عزُّ وعلا في الأمور.



وكذلك قال حماد بن عيسى:

«دخلتُ على أبي الحسن الأول عليه السلام، فقلتُ له: أدعُ الله لي أن
يرزقني داراً، وزوجةً، وولداً، وخادماً، والحجَّ في كلِّ سنة.

فقال: اللهم صلِّ على محمدٍ وآلِ محمدٍ، وارزقه داراً، وزوجةً،
وولداً، وخادماً، والحجَّ خمسين سنة.

قال حماد: فلما اشترط خمسين سنةً، علمتُ أنني لا أحجُّ أكثرَ من
خمسین سنة. وحججت ثمان وأربعين سنةً، وهذه داري قد رزقتُها، وهذه
زوجتي وراءَ الستر تسمع كلامي، وهذا ابني، وهذه خادمتي، قد رزقتُ كلَّ
ذلك.

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ٣٣.

(٢) سورة الحج: ٥.

فحجَّ بعد هذا الكلام حجَّتين، تمامَ الخمسين، ثم خرج بعد الخمسين حاجاً فزاملَ - أي رافقَ - أبا العباس الثوفاي القصير، فلما صار في موضع الإحرام، دخل يغتسل في الوادي، فحملَه ففرَّقه الماء - رحمة الله عليه - وأتاه - الأجل - قبل أن يحجَّ زيادةً على خمسين؛ وعاش إلى وقت الرضا عليه السلام، وتوفي سنة تسع ومائتين، وكان من جُهينة^(١).

فحين دعا الإمام عليه السلام لهذا الرجل بالدار، والزوجة، والولد، والخادمة، استجاب الله تعالى دعاءه بشكل طبيعي معقول، كما يستجيب سبحانه لكل عبدٍ صالحٍ ووليٍّ مؤمن. ولكن من أخبره أن الرجل يحجَّ خمسين سنة لا تزيد ولا تنقص؟!.

هذا من اختصاصه صلوات الله وسلامه عليه، لأن بيده علمَ البلايا والمنايا، وهو يتكلم - بإذن الله - بتمام الثقة، ولا يقول إلا بالتأكيد والجزم.

وإمامُ الزمان مُجهَّزٌ بقوى لا تتوفر لغيره من المخلوقين، فهو - مثلاً - يرى ما وراءه، كما يرى ما هو أمامه سواءً بسواء، بواسطة لوحِ الثور الذي تكلمنا عنه مفصلاً في كتابنا (الإمام المعجزة) ولا تخفى عليه خافية فيما حوله، ولا يوارى منه نسترٌ ولا جدارٌ، وذلك مسخرٌ له في جملة عطايا الله سبحانه ومواهبه الجزيلة. فمن ذلك ما رواه مراراً حيث قال:

«دخلتُ المدينة فرأيتُ جاريةً في الدار التي نزلتها فأعجبني. فأردتُ أن أتمتعَ منها، فأبتُ أن تزوجني نفسها.

فجئتُ بعد العتمة، ففرعتُ البابَ، فكانت هي التي فتحتُ لي. فوضعتُ يدي على صدرها، فبادرتني حتى دخلتُ.

(١) الاختصاص ص ٢٠٥ - ٢٠٦ و مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٠٦.

فلما أصبحت، دخلت على أبي الحسن عليه السلام، فقال: يا مرزم، ليس من شيعتنا من خلا ثم لم يرغ قلبه! ^(١).

فهو عليه السلام يطلع على حال أصحابه دائماً، ويحاسبهم على الكبيرة والصغيرة، ويريدهم أصفياءً أتقياء أنقياء. ولذلك عاتب مرزم، وقال له: ليس من شيعتنا من لم يرغ قلبه، لأنه عرف أنه وضع يده على صدر الجارية.

والسؤال: كيف رآه في العتمة وفي دار بعيدة عن مقره ومكان وجوده؟. وكيف علم ما فعله، ومن أطلعته على ذلك بالتفصيل؟!.

ولو استرسلنا في سرد الوقائع التي برهن إمامنا العظيم عليه السلام على علمه بما كان وما يكون لطال بنا المقام. ولكننا لا بد أن نورد عنه قصصاً في أحوال مختلفة، لنبين أنه كان يرمى أصحابه ويلاحظهم أينما كانوا، ويُنَبِّههم إلى أخطائهم، ويوجههم إلى الصراط السوي، ليدوروا دائماً في فلك مرضاة الله عز وجل. كما كان يريهم على العمل الصالح، وحب الخير، والبعد عن عمل الشر مع الولي والعدو، ليفوزوا بالسمعة الطيبة في الدنيا، وليكونوا مع الأبرار والأخيار في الدار الآخرة.

●
وعن أحمد بن عمر الخلال، قال:

«سمعتُ الأخوصَ بمكة يذكره - أي سمعته ينال من الإمام عليه السلام - فاشتريتُ سكيناً وقلتُ: والله لأقتلنه إذا خرج من المسجد، وأقمتُ على ذلك، وجلستُ له. - يعني جلس ينتظره -.

فما شعرتُ إلا برُقعة أبي الحسن عليه السلام قد طلعتُ عليّ، فيها:

(١) بصائر الدرجات ج ٥ ص ٢٤٧.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، بِحَقِّي عَلَيْكَ لَمَّا كَفَفْتُكَ عَنِ الْأَخْوَصِ، فَإِنَّ
اللَّهَ ثَقَنِي، وَهُوَ حَسْبِي^(١).

أَجَلٌ، وَمَنْ يَكُنِ اللَّهُ حَسْبَهُ، فَلَا غَالِبَ لَهُ مِنَ النَّاسِ.

ولكن، مَنْ أَخْبَرَ هَذَا الْإِمَامَ الْكَرِيمَ بِمَا فَعَلَهُ ابْنُ عَمْرٍو الْخَلَّالُ، حِينَ
اشْتَرَى سَكِينًا وَجَلَسَ أَمَامَ الْمَسْجِدِ يَتَرَصَّدُ الْأَخْوَصَ لِيَقْتُلَهُ عِنْدَ خُرُوجِهِ ١٩.

لَا شَكَّ فِي أَنَّ الْإِمَامَ عليه السلام قَدْ عَلِمَ بِمَا قَالَه الْأَخْوَصُ عَنْ طَرِيقِ الْمَلِكِ
الْعَظِيمِ الَّذِي يَرِافِقُهُ وَيُطَلِّعُهُ عَلَى كُلِّ شَارِدَةٍ وَوَارِدَةٍ تَجْرِي فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ.
وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَّا عَلِمَ - أَيْضًا - بِتَصَرُّفَاتِ صَاحِبِهِ ابْنِ الْخَلَّالِ، وَلَمَّا أَسْرَعَ إِلَى
الْكِتَابَةِ إِلَيْهِ لِيُرَدِّعَهُ عَنْ عَزِيمِهِ، مَعْلِنًا لَهُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ حَسْبُهُ وَكَافِيهِ مِنَ الشَّرِّ وَمَنْ
أَهْلُ الشَّرِّ.



وَمِنْ عَلَيْهِ هَذَا، مَا حَكَاهُ عَنْهُ الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى - أَيُّ ابْنِهِ عليه السلام -
الَّذِي قَالَ:

مَرْكَزُ تَحْقِيقِ كَوْنِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم

«اشْتَكَى عَمِّي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ - أَيُّ أَخْوَاهِ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ، حَتَّى
أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ.

فَكُنَّا مَجْتَمِعِينَ عِنْدَهُ، فَدَخَلَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام، فَقَعَدَ فِي نَاحِيَةٍ،
وَأَسْحَاقُ عَمِّي عِنْدَ رَأْسِهِ يَبْكِي.

فَقَعَدَ قَلِيلًا ثُمَّ قَامَ. فَتَبِعْتُهُ فَقُلْتُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ، يَلُومُكَ إِخْوَتُكَ وَأَهْلُ
بَيْتِكَ، يَقُولُونَ: دَخَلْتَ عَلَى أَخِيكَ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، ثُمَّ خَرَجْتَ.
قَالَ: أَرَأَيْتَ هَذَا الْبَاكِي؟ سَيَمُوتُ وَيَبْكِي ذَاكَ عَلَيْهِ!

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

فبرية محمد بن جعفر، واشتكى إسحاق فمات، وبكى محمد عليه^(١).
فلا الإمام طيب، ولا حكي رجماً بالغيب. . بل كان يتكلم عن ثقة
ويُخبر بشفاء أخيه المريض، وبموت أخيه الباكي بتأكيد؛ لأن معرفة الأعمار
والأقدار والبلاءات من صلب وظيفته السماوية. وهو يحكي عن هذه الأشياء
كمن ينظر في كفه ويقرأ شيئاً مكتوباً مقررراً من عند ربه جلّ وعلا.

ومن ذلك أيضاً ما قاله بيان بن نافع التفليسي الذي قال:

«خلفت والدي مع الحرم في الموسم - موسم الحج - وقصدت
موسى بن جعفر ~~عليه السلام~~.

فلما أن قرئت منه، هممتُ بالسلام عليه، فأقبل بوجهه عليّ وقال:
بر حجك يا بن نافع، أجرّك الله بأبيك، فإنه قد قبضه إليه في هذه
الساعة، فارجع فخذ في جهازه.

فبقيت متحيراً عند قوله وقد كنتُ خلتُهُ وما به علة.

فقال: يا بن نافع، أفلا تؤمن^{١٩}.

فرجعتُ، فإذا أنا بالجواري يلطمن خدودهن.

فقلت: ما وراءكن^{١٩}.

قلن: أبوك فارق الدنيا.

فجئتُ إليه أسأله عما أخفاه؟

فقال لي: يا بن نافع، إن كان في أمّنتك كذا وكذا، أن تسأل عنه، فإنا
جنبُ الله وكلمته الباقية، وحجته البالغة^(٢).

(١) بصائر الدرجات ج ٦ ص ٢٦٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٨٧.

نعم، ونعم، فإن كل إمام يكون كلمة الله الباقية في بلاده، وحجته على عباده، ومن لم يقتنع، فإنه يكون غير مقتنع بإمامة إمام مفترض الطاعة بالأساس، فاسأل بذلك علي بن أبي حمزة الذي قال:

«كنت عند أبي الحسن عليه السلام جالسا، إذ أتاه رجل من الري - فارس - يقال له جندب؛ فسلم عليه ثم جلس.

فسأل أبا الحسن فأكثر السؤال.

ثم قال له: يا جندب، ما فعل أخوك؟

فقال: الخير، وهو يُقرئك السلام.

فقال له: أعظم الله أجرَكَ في أخيك.

فقال له: ورد إلي كتاب من الكوفة لثلاثة عشر يوماً بالسلامة.

فقال له: يا جندب، والله مات بعد كتابه إليك بيومين، ودفع إلى امرأته مالا وقال لها: ليكن هذا المال عندك، فإذا قدم أخي فادفعه إليه. وقد أودعته في الأرض في البيت الذي كان يسكنه. فإذا أنت أتيتها فتلطف لها وأطمعها في نفسك، فإنها ستدفعه إليك.

قال علي: وكان جندب رجلاً جميلاً. فلقيته بعدما فقد أبو الحسن عليه السلام، فسألته عما كان قال أبو الحسن؟

فقال: يا علي، صدق والله سيدي، ما زاد ولا نقص لا في الكتاب ولا في المال^(١).

فكان إمامنا عليه السلام قد حضر كتابة الكتاب، ورافق الرجل حتى توفاه الله بعد الكتابة بيومين؛ ثم كأنه قد قرأ وصيته وسمع ما أسره إلى زوجته،

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٣١ - ٣٢ والمحجة البيضاء ج ٤ ٢٧٦ - ٢٧٧.

وشارك الزوجة في دفن المال بأرض البيت، ثم أطلع علي ما في قلب المرأة - الأرملة - من الرغبة في الزواج من جندب بعد موت أخيه، فقال عليه السلام له: أطمعها في نفسك.

إن هذا شيء عجاب! . ولكنه حصل حرفاً حرفاً.



وقال علي بن أبي حمزة أيضاً:

«أرسلني أبو الحسن عليه السلام إلى رجل قدامه طبق بفسل بفسل، وقال: أعطه هذه الثمانية عشر درهماً وقل له:

يقول لك أبو الحسن: انتفع بهذه الدراهم، فإنها تكفيك حتى تموت.

فلما أعطيته إياها بكى، فقلت له: وما يبكيك؟

قال: ولِمَ لا أبكي وقد تُعَيِّت إلي نفسي؟

فقلت: وما عند الله خيراً مما أنت فيه.

فسكت.. وقال: مَنْ أَنْتِ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟

فقلت: علي بن أبي حمزة.

قال: والله لهكذا قال لي سيدي ومولاي: إنني باعْتُ لك مع علي بن

أبي حمزة برسالة.

قال علي: فلبثتُ نحواً من عشرين ليلةً، ثم أتيتُ إليه وهو مريضٌ،

فقلتُ أوصني بما أحببت أنفذه من مالي.

قال: إذا أنا متُّ، فزوّج ابنتي من رجلٍ دينٍ، ثم بع داري وادفع ثمنها

إلى أبي الحسن، واشهد لي بالغسل، والدفن، والصلاة.

قال: فلما ماتت زوّجت ابنته من رجل مؤمن، وبعثت داره وأتيتُ بثمانها

إلى أبي الحسن عليه السلام، فزكاه، وترحم عليه وقال:

رُدَّ هذه الدراهم فادفعها إلى ابنته^(١).

إنه عليه السلام قد عرف نهاية عُمر الرجل ووعده برسالة يرسلها إليه مع صاحبه علي بن أبي حمزة أولاً، ثم حدَّده نهاية عُمره مع صاحبه المذكور، وبعث إليه بما يكفيه حتى موعد موته، ليجلس في بيته ويرتاح من تعب العمل في السوق. . وكان كلُّ شيءٍ رهيناً بتحديدات الإمام عليه السلام بتمام الدقة والضبط.

وشبيهةً بذلك القصةُ التالية التي رواها علي بن أبي حمزة نفسه، فقال:

«أرسلني أبو الحسن عليه السلام إلى رجلٍ من بني حنيفة وقال: إنك تجده في مِئمة المسجد.

. فدفعتُ إليه كتابه، فقرأه ثم قال: إئتني يوم كذا وكذا حتى أعطيك جوابه.

فأتيته في اليوم الذي كان وعدني، فأعطاني جوابَ الكتاب.

ثم لبثتُ شهراً فأتيته لأسلم عليه فقبل: إن الرجل قد مات.

فلما رجعتُ من قَابلٍ إلى مكة، لقيتُ أبا الحسن عليه السلام، وأعطيتُه جوابَ كتابه فقال: رحمه الله. فقال: يا علي، لِمَ لم تشهد جنازته؟

قلت: قد فاتت مني^(٢).

ووصيته سلامُ الله عليه بأنه يجده في مِئمة المسجد مدهشة.

فكيف عَلِمَ موعدَ وصول رسوله إليه، وأنه يكون في تلك اللحظة في

مِئمة المسجد؟ ثم كيف عرف أنه مات فترحم عليه؟ وكيف عرف أن

علي بن أبي حمزة لم يشهد جنازة الرجل؟ كل ذلك عجيبٌ وغريبٌ.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٩٣.

(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة.

وأغربُ من القصتين السابقتين ما رواه أبو حمزة حيث قال :
 «سمعتُ أبا الحسن عليه السلام يقول : لا والله لا يرى أبو جعفر بيت الله
 أبداً . - وهو يعني الخليفة أبا جعفر المنصور . -
 فقدمت الكوفة فأخبرت أصحابنا بذلك .
 فلم يلبث أن خرج - أي توجه إلى الحج - . فلما بلغ الكوفة قال لي
 أصحابنا في ذلك ؟ . فقلت : لا والله لا يرى بيت الله أبداً .
 فلما صار في البستان^(١) اجتمعوا إلي أيضاً وقالوا : بقي بعد هذا
 شيء ؟ .

فقلت : لا والله لا يرى بيت الله أبداً .
 فلما نزل بئر ميمون^(٢) أتيت أبا الحسن عليه السلام ، فوجدته قد سجدَ
 وأطال السجود ، ثم رفع رأسه إلي فقال : اخرج فانظر ما يقول الناس .
 فخرجت ، فسمعت الواعية على أبي جعفر .
 فرجعت فأخبرته ، فقال : الله أكبر ، ما كان ليرى بيت الله أبداً^(٣) .
 فيا أيها القاريء الكريم : ﴿ وَلَا يَنْبِئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾^(٤) فإمامنا
 الكريم عليه السلام يتكلم عن علم محتوم مسطر على اللوح المحفوظ ، وهو لا
 ينطق عن هوى ، ولا يتكلم إلا بما يعلمه بوسائل سفارته السماوية التي
 تخترق العجائب . . وهو إمام الزمان الذي يُطْلِعُهُ رَبُّهُ جَلَّ وَعَزَّ على جميع
 الأحوال الطارئة في الكرة الأرضية ، وعلى كل شيء في حينه .

(١) الظاهر أن المراد به بستان بني عامر ، قرب الجحفة .

(٢) موضع ماء على طريق مكة ، وعند قبر أبي جعفر المنصور .

(٣) كشف الغمة ج ٣ ص ٣٥ .

(٤) سورة فاطر : ١٤ .

ثم نتابع هذا الشريط، فنعرض لقارئنا الكريم صوراً أخرى عن علم الإمام عليه السلام : فمن ذلك ما رواه عيسى المدائني الذي قال :
«خرجتُ سنةً إلى مكة فأقمْتُ بها، ثم قلتُ : أقيمُ بالمدينة مثلما أقمْتُ في مكة فهو أعظمُ لِثوابي .

فقدمتُ المدينة فنزلتُ طَرَفَ المصلَّى إلى جنب دار أبي ذرٍّ رضي الله عنه ، فأخذتُ أختلفُ إلى سيدي .

فأصابنا مطرٌ شديدٌ بالمدينة ، فأتينا أبا الحسن عليه السلام يوماً ، فسلمنا عليه ، وإن السماء تهطل .

فلما دخلتُ ابتدأني فقال لي : وعليك السلام يا عيسى ، ارجع فقد انهدم بيتك على متاعك .

فانصرفتُ فإذا البيتُ قد انهدم على المتاع ؛ فاكترتُ يوماً يكشفون عن متاعي ، فاستخرجته فما ذهب لي شيءٌ سوى سطلٍ كان لي .

فلما أتيتُ من الغد مسلماً عليه قال : هل فقدت شيئاً من متاعك فتدعو الله بالحُلف ؟ .

فقلتُ : ما فقدتُ شيئاً غير سطلٍ كان لي أتوضأُ فيه ، فقدته .

فأطرقَ ملياً ، ثم رفعَ رأسه إليَّ فقال لي : قد ظننتُ أنك أنسيتهُ ، فسَلْ جاريةَ ربِّ الدار وقلْ لها : أنتِ رفعتِ السطلَ فرُدِّيهِ . فإنها ستردهُ عليك .

فلما انصرفتُ أتيتُ جاريةَ ربِّ الدار فقلتُ لها : إنِّي أنسيْتُ سطلًا في الخلاء ، ودخلتِ فأخذتِهِ ، فرُدِّيهِ أتوضأُ به . . فرَدَّتْهُ^(١) .

فهل رأى الإمام عليه السلام البيتَ لما انهدم على المتاع ؟ .

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٣١ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٧٦ .

وهل رأى الجارية حين أخذت السطل من الخلاء؟ .
نعم، أرى ذلك، ولم يقل حدساً ولا تخميناً. . ورأى كل شيء رأي العين، بلا أدنى ريب .



وهذا لونٌ آخرٌ من ألوان علم إمامنا العظيم عليه السلام، حدث به عثمان بن عيسى فقال:

«قال أبو الحسن عليه السلام لإبراهيم بن عبد الحميد، ولقيته سحراً وإبراهيمُ ذاهبٌ إلى قُبا، وأبو الحسن داخلٌ إلى المدينة، قال: يا إبراهيم! .
قلت: لبيك .



قال: إلى أين؟ .

قلت: إلى قُبا .

قال: في أي شيء؟ . *مركزتقنية كمبيوتر علوم إسلامية*

قلت: إننا كنا نشترى في كل سنة هذا التمر، فأردت أن آتي رجلاً من الأنصار لأشترى من التمر .

قال: وقد أمتم الجراد؟ .

ثم دخل، ومضيتُ أنا فأخبرتُها بالأمر وقلت: **والله لا أشترى العام نخلة .**

فما مرّت بنا خامسة - أي ليلة خامسة - حتى بعث الله جراداً فأكل عامة ما في النخيل^(١) .

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٣٥ .

فمثلُ هذا الكشف عما في الغيب لا يتيسر إلا للأنبياء وأوصيائهم صلواتُ الله عليهم، ليبرهنوا به على صدق انتدابهم وانتجابهم كأدلاء على الدين، وكأمناء لرب العالمين. وهم يتكلمون في هذه المواضع كمن رأى ومن سمع، ليحتجوا بذلك على صدق الدعوة التي حملوها، وعلى خطر الوظيفة التي اضطلموا بها. والله تعالى يمنُّ عليهم بمثل هذه التجليات ليفتح أنظار الناس عليهم، ويفتح قلوبهم على كلمة الحق ويتفكروا بقدرة الله تبارك وتعالى عن طريق تلك المواهب العجيبة حين يتحدثون بأشياء تخفى على الناس وتنكشف إليهم بحقائقها ودقائقها.

ومن ذلك أيضاً ما حكاه الأصمغ بن موسى الذي قال:

«بعث رجل من أصحابنا إلى أبي إبراهيم عليه السلام بمائة دينار، وكانت معي بضاعة لنفسي، وبضاعة له.

فلما دخلت المدينة صببت علي الماء، وغسلت بضاعتي وبضاعة الرجل، وذررت عليها مسكاً، ثم تحتها كقطير عذوق مسوي

ثم إنني عددت بضاعة الرجل فوجدتها تسعة وتسعين ديناراً. فأعدت عذها وهي كذلك. فأخذت ديناراً آخر لي فغسلته وذررت عليه المسك، وأعدتها في صرة كما كانت.

ودخلت عليه في الليل فقلت له: جعلت فداك، إن معي شيئاً أتقرب به إلى الله تعالى.

فقال: هات.

فناولته الصرة.

قال: صبها.

فصبتها، فنثرها بيده، وأخرج ديناري منها ثم قال: إنما بعث إلينا
وزناً، لا عدداً^(١).

فقد عَلِمَ الإمام عليه السلام بما جرى تفصيلاً وإجمالاً وكأنه أجراه بنفسه
ففسل الدينار، وذرَّ عليه المسك، وخلطه في التسعة وتسعين ديناراً.
ولكن، مَنْ دَلَّه على الدينار ذاته فاستخرجه من بين الدنانير؟ وكيف عرفَ
أن الرجل بعث إليه قيمة مائة دينارٍ وزناً، ولم يبعث له مائة دينارٍ عدداً.
فكر، واحكم. . . وقل حينئذٍ ما يُمليه عليك ضميرك النقي. . . وهذا مدهش
فعلاً إذا حصل من غير الإمام، أمّا من إمام الزمان فهو شيء طبيعي، ولا
يُنْتَظَر منه العكس مطلقاً.



وللإمام عليه السلام، فضلاً عن هذه الكشوفات، معاجزٌ كانت تظهر في
مناسباتٍ كثيرةٍ ليثبت بها أصحابه ومواليه على الولاء الصحيح. فقد قال
إسحاق بن عمار:

مررت تحت كعبه يوم ربي

«بعث إليّ عليّ بن يقطين، وإسماعيل بن أحمد، فقالا لي:

خذ هذه الدنانير فائت بها الكوفة، فالتق فلاناً واستصحبه فاشترى
راحتين، وأمضياً بالكتب وبما معكما من مال إلى موسى بن جعفر عليه السلام.

فسرنا حتى إذا كنا ببطن الرملة، وقد اشترينا علفاً ووضعناه بين
الراحتين، وجلسنا نأكل. فبينما نحن كذلك إذ طلع علينا موسى بن جعفر
على بغلةٍ له أو بغل، وخلفه شاكري - أي أجير -.

فلما رأيناه وثبنا له وسلّمنا عليه فقال: هاتا ما معكما.

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٣٤ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٧٨.

فأخرجناه ودفعناه إليه، وأخرجنا الكتب ودفعناها إليه .
فأخرج كتباً من كُفْمِه فقال: هذه جواباتُ كُتُبِكُمْ، فانصرفوا في حفظ
الله تعالى .

فقلنا: قد فنيَ زادنا، وقد قُرُبنا من المدينة، فلو أذنت لنا فزُرنا
رسولَ الله ﷺ، وتزوَّدنا زاداً .

فقال: أبقيَ معكما من زادكما شيءاً .

فقلنا: نعم .

قال: إئتوني به .

فأخرجناه إليه . فقبضه بيده وقال: هذه بُلغْتُكم إلى الكوفة، إمضياً في
حفظ الله .

فرجعنا وكفانا الزاد إلى الكوفة (١) .

فمن غرائب هذه الحادثة أنه صلواتُ الله عليه قد كتب جواباتِ الكتب
قبل أن يتسلَّمها من الرسولين وقبل أن يطلع على ما فيها - أولاً .

وأته سلامُ الله عليه قد طلب ما كانا يحملانه إليه من مال، قبل أن
يصرِّحا إليه بشيءٍ عن المال - ثانياً .

وأته ﷺ قبض على بقية الزاد التي كانت معهما بيده الشريفة ثم
باركته وقال: هذه بُلغْتُكم إلى الكوفة؛ وكفاهما فعلاً - ثالثاً .

وهذه الأمورُ الخارقةُ للعادة قد صدرتُ منه فعلاً، وكان يصدر ما هو
أعجبُ منها عنه وعن آبائه وأبنائه المعصومين صلواتُ الله وسلامه عليهم،
بإذن ربهم الذي خلقهم هكذا بقدرته . . وإليك ما هو مثلها:

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٣٩ - ٤٠ .

فقد حدث شعيب العقرقوفي قائلاً :

«بعثت مباركاً مولاي إلى أبي الحسن عليه السلام ومعه مائتا دينار، وكتبته معه كتاباً. فذكر لي مبارك أنه سأل عن أبي الحسن عليه السلام، فقيل له: قد خرج إلى مكة.

فقلت: لأسير بين مكة والمدينة بالليل، وإذا هاتفت يهتف بي: يا مبارك مولى شعيب العقرقوفي!

فقلت: من أنت يا عبد الله؟

فقال: أنا معتب. يقول لك أبو الحسن: هات الكتاب الذي معك، وواف الذي معك إلى منى.

فزلت من محملي ودفعت إليه الكتاب، وصرت إلى منى.

فأدخلت عليه، وصيبت الدنانير التي معي قدامه.

فجرت بعضها إليه، ودفعت بعضها بيده، ثم قال: يا مبارك، ادفع هذه الدنانير إلى شعيب وقل له: يقول لك أبو الحسن: ردها إلى موضعها الذي أخذتها منه، فإن صاحبها يحتاج إليها.

فخرجت من عنده، وقدمت على سيدي وقلت له: ما قصة هذه الدنانير؟

قال: إنني طلبت من فاطمة خمسين ديناراً لأتم به هذه الدنانير، فامتنعت علي وقالت: أريد أن أشتري بها قراح^(١) فلان. فأخذتها منها سراً ولم ألتفت إلى كلامها.

ثم دعا شعيب بالميزان، ووزنها، فإذا هي خمسين ديناراً^(٢).

(١) القراح: يعني الأرض التي لا شجر فيها ولا ماء، ولكنها تصلح للزراع.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

فهل غيرُ أبي الحسن، الكاظم عليه السلام، يعرف مكان الخادم في الصحراء، وبالليل، ويبعث بخادمه إليه ليناديهُ ويأخذ منه الكتاب، ويُواعِدُه إلى متى؟.

ثم هل غيره يعرف دنانير المرأة ويميزها من دنانير شعيب ثم يرُدُّها إلى صاحبها، عالماً بصاحبها وأنَّ الدنانير أخذت على غفلةٍ منها؟.

لا، لا، ولن يدعي القدرة على ذلك أحدٌ إلا إذا كان منتجباً من عند ربِّه ليقوم بمثل هذه الخوارق.

●
رُوي عن علي بن يقطين أنه قال:

«أمر أبو جعفر الدوانيقي - أي الخليفة المنصور - يقطين أن يحفر له بئراً بقصر العبادي. فلم يزل يقطين في حفرها حتى مات أبو جعفر ولم يستنبط الماء منها. وأخبر المهدي بذلك، فقال له: احفر أبدأ حتى يستنبط الماء، ولو أنفقت عليها جميع ما في بيت المال.»

قال: فوجه يقطين أخاه أبا موسى في حفرها. فلم يزل يحفر حتى ثقبوا ثقباً في أسفل الأرض، فخرجت منه الرِّيح. قال: فهالهم ذلك، وأخبروا به أبا موسى.

فقال: أنزلوني.

قال: فأنزل، وكان رأسُ البئر أربعين ذراعاً في أربعين ذراع، فأجلس في ظلِّ محملٍ ودُلِّي في البئر. فلما صار في قعرها نظرَ إلى هولٍ، وسمعَ دويَّ الرِّيح في أسفل ذلك! فأمرهم أن يوسَّعوا الخرق، فجعلوه شبه الباب العظيم؛ ثم دُلِّي فيه رجلين في شقِّ محملٍ فقال: إيتوني بخبر هذا ما هو؟.

قال: فنزلا في شقِّ محملٍ، فسكتا ملياً، ثم حرَّكا الحبل، فأصعدا.

فقال لهما: ما رأيكما؟ .

قالا: أمراً عظيماً: رجالاً، ونساءً، ويوتاً، وآنيةً ومتاعاً؛ كلُّه ممسوخٌ من (حجارة)١. فأما النساء والرجال فعليهم ثيابهم، فمن بين قاعدٍ، ومضطجعٍ، ومُتَكِيٍّ. . . فلما مسسناهم إذا ثيابهم (تتنفّس) شِبُهَ الهباء . . . ومنازل قائمة .

قال: فكتب أبو موسى إلى المهدي؛ فكتب المهدي إلى المدينة، إلى موسى بن جعفر يسأله أن يقدم عليه . . . فقدم عليه فأخبره . فبكى بكاءً شديداً، وقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء بقية قوم عادٍ، غضبَ الله عليهم، فساخنت بهم منازلهم! . هؤلاء أصحاب الأحقاف .

قال: فقال المهدي: يا أبا الحسن، وما الأحقاف؟ .

قال: الرمل،^(١) .

فليت شعري، من أخبر الإمام عليه السلام، بأصحاب الأحقاف؟ .

ومن دله أنهم هم أولاء بالذات؟ . وأن هذا هو موطنهم .

وما الذي أبكاه سوى خشية الله تبارك وتعالى، وسوى هول تلك الآية

التي جعلت الأرض تسيخُ بقوم عادٍ في الأحقاف؟ .

سبحان من يمنح أوليائه علم ما كان وعلم ما يكون، ليصبحوا حُجَجَهُ

في أرضه .



ورويت الحادثة السابقة على الشكل التالي:

«حجَّ المهدي، فلما صار في فتق العبادي - اسم مكان - ضجَّ الناسُ

من العطش! . فأمر أن يُحفرَ بئر .

(١) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٨٨ - ٣٨٩ .

فلما بلغوا قريباً من القرار، هبّت عليهم ريحٌ من البشر، فوقعت الدلاء، ومنعت من العمل. فخرجت الفعلة خوفاً على أنفسهم. فأعطى عليُّ بنُ يقطين لرجلين عطاءً كثير ليحفرا.

فنزلاً، فأبطأ. ثم خرجا مرعوبين، قد ذهبت ألوانهما.

فسألهما عن الخبر، فقالا: إنا رأينا آثاراً وأثاناً، ورأينا رجالاً ونساءً، فكلما أوامنا إلى شيءٍ منهم، صار هباءً.

فصار المهدي يسأل عن ذلك فلا يعلمون.

فقال موسى بن جعفر عليه السلام: هؤلاء أصحاب الأحقاف؛ غضب الله عليهم فساخت بهم ديارهم وأموالهم^(١).

فعجباً عجباً من هؤلاء الجبابرة من الحكّام، الذين عاصروا الأئمة عليهم السلام، ورأوا معاجزهم وما يجري على أيديهم وألستهم، ما يظهر عن علمهم ومعرفتهم الخارقة للعادة، ثم يبقون على عنادهم وكُرهم، والتنكيل بهم وبمن شايئهم وبايعهم.

هذا من شدة غضب الله تعالى على أولئك الحكّام المحارِبين لله تعالى ولرسوله ولكل ما ينزل من السماء..



«أبو خالد الزبالي، قال:

نزل أبو الحسن عليه السلام منزلنا في يومٍ شديد البرد، في سنةٍ مُجدبة، ونحن لا نقدر على عودٍ نستوقد به.

فقال: يا أبا خالد، إئتينا بحطبٍ نستوقد به.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤، ص ٣١١.

قلت: واللّه ما أعرف في هذا الموضوع عوداً واحداً.

فقال: كلاً يا أبا خالد، ترى هذا الفُجّ - أي الطريق الواسع بين جبليْن -
خُذ فيه فإنك تلقى أعرابياً معه جملانِ حطبا، فاشترهما منه، ولا تُماكسه.
فركبتُ حماري وانطلقتُ نحو الفُجّ الذي وصفه لي، فإذا أعرابيٌّ معه
جملانِ حطبا، فاشتريتُهما منه، وأتيتُ بهما، فاستوقدوا منه يومهم ذاك.
وأتيتُهُ بِطرفِ ما عندنا، فطعِم منه ثم قال: يا أبا خالد: أنظرُ خفافَ
الغلمانِ وِنعالهم فأصلحها حتى نَقدم عليك في شهر كذا وكذا.
قال أبو خالد: فكتبتُ تاريخَ ذلك اليوم. فركبتُ حماري يوم
الموعود، حتى جئتُ إلى نِزقِ ميل^(١) - أي جنبه - ونزلتُ فيه. فإذا أنا براكبٍ
مقبلٍ نحو القطار.

فقصدتُ إليه، فإذا هو يهتف لي: يا أبا خالد!



فقلت: لبيك، جُعلتُ فداك.

قال: أتراك وفيناك بما وعدناك؟ ثم قال: يا أبا خالد، ما فعلتُ
بالقُبَّتين اللَّتين نزلنا بهما؟

قلت: جُعلتُ فداك، قد هياتهما لك.

وانطلقتُ معه حتى نزل في القُبَّتين اللَّتين كان نزل فيهما، ثم قال: ما
حالُ خفافِ الغلمانِ وِنعالهم؟

قلت: قد أصلحناها.

فأتيتُهُ بها فقال: يا أبا خالد، سلني حاجتك.

فقلت: جُعلتُ فداك، أخبرك بما فيه: كنتُ زَيْديّ المذهب حتى

(١) الميل هو منازِئني على أنشاز الأرض كدليل للمسافرين.

قَدِمْتُ عَلَيَّ وَسَأَلْتَنِي الْحَطَبَ، وَذَكَرْتَ مَجِيئَكَ فِي يَوْمِ كَذَا، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ
الإمام الذي فرض الله طاعته .

فقال: يا أبا خالد، مَنْ مَاتَ لَا يَعْرِفُ إِمَامَهُ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً،
وَحُوسِبَ بِمَا عَمَلَ فِي الْإِسْلَامِ^(١).

فالحمد لله الذي عرفنا بإمام زماننا الذي يعرف ما لا يعرفه غيره، بما
منحه الله سبحانه من عطايا لا يُعطاها إلا المتتجِّبون من خلقه، ونسأله
سبحانه أن لا يحاسبنا على سوء ما نعمله لقصور فهمنا وعجز إدراكنا عن
استيعاب ما يهبه الله عز وجل للصفوة من عباده؛ وإن الإمام الذي يرى
الأعرابي - بائع الحطب - من وراء الجبل وخلف الوديان، ويعين موعد
رجوعه بالشهر واليوم مع أنه مأسور، لهُوَ حَرِيٌّ بِأَنْ يَكُونَ إِمَاماً هَادِياً مَهْدِياً
منصباً من لدن خالقه تبارك وتعالى .



وفي كتاب الكافي رويت **حدیثه الرباعي** على هذا الشكل :

«لَمَّا أَقْدِمَ بِأَبِي الْحَسَنِ **عليه السلام** عَلَى الْمَهْدِيِّ الْقَدَمَةَ الْأُولَى، نَزَلَ زُبَالَةً .
فَكَنْتُ أَخْدُمُهُ - فَرَأَنِي مَغْمُوماً فَقَالَ لِي :
يَا أبا خالد، مَا لِي أَرَاكَ مَغْمُوماً؟» .

فقلت: كيف لا أغتمُّ وأنت تُحْمَلُ إِلَى هَذَا الطَّاغِيَةِ، وَلَا أُدْرِي مَا
يُحَدِّثُ فِيكَ؟» .

فقال لي: ليس عليَّ بأس . إذا كان شهر كذا وكذا، ويوم كذا، فوافني
في أول الميل .

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٩٤ - ٢٩٥، وهو في إعلام الوري باختلاف يسير في اللفظ .

فما كان لي همٌّ إلا إحصاء الشهور والأيام، حتى كان ذلك اليوم.
فواقيتُ الميلَ فمازلتُ عنده حتى كادت الشمس أن تغيب، ووسوس الشيطانُ
في صدري وتخوفتُ أن أشكُ فيما قال.

فبينما أنا كذلك إذ نظرت إلى سوادٍ قد أقبلَ من ناحية العراق.
فاستقبلتهم، فإذا أبو الحسن عليه السلام أمام القطار على بغلة، فقال:
إيه أبا خالد!

قلت: لبيك يا بن رسول الله.

فقال: لا تشكَّنْ، ودَّ الشيطانُ أنك شككت.

فقلت: الحمد لله الذي خلصك منهم.

فقال: إن لي إليهم عودة، لا أتخلص منهم^(١).

نعم، لا تشكَّنْ يا أبا خالد بقول إمام يعلم ما لا تعلم. فقد خلصك
إمامنا عليه السلام من الشك، وأعلمك أنه لا خلاص له من الظالمين، فلا تغتم
لذلك، وعش منسجماً مع عقيدتك كما عاش هذا الإمام العظيم منسجماً مع
واقعه المقدّر برضى وطمأنينة.

إنك لا تدري يا أبا خالد ما يحدث به طاغية العراق. . ولكنه - هو -
يدري ما يكون، وهو على موعدٍ مع ما قدر له ربُّه من الكرامة بأن يكون
شهيداً على يد جبّارٍ عنيد. . ولو فكرت ملياً لعرفت أن الذي دفع بك إلى
مشتري الحطب في منطقة ليس فيها عودٌ يستوقد به المسافرون، يعرف ما
يجري من حوله، بل لا يخفى عليه ما يلج في الأرض وما يخرج منها، ولا ما
يعرج إلى السماء، وما ينزل منها، إذ هكذا رَسَمَهُ اللهُ تعالى سفيراً له في

(١) الكافي م ١ ص ٤٧٧ - ٤٧٨ وإعلام الوری ص ٢٩٥.

الأرض . ولقد تبيّنت - يا أبا خالد - هذه الحقيقة بنفسك ، وتبدلت ضياعك بالهدى ، وخلد اسمك في عداد الذين تحلّصوا من حبال الشيطان ، على يد العبد الصالح ، سليل النبوة منذ إبراهيم خليل الله ﷺ .



وروى عبد الله بن إدريس ، عن ابن سنان ، قال :

«حمل الرشيد في بعض الأيام إلى علي بن يقطين ثياباً أكرمه بها ، وكان في جملتها درّاعة خزّ سوداء من لباس الملوك مقلّعة بالذهب .

فأنفذ علي بن يقطين جُلّ تلك الثياب إلى أبي الحسن ، موسى بن جعفر ﷺ ، وأنفذ في جملتها تلك الدرّاعة ، وأضاف إليها مالا كان أعدّه على رسم له ، فيما يحمله إليه من خمس ماله .

فلما وصل ذلك إلى أبي الحسن ﷺ ، قبل المال والثياب ، وردّ الدرّاعة على يد الرسول إلى علي بن يقطين ، وكتب إليه : احتفظ بها ولا تُخرجها من يدك ، فسيكون لك بها شأن تحتاج إليها معه .

فارتاب علي بن يقطين بردها عليه ، ولم يدّر ما سبب ذلك ، واحتفظ بالدرّاعة .

فلما كان بعد ذلك بأيام ، تغير علي بن يقطين على غلام كان يختصّ به ، فصرّفه من خدمته . وكان الغلام يعرف ميّلاً علي بن يقطين إلى أبي الحسن ﷺ ، ويقف على ما يحمله إليه في كلّ وقتٍ من مالٍ وثيابٍ والطفٍ وغير ذلك ، فسمى به إلى الرشيد وقال له : إنّه يقول بإمامة موسى بن جعفر ، ويحمل إليه خمس ماله في كلّ سنة ، وقد حمل إليه الدرّاعة التي أكرمه بها أمير المؤمنين في وقت كذا وكذا .

فاستشاط الرشيد من ذلك ، وغضب غضباً شديداً ، وقال : لأكشفن عن

هذه القضية، فإن كان الأمر كما تقول أزهقت نفسك. وأنفذ في الوقت، وطلب علي بن يقطين.

فلما مثل بين يديه قال له: ما فعلت بالدرّاعة التي كسوتك بها؟

قال: يا أمير المؤمنين، هي عندي في سفظٍ مختومٍ فيه طيبٌ، وقد احتفظتُ بها. وقلماً أصبحتُ إلّا وفتحتُ السفظ، ونظرتُ إليها تبرّكاً بها، وقبلتها ورددتها إلى موضعها. وكلّما أمسيتُ صنعتُ مثل ذلك.

قال: أحضرها الساعة.

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

فاستدعى بعض خدّمه فقال له: إمض إلى البيت الفلاني من داري، فخذ مفتاحه من جاريتي، وافتحه وافتح الصندوق الفلاني، فجثني بالسفظ الذي فيه بختمه.

فلم يلبث الغلام أن جاء بالسفظ مختوماً. فوضع بين يدي الرشيد، فأمر بكسر ختمه وفتحه.

فلما فتح نظر إلى الدرّاعة فيه بحالها مطوية مدفونة بالطيب. فسكن الرشيد من غضبه، ثم قال لعلي بن يقطين: أردّها إلى مكانها وانصرف راشداً؛ فلن نصدّق عليك بعدها ساعياً، وأمر أن يتبع بجائزة سنّية، وتقدّم - أي أمر - بضرب الساعي ألف سوط.

فصُرب نحو خمسمائة سوط، فمات في ذلك^(١).

ففكر ملياً يا قارني الكريم بما فعله الإمام عليه السلام مع ابن يقطين من ردّ الدرّاعة ووصيته بالمحافظة عليها لأنّه سيحتاج إليها في موقف ضيقٍ لا

(١) كشف الغمّة ج ٣ ص ١٤ - ١٥ والمحجّة البيضاء ج ٤ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ والإرشاد ص ٢٧٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٨٩ وإعلام الوري ص ٢٩٣ رواه عن ابن سيّار.

يخلصه منه إلا الدراعة. نعم، فكر، وقدر، وتدبر، لتعرف مبلغ علم الإمام عليه السلام بما سيحدث في الآتي من الأيام.



وقال محمد بن الفضل: «اختلفت الرواية بين أصحابنا في مسح الرجلين في الوضوء، هو من الأصابع إلى الكعبين، أم من الكعبين إلى الأصابع؟»

فكتب ابن يقطين إلى أبي الحسن، موسى عليه السلام: جعلت فداك، إن أصحابنا اختلفوا في مسح الرجلين؛ فإن رأيت أن تكتب بخطك ما يكون عملي عليه فعلت إن شاء الله.

فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام: فهمت ما ذكرت من الاختلاف في الوضوء. والذي أمرك به في ذلك، أن تمضمض ثلاثاً، واستنشق ثلاثاً، وتغسل وجهك ثلاثاً وتخلل شعر لحيتك، وتغسل يديك إلى المرفقين ثلاثاً، وتمسح رأسك كله، وتمسح ظاهر أذنك وباطنهما، وتغسل رجليك إلى الكعبين ثلاثاً، ولا تخالف ذلك إلى غيره.

فلما وصل الكتاب إلى علي بن يقطين، تعجب مما رسم له فيه مما جميع العصابة على خلافه، ثم قال: مولاي أعلم بما قال وأنا ممثل أمره. فكان يعمل في وضوئه على هذا الحد، ويخالف ما عليه جميع الشيعة، امتثالاً لأمر أبي الحسن عليه السلام.

وسمي بعلي بن يقطين، وقيل إنه رافضي مخالف لك - أي للخليفة -.

فقال الرشيد لبعض خاصته: قد كثرت عندي القول في علي بن يقطين والقرف له - أي الاتهام - بخلافنا والميل إلى الروافض. ولست أرى في خدمته لنا تقصيراً، وقد امتحنته مراراً فما ظهرت منه على ما يُقرف به. وأحب أن استبريء أمره من حيث لا يشعر بذلك فيحترز مني.

فقيل له : إن الرافضة يا أمير المؤمنين تُخالف الجماعة في الوضوء فتُخفّفه ،
ولا ترى غسل الرّجلين . فاستمحنه من حيث لا يعلم بالوقوف على وضوئه .
فقال : أجل ، إن هذا الوجه يظهر به أمره .

ثم تركه مدةً وناطه بشيءٍ من الشغل في الدار حتى دخل وقت الصلاة .
وكان عليّ بن يقطين يخلو في حجرة في الدار لوضوئه وصلاته . فلما دخل
وقت الصلاة وقف الرشيد من وراء حائط الحجرة بحيث يرى عليّ بن يقطين
ولا يراه هو ؛ فدعا بالماء للوضوء فتوضأ كما تقدّم ، والرشيد ينظر إليه . فلما
رآه قد فعل ذلك لم يملك نفسه حتى أشرف عليه بحيث يراه ، ثم ناداه : كذب
يا علي بن يقطين من زعم أنك من الرافضة . وصلت حاله عنده .

وورد عليه كتاب أبي الحسن عليه السلام : ابتداءً من الآن ، يا علي بن
يقطين ، توضأ كما أمر الله تعالى : **اغسل وجهك** مرةً فريضةً ، وأخرى
إسباغاً ، **واغسل يديك من المرفقين كذلك** ، وامسح بمقدم رأسك وظاهر
قدميك من فضل نداوة وضوئك ، **فقد زال ما كنا نخاف عليه ، والسلام** ^(١) .

وفكر ، يا قارني الكريم ، بهذه الحادثة من أولها - حيث عَلِمَ
الإمام عليه السلام بما سيكون من سوء ظنّ الرشيد بابن يقطين ، فأفتاه بأن يتوضأ
بوضوء الخليفة - إلى آخرها - حيث عَلِمَ الإمام سلام الله عليه بما كان من
أمر تجسّس الرشيد على وزيره واطمئنانه إلى (صلاح) حاله ، فأفتاه بالرجوع
إلى الوضوء الذي شرعه الله تعالى . . فكر بعلم حُجّة الله تعالى في أرضه ،
وعظّمه إذا أنصفت الحقيقة والحق .

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ١٥ إلى ص ١٧ والممجة البيضاء ج ٤ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ والإرشاد
ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ وإعلام الوري ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

علمه بما في النفوس

عن جابر، عن أبي جعفر - الإمام الباقر - عليه السلام، أنه قال:
«إِنَّ لِلَّهِ لَعِلْمًا لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، وَعِلْمًا يَعْلَمُهُ مَلَائِكَتُهُ الْمُقْرَبُونَ، وَأَنْبِيََاؤُهُ
الْمُرْسَلُونَ، وَنَحْنُ نَعْلَمُهُ»^(١).

وقد كررنا - في غير هذا المكان - أن سبحانه استأثر لنفسه بعلم الساعة
وبما ذكره معها في الآية الكريمة حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ
وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي
نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢).

ولا أدري لماذا لا يُعجبنا أن يُعَلِّمُ اللهُ تعالى ملائكته ورُسُلَهُ ما لا نَعْلَمُهُ
نحن ولا غيرنا، في حين أن عَجَبنا من ذلك لا يَمْنَعُ حصوله، وإنكارنا له لا
يقف في وجه تعليمه سبحانه لأوليائه وأصفيائه.. نستنكر كل شيء لا يقع
تحت قدرتنا، ولا تتحمَّله حواسنا، ولا يُحيط به عِلْمُنا.. فهل نحن
مخلوقون أم خالقون؟ وضعفاء أم شركاء له عزَّ وجلَّ في مشيئته؟
ومقسَّمون لعطاياه بين عباده؟

(١) التوحيد ص ١٣٨ وهو موجود في أكثر مصادر بحثنا.

(٢) سورة لقمان: ٣٤.

فَاللَّهُ جَلٌّ وَعِزٌّ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ الْعِلْمَ مَعَ الْمَخْلُوقِ الَّذِي يَتَّبِعُهُ
وَيَخْتَارُهُ لِأَمْرِهِ، وَلَا أَحَدًا مطلقاً يَقِفُ فِي وَجْهِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى .

وقد حَدَّثَ عبدُ اللَّهِ بنُ جندبٍ «أنَّهُ كَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام : إِنَّا
لَنَعْرِفُ الرَّجُلَ إِذَا رَأَيْنَاهُ، بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، وَبِحَقِيقَةِ النُّفَاقِ»^(١) .

وتلك الدعوى قَدِمَ عَلَيْهَا الْأَئِمَّةُ عليهم السلام أَلْفَ بُرْهَانٍ وَبُرْهَانٍ، وَسَبَقَهُمُ
إِلَى الْعِلْمِ بِهَا أَنْبِيَاءٌ وَأَوْصِيَاءٌ لَا يُحْصَوْنَ عَدًّا . . فَصَدُقَ أَوْ لَا تَصَدُقَ . . فَإِنَّ
إِنْكَارَ وَجُودِ الشَّمْسِ لَا يَمْنَعُ مِنْ أَنَّهَا تَذْرَعُ الْأَفُقَ يَوْمِيًّا بَيْنَ الشَّرُوقِ
وَالْغُرُوبِ ! . وقد قال سبحانه :

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَكُمْ عَلَى النَّيِّبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَابِعُونُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ
تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢) ﴾



قال خالد الجوان : مركز تحقيقات علوم و تاريخ اسلامي

«دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام ، وَهُوَ فِي عَرِصَةِ دَارِهِ فِي الرُّمَيْلَةِ :
فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قُلْتُ - بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا سَيِّدِي : مَظْلُومٌ مَغْصُوبٌ ،
مُضْطَهَدٌ - فِي نَفْسِي . (أَيُّ أَنَّهُ لَمْ يَتَلَفَّظْ بِذَلِكَ) . ثُمَّ دَنَوْتُ مِنْهُ فَقَبَّلَتْ بَيْنَ
عَيْنَيْهِ ، وَجَلَسَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَالْتَفَتَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ :

يَا بَنَ خَالِدُ : نَحْنُ أَعْلَمُ بِهَذَا الْأَمْرِ ، فَلَا تَتَصَوَّرْ هَذَا فِي نَفْسِكَ .

قُلْتُ : جَعَلْتُ فِدَاكَ ، وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِهَذَا شَيْئًا .

(١) بصائر الدرجات، ج ٦ ص ٢٨٨ .

(٢) سورة آل عمران : ١٧٩ .

فقال: نحن أعلمُ بهذا الأمر من غيرنا. لو أردنا أذن لنا. وإنَّ لهؤلاء القوم مُدَّةً، وغاية لا بدُّ من الانتهاء إليها.

فقلت: لا أعود وأصيرُ في نفسي شيئاً أبداً.

فقال: لا تعد أبداً^(١).

فإمامنا عليه السلام على بينة من الأمر عارف بما يُراد به، وبما يجري عليه في عهد كلِّ حاكمٍ من سلاطين زمانه، مُوقنٌ في عهد أيَّهم يُغتال، فإنَّ ذلك مكتوبٌ عنده في العهد من جدِّه عليه السلام، يَعلمه أكثر من سائر البشر. وهذا هو الذي يميِّزه ويميِّزُ آباءه عليه السلام فلا يخفى عنهم شيءٌ لأنَّ الذي اختارهم للسفارة في أرضه، لا يُلغى انتدابهم بمرسوم عزل، بل بمرسوم نقل من دار الهمِّ والغمِّ والعناء، إلى دار النعيم الدائم والبقاء، وبيوء خصمهم بالإثم الدائم الذي لا يزول.

والإمام عليه السلام، يرحَّب بالشهادة في سبيل الدين، ويعتدُّها فوزاً عظيماً بين يدي ربه، بدليل أنَّ جدَّه أمير المؤمنين عليه السلام لما ضربته اللعينُ ابن ملجم في محرابِ مسجد الكوفة أثناء الصلاة، مسحَ الدمَّ الشريف عن جبهته الكريمة وقال: فُزْتُ وربُّ الكعبة! أي فاز بما وعده به رسولُ الله ﷺ من الموت شهيداً، وأنَّ لحيته الكريمة ستخضبُ من دم جبهته الشريفة. . وهكذا ينتظر كلُّ إمام أن ينال هذا الفوز مقتولاً أو مسموماً، وبسبيل ما يقوم به من أمر ربه عزَّ شأنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والذي يحبُّ المرء أن يقف عنده قليلاً، هو أنه كيف عرف الإمام عليه السلام ما تحدَّثت به نفس صاحبه الذي توجَّع لِظلمه واضطهاده. ولكنَّ العارفين لا يقفون عند هذه النقطة من شأن الإمام، لأنَّهم يعرفون أنه

(١) بصائر الدرجات ج ٣ ص ١٢٦.

عالمٍ بما تتحدثُ به النفوس، وتهمس به الضمائر بإذن الله عز وجل، وبشكل لا نستطيع تعليقه وتقريره إلى الأذهان، وإن كان يُخلِّصنا من ذلك أن الله تعالى على كل شيء قديرٌ، وأنه لا تخفى عليه وسوس الصدور، وهو - سبحانه - لا يُخفيها عن أوليائه وأصفيائه، قد خلق لهم هذه القدرة كما خلق لهم الحواس الخمس الأخرى.



قال علي بن جعفر الثقة الورع، أخو الإمام سلام الله عليه:

«جاءني محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام - أي ابن أخيه - وقد اعتمرنا عمرة رجب ونحن يومئذ بمكة فقال:

يا عمّ: إنني أريد بغداد، وقد أحببت أن أودع عمي أبا الحسن - يعني الإمام موسى بن جعفر عليه السلام - وأحببت أن تذهب معي إليه.

فخرجتُ معه نحو أخي وهو في داره التي بالحوبة، وذلك بعد المغرب بقليل. فطرقْتُ الباب، فأجابني أخي فقال: من هذا؟

فقلت: عليّ.

فقال: هوذا أخرج - وكان بطيء الوضوء -.

فقلت: العجل.

فقال: وأعجل.

فخرج وعليه إزارٌ ممشوق - أي مصبوغ بالأحمر - قد عقده في عنقه،

حتى قعد تحت عتبة الباب. فانكببتُ عليه فقبلتُ رأسه وقلت:

قد جئتُك بأمرٍ إن تره صواباً فالله وفق له، وإن يكن غير ذلك فما أكثر

ما نُخطيء.

قال: وما هو؟

قلت : هذا ابن أخيك يريد أن يودعك ويخرج إلى بغداد .

فقال لي : ادعه .

فدعوته ، وكان مُتَنَحِّياً ، فدنا منه وقبل رأسه وقال : جعلت فداك

أوصيني .

فقال : أوصيك أن تتقي الله في دمي .

فقال : من أرادك بسوءٍ فعلَ الله به وفعل .

ثم عاد فقبل رأسه ثم قال : يا عم ، أوصيني .

فقال : أوصيك أن تتقي الله في دمي .

فدعا علي من أراده بسوءٍ ، ثم تنحى عنه . وبقىث معه . فقال لي أخي :

يا علي مكانك .

فقمْتُ مكاني ، فدخل منزله ، ثم دعاني ، فدخلتُ إليه ، فتناول صُرَّةً

فيها مائة دينارٍ أعطانيها وقال :

قل لابن أخيك يستعين بها على سفره .

فأخذتها ، فأدرجتها في حاشية ردائي .

ثم ناولني مائة أخرى وقال : أعطه أيضاً .

ثم ناولني صُرَّةً أخرى وقال : أعطه أيضاً .

فقلت : جعلتُ فداك ، إذا كنت تخاف منه مثل الذي ذكرت ، فلم تُعينه

على نفسك ؟!

فقال : إذا وصلته ، وقطعتني ، قطعَ الله أجله .

ثم تناول مخدَّة آدمٍ فيها ثلاثة آلاف درهمٍ وضع - أي صحيح - وقال :

أعطه هذه أيضاً .

فخرجتُ إليه فأعطيته المائة الأولى ، ففرح بها فرحاً شديداً ، ودعا

لعمه، ثم أعطيته الثانية، والثالثة، وفرح بها حتى ظننت أنه سيرجع ولا يخرج. ثم أعطيته الثلاثة آلاف درهم.

فمضى على وجهه حتى دخل على هارون الرشيد، فسلم عليه بالخلافة وقال:

ما ظننت أن في الأرض خليفتين، حتى رأيت عمي موسى بن جعفر يسلم عليه بالخلافة.

فأرسل هارون إليه بمائة ألف درهم. فرماه الله بالذبحه - أي بدم يخنق ويقتل، فما نظر منها إلى درهم ولا مسه^(١).

نعم، قد وصل الإمام عليه السلام ابن أخيه هذا بأكثر مما يظن، ثم كرر الصلة مرة ومرتين وأعطاه أضعاف أضعاف ما يحلم به، فخانه ووشى به عند هارون الرشيد، وجازى عمه سلام الله عليه بالعكس - فقطع الله عمره وقرب أجله فلم يفرح بعطاء الرشيد ولا استأنس بدرهم مسه بيده، لأنه قابل صلة الرجم المتكررة، بقطع الرجم والكذب على الإمام، فانتقم الله تعالى منه، ورماه بذبحه بترت عمره كلمح البصر إذ فار دمه في عروقه فمزقها وخرج من ذلك الجسد النجس الذي قابل الإحسان بالبهتان.

والذي يلفت النظر في الموضوع هنا، هو أن الإمام عليه السلام، قد علم أن ابن أخيه سيسعى به عند السلطان فور دخوله عليه، فضاغف له العطاء، لتجيء النعمة أسرع وأفزع لمن بادل الجميل بأقبح القبيح.



وقال محمد بن الحسن: «إن بعض أصحابنا كتب إلى أبي الحسن الماضي يسأله عن الصلاة على الزجاج.

(١) الكافي م ١ ص ٤٨٢ - ٤٨٦ وهو في مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٢٦ باختصار.

قال: فلما نفذت كتابي إليه، تفكرت وقلت: هو مما ثبتت الأرض. ما كان لي أن أسأله عنه.

فكتب إلي: لا تُصلِّ على الزجاج وإن حدثتكَ نفسك أنه مما أنبتت الأرض. ولكنه من الملح والرمل، وهما ممسوخان^(١).

فلا يجوز لنا أن نقيس أهل بيت النبوة، صلوات الله عليهم، على أنفسنا. فإنهم كما قال صادقهم عليه السلام: «لا يُقاس بنا أحد». . . ومن فعل ضلُّ كما ضلَّ إبليس حين قاس خلقه بخلق آدم عليه السلام، فصار أولَ لعينٍ من ربِّ العالمين.

وقال خالد الجوان الذي مرَّ ذكره:

«خرجتُ وأنا أريد أبا الحسن عليه السلام، فدخلتُ عليه وهو في عرصة داره. فسلمت عليه وجلست. وقد كنتُ أتيتُ لأسأله عن رجلٍ من أصحابنا كنتُ سألتُه حاجةً فلم يفعل.

فالتفت إلي وقال: ينبغي لأحدكم إذا لبس الثوب الجديد أن يمرَّ يده عليه ويقول: الحمد لله الذي كساني ما أوارني به عورتِي، وأتجمل به بين الناس. وإذا أعجبه شيءٌ فلا يكثر ذكره، فإن ذلك ممَّا يهده. وإذا كانت لأحدكم إلى أخيه حاجةٌ أو وسيلةٌ لا يمكن قضاؤها، فلا يذكره إلا بخير، فإن الله يوقع ذلك في صدره فيقضي حاجته.

فرفعت رأسي وأنا أقول: لا إله إلا الله.

فالتفت إلي وقال: يا خالد اعمل ما أمرتك^(٢).

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٠٤.

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٣٢.

فَبُورِكَ بِكُمْ يَا سَادَةَ الْخَلْقِ، وَأَعْلَامَ الْحَقِّ، وَتَبَارَكَ خَالِقُكُمْ الَّذِي
أَدَّبَكُمْ فَأَحْسَنَ أَدَبَكُمْ، وَجَعَلَكُمْ تَوَدُّبُونَ شَبَّعْتُمْ بِأَكْمَلِ الْأَدَبِ. وَكُونَكُمْ
تَعْلَمُونَ بِمَا فِي النُّفُوسِ أَعْجَبَ مِنَ الْعَجِيبِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِعَزِيزٍ
عَلَى الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ الَّذِي مَنَحَكُمْ هَذِهِ الْعَطِيَّةَ السَّنِيَّةَ.



وقال إبراهيم بن مفضل بن قيس:

«سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الْأَوَّلَ عليه السلام، وَهُوَ يَحْلِفُ أَنَّهُ لَا يَكْلُمُ مُحَمَّدَ بْنَ
عَبْدِ اللَّهِ الْأَرْقَطَ أَبَدًا.

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذَا يَأْمُرُ بِالْبُرِّ وَالصَّلَةِ، وَيَحْلِفُ أَنَّهُ لَا يَكْلُمُ ابْنَ
عَمِّهِ ۱؟.

فَقَالَ: هَذَا مِنْ بَرِّي بِهِ - وَهُوَ لَا يَصْبِرُ أَنْ يَذْكُرَنِي وَيُعَيِّنَنِي. فَإِذَا عَلِمَ
النَّاسُ أَنِّي لَا أَكْلُمُهُ، لَا يَقْبَلُونَ مِنْهُ، أَمْسَكَ عَنْ ذِكْرِي وَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (١).

فهذه وأمثالها، حوادثٌ خارقةٌ للطبيعة بعيدةٌ عن المعهود بين الناس إذ
لا تصدر عن الرجل العادي. أما صدورُها عن الأئمة عليهم السلام فهو من تمام ما
نُظِرُوا عَلَيْهِ.



وروى هشام (٢) بن حاتم الأصم عن أبيه ما يلي:

«قال شقيق البلخي: خرجتُ حاجاً في سنة تسعٍ وأربعين ومائة، فنزلنا
القادسية، فبينما أنا أنظر إلى الناس في زينتهم وكثرتهم، فنظرتُ إلى فتى حسن

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٣٥.

(٢) وورد في بعض المصادر باسم هشام.

الوجه، شديد السُمرة، ضعيف، فوق ثيابه ثوبٌ من صوف، مشتملٌ بشملة،
في رجلَيْه نعلان، وقد جلس منفرداً.

فقلتُ في نفسي: هذا الفتى من الصوفيَّة، يريد أن يكون كلاً على
الناس في طريقهم. واللَّهُ لأمضينُ إليه، ولأوبخنهُ.

فدنوتُ منه، فلما رآني مقبلاً - قال: يا شقيقُ ﴿أَجْتَبِينَا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّكَ
بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ...﴾^(١) ثم تركني ومضى.

فقلتُ في نفسي: إنَّ هذا الأمرَ عظيمٌ! قد تكلمَ بما في نفسي، ونطقَ
باسمي، وما هذا إلا عبدٌ صالح. واللَّهُ لألحقنهُ وأسألنهُ أن يُحالفني.

فأسرعتُ في أثره، فلم ألحقه، وغاب عن عيني.

فلما نزلنا واقصة وإذا به يصلي وأعضاؤه تضطرب، ودموعه تجري،
فقلت: هذا صاحبي، أمضي إليه وأستحلّه، فصبرتُ حتى جلس وأقبلتُ
نحوه.

فلما رآني مقبلاً قال: يا شقيقُ ائْتِ بِرَبِّكَ ﴿وَإِنِّي لَفَقَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَحَمَلَ
صَلِحَاتَهُمْ أَهْتَدَى﴾^(٢) ثم تركني ومضى.

فقلت: إنَّ هذا لَمِنَ الأبدال! لقد تكلمَ على سِرِّي مرَّتين.

فلما نزلنا زُبالةً إذا بالفتى قائمٌ على البثر وبيده ركوة يريد أن يستقي
ماءً، فسقطتِ الركوة من يده في البثر وأنا أنظر إليه، فرأيتُهُ وقد رمقَ السماءَ
وهو يقول:

أنتَ ربِّي إذا ظلمتُ إلى الما ، وقوتِي إذا أردتُ الطعاما

(١) سورة الحجرات: ١٢.

(٢) سورة طه: ٨٢.

اللَّهُمَّ سَيِّدِي مَالِي غَيْرَهَا، فَلَا تُعَدِّمْنِيهَا.

قال شقيق: فَوَاللَّهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الْبَثْرَ وَقَدْ ارْتَفَعَ مَائِهَا، فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَ الرُّكُوعَ وَمَلَأَهَا مَاءً، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ مَالَ إِلَى كَثِيبِ رَمْلٍ فَجَعَلَ يَقْبِضُهُ بِيَدِهِ وَيَطْرَحُهُ فِي الرُّكُوعِ وَيَحْرُكُهُ وَيَشْرَبُ.
فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ. فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: أَطْعَمَنِي مِنْ فَضْلِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ.

فقال: يَا شَقِيقَ، لَمْ تَزَلْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، فَأَحْسِنُ ظَنِّكَ بِرَبِّكَ.
ثُمَّ نَاولَنِي الرُّكُوعَ، فَشَرِبْتُ مِنْهَا، فَإِذَا هِيَ سُوقِيٌّ وَسُكَّرًا. فَوَاللَّهِ مَا شَرِبْتُ قَطْرَ الدُّمَنِ، وَلَا أَطِيبَ رِيحًا. فَشَبِعْتُ، وَرَوَيْتُ، وَبَقِيَتْ أَيَّامًا لَا أَشْتَهِي طَعَامًا وَلَا شَرَابًا.

ثُمَّ إِنِّي لَمْ أَرَهُ حَتَّى دَخَلْنَا مَكَّةَ، فَرَأَيْتُهُ لَيْلَةَ إِلَى جَنْبِ قُبَّةِ الشَّرَابِ فِي نَفْسِ اللَّيْلِ قَائِمًا يَصَلِّي بِخُشُوعٍ وَأَنْبِينٍ وَبُكَاةٍ. فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى ذَهَبَ اللَّيْلُ.
فَلَمَّا رَأَى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مَصَلَّاهُ يَسْبُحُ. ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى الْغَدَاةَ، وَطَافَ بِالْبَيْتِ أَسْبُوعًا.

فَخَرَجَ، فَتَبِعْتُهُ، وَإِذَا لَهُ غَاشِيَةٌ وَمَوَالٍ - أَيِ أَتْبَاعٍ يَخْدُمُونَهُ، وَشَيْعَةٌ لَهُ تَقْصِدُهُ - وَهُوَ عَلَى خِلَافِ مَا رَأَيْتُ فِي الطَّرِيقِ.
وَدَارَ بِهِ النَّاسُ يَسْلُمُونَ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لِبَعْضِ مَنْ رَأَيْتُهُ يَقْرُبُ مِنْهُ: مَنْ هَذَا الْفَتَى؟

فقال: هَذَا مُوسَى بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام.

فقلت: قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد^(١).

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٣ - ٤ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٦٨ - ٢٧٠ وهو في مناقب آل أبي طالب =

وقد أثبت هذه القصة جماعة من أرباب التأليف والمحدثين، كابن الجوزي في كتابه (إثارة العزم الساكن، إلى أشرف الأماكن) وفي كتابه (صفة الصفوة). وكالحافظ عبد العزيز بن الأخضر الجنازدي، وكالقاضي ابن خلاد الرامهرمزي في كتابه (كرامات الأولياء).

وقد قال كمال الدين بن طلحة الشافعي عند رواية هذه القصة:

«ولقد قرع سمعي ذكر واقعة عظيمة، ذكرها بعض صدور أهل العراق، أثبتت لموسى عليه السلام أشرف منقبة؛ وشهدت له بعلو مقامه عند الله تعالى، وزلّفت منزلته لديه»^(١).

وإن ما ذكره شقيق البلخي عن إمامنا الكاظم عليه السلام، في محطاته الثلاث، لا يصدر إلا عن إمامٍ مُحاطٍ بعناية ربه أينما حلّ أو ارتحل، مُزوّدٍ بعلمٍ يمكنه من الاطلاع على ما في النفوس، ومعرفة ما توسوس به الصدور، بدليل مبادته لشقيق البلخي بكل ما حدثته به نفسه في المواطن الثلاثة من تلك الطريق الطويلة في الصحراء القاحلة.

وأئمتنا عليهم السلام يُلهمون المعلومات إلهاماً. كلما دعت الحاجة إلى ذلك، ويتمكنون من معرفة ما يُسألون عنه بتيسير من الله جلّت قدرته وبتأييد منه وتسديد. ولا يتسنى ذلك لأحدٍ سواهم من المخلوقين، والحمد لله رب العالمين.

ج ٤ ص ٣٠٢ باختصار، وفي بنابيع العودة ج ٣ ص ١٠ - ١١ بتمامه، وفي تذكرة الخواص ص ٣١٢ - ٣١٣ وفي حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٤٤ - ٢٤٦ بتفصيل، وقال: رواه المالكي في «الفصول المهمة» وكمال الدين بن طلحة الشافعي في «مطالب السؤل».

(١) انظر كشف الغمة ج ٣ ص ٦.

آياته، ومعجزاته

قال أبو بصير رحمه الله :

«قلت لأبي الحسن، موسى: جعلت فداك، بِمَ يُعرف الإمام؟»

قال: بخصال.

أما أولاهن، فإنه شيء قد تقدم فيه عن أبيه، وأشار إليه ليكون حجة.

ويُسأل فيجيب، وإذا سُيكت عنه ابتداء،

ويُخبر بما في غده،

ويكلم الناس بكل لسان.

ثم قال: يا أبا محمد، أعطيك علامة قبل أن تقوم.

فلم ألبث أن دخل عليه رجل من خراسان، فكلمه الخراساني بالعربية،

فأجابه أبو الحسن بالفارسية.

فقال الخراساني: واللّه ما منعتني أن أكلمك بالفارسية إلا أنني قد ظننتُ

أنك لا تحسنها.

فقال: سبحان الله! إذا كنت لا أحسن أن أجيبك، فما فضلي عليك

فيما أستحقُّ به الإمامة!؟

ثم قال: يا أبا محمد، إن الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس، ولا منطق الطير، ولا كلام شيء فيه روح»^(١).

أجل، ولولا ذلك لما كان حجة على المخلوقين، ولا إماماً للإنس والجن. وإن الذي ينتدبه ربه للأمر العظيم، لا بد أن يكون عظيماً لا شبيه له في العظماء. فلو فاقه أحدٌ بخلة من الخلال، لظهر فيه عدم الكفاءة؛ ولو سها عن باله أمرٌ، صغيرٌ أو كبيرٌ، لكان جاهلاً بما يعلمه غيره، وتعالى الله عن أن يرصد لأمره إلا إنساناً كاملاً في سائر معانيه.

وقال بدر مولى الرضا:

«إن إسحاق بن عمار دخل على موسى بن جعفر عليه السلام فجلس عنده، إذ استأذن رجلٌ خراساني فكلّمه بكلام لم يسمع مثله كأنه كلام الطير».

قال إسحاق: فأجابه موسى بمثله، وبألغته إلى أن قضى وطره من مساءته، وخرج من عنده. فقلت: ما سمعت مثل هذا الكلام!

قال - أي الإمام عليه السلام -: هذا كلام قوم من أهل الصين، وليس كلام كل أهل الصين مثله.

ثم قال: أتعجب من كلامي؟

قلت: هو موضوع المعجب.

قال: أخبرك بما هو أعجب منه. إن الإمام يعلم منطق الطير، ونطق كل ذي روح خلقه الله، وما يخفى على الإمام شيء»^(٢).

(١) إلهام الوري ص ٢٩٤ - ٢٩٥ والإرشاد ص ٢٧٤ وكشف الغمة ج ٣ ص ١٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٩٩.

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٣٧.

نعم، ومن شك في ذلك فقد شك مُسبقاً بإمامة الإمام، بل يكون قد شك بقدره الله تعالى على كل شيء، ومن ثم لم يُعط الإمامة معناها الحقيقي، وجلّ الله وعزّ عن أن يضع خليفة له يفتقر إلى شيء يوجد عند غيره، وتعالى علواً كبيراً عن أن يجعل العصفور يفهم لغة العصفير، والإمام يعجز عن ذلك. بل ينبغي أن يكون خليفته على مستوى مركزه الربّاني، رضينا بذلك أم أبينا، وعقلناه أم أنكرناه. . . فلا يجوز أن يمثل الدولة سفيراً لا تتوفر فيه الكفاءات اللائقة بالسفارة عن دولته؛ والدولة التي لا تُحسن اختيار مندوبها تكون قد أخفقت فعلاً في ممارسة أعمالها. فلا بد للإمام أن يعرف كل ما يجري من حوله في الأرض من أطرافها بإذن ربه عزّ وعلا، وإذا تفوّق عليه في فضل أو علم أو فقه أو معرفة، لبطل اختياره وكان المتفوّق عليه أولى بالمركز منه.



وروى محمد بن جزل أن ياسر الخادم قال:

«كان غلمان أبي الحسن عليه السلام - أي خدمه - في البيت: صقالبة وروماً. وكان أبو الحسن عليه السلام قريباً منهم فسمعتهم بالليل يتراطنون بالصقلبية والرومية - أي يتكلمون بغير العربية - ويقولون: إننا كنا نفتصد في بلادنا في كل سنة، ثم لم نفتصد هاهنا.

فلما كان من الغد، وجّه أبو الحسن عليه السلام إلى بعض الأطباء فقال له: إفصد فلاناً عرق كذا وكذا، وافصد فلاناً عرق كذا وكذا، ثم قال: يا ياسر، لا تفتصد أنت.

قال - ياسر -: فافتصدت، فورمت يدي واخضرت.

فقال: يا ياسر، مالك؟ ١.

فأخبرته، فقال: ألم أنهك عن ذلك؟ هلم يدك.

فمسح يده عليها، وتفلّ فيها، ثم أوصاني أن لا أتعشى. فكنت بعد ذلك كم شاء الله أتغافل وأتعشى، فيضرب عليّ^(١). - أي يهيج جرحه -.

فمن الذي دلّ الإمام عليه السلام على معنى ما تراطن به خدمته... ومن علمه الطبّ والفصد، ودلّه على عرق كل واحدٍ يجوز فصدّه فيه، ثم نبّهه إلى أن الخادم يأسر لا ينبغي له أن يفتصد؟.

هل دلّه الطبيب؟ لا، بل هو الذي دلّ الطبيب، وهو الذي أرشد الخادم أن لا يتعشى حتى لا يضطرب فصدّه وتورّم يده.

وإنها لتساؤلات هامةٌ يجوز أن تصدر في حقّ خير الإمام. أمّا الإمام فهو إمام الطبيب، والعالم، والفيلسوف، والفقير، وكلّ مخلوق... وإن الذي اختاره للولاية، أعطاه كلّ أسباب الدراية والعلم.

قال علي بن حمزة: «دخل رجلٌ من موالى أبي الحسن عليه السلام، فقال: جعلت فداك، أحبُّ أن تتغذى عندي.

فقام أبو الحسن حتى مضى معه؛ ودخل البيت فإذا في البيت سرير، قعد على السرير وإذا تحت السرير زوجُ حمام. فهدر الذكرُ على الأنثى، وذهب الرجل ليحمل الطعام، فرجع وأبو الحسن عليه السلام يضحك.

قال: أضحك الله سنك، ممّ ضحكت؟.

فقال: إنّ هذا الحمام هدر على هذه الحمامة فقال لها: يا سكني

(١) الاختصاص ص ٢٩٠ - ٢٩١ وقال: ورواه الصنار في بصائر الدرجات ج ٧ باب ١٢ ونقله في بحار الأنوار ج ٧ ص ٣٢١.

وعُرسى، واللَّهُ ما على وجه الأرض أحدٌ أحبُّ إليَّ منك إلا هذا القاعد على السرير.

قلت: جعلتُ فداك، وتفهم كلامَ الطير؟!

قال: نعم، علّمنا منطقَ الطير، وأوتينا من كلِّ شيءٍ»^(١).

والحقيقة أن الإمام عليه السلام يُؤتى من الله كلِّ شيءٍ، إلا ما استأثر به ربه عزَّ وجلَّ لنفسه. وكدليلٍ على أن إمامَ الزمان يفهم لغة كلِّ ذي روح من الإنسان والحيوان والطيور، نورد لك القصة التالية:

قال علي بن حمزة البطائني: «خرج أبو الحسن، موسى عليه السلام في بعض الأيام من المدينة إلى ضيعةٍ له خارجةٍ عنها، فصحبته. وكان عليه السلام راكباً بغلةً وأنا على حمارٍ لي. فلما صرنا في بعض الطريق اعترضنا أسدٌ فأحجمتُ عنه خوفاً، وأقبل أبو الحسن عليه السلام غيرُ مكترثٍ به. فرأيت الأسدَ يتدلُّ لأبي الحسن ويهمهم. فوقف له أبو الحسن عليه السلام كالمصغى إلى مهممته. ووضع الأسدُ يده على كفلِ بغلته! وقد هممتي نفسي من ذلك وخفتُ خوفاً عظيماً.

ثم تنحى الأسدُ إلى جانب الطريق، وحوّل أبو الحسن عليه السلام وجهه إلى القبلة وجعل يدعو ويحرك شفثيه بما لم أفهمه. ثم أومى بيده إلى الأسدَ أن امض، فهمم الأسدُ هممةً طويلةً، وأبو الحسن عليه السلام يقول: آمين، آمين.

ثم انصرف الأسدُ حتى غاب عنا، ومضى أبو الحسن عليه السلام لوجهه.

فلما بعدنا عن الموضع قلت له: جعلتُ فداك، ما شأنُ هذا الأسد، فقد خفتُ واللَّهُ عليك، وعجبتُ من شأنه معك!

(١) بصائر الدرجات ج ٧ ص ٢٤٦.

فقال لي أبو الحسن عليه السلام: إنه خرج يشكو إليَّ عُسْرَ الولادة على لَبْوَةٍ - أي أنثاء - وسألني أن أسأل الله تعالى أن يفرج عنها؛ ففعلت ذلك وألقي في روعي أنها تلد ذكراً، فخبَّرته بذلك، فقال لي: إمضِ في حفظِ الله، ولا سلط الله عليك، ولا على ذُرِّيَّتِكَ، ولا على أحدٍ من شيعتك، شيئاً من السَّبَّاح. فقلت: آمين^(١).

وهي آية في غاية الغرابة لو حدثت مع أي إنسان. . . إلا مع الإمام فإنها طبيعية؟ وهي من صُلب وظيفته كهزمة صلة بين السماء والأرض، ولو تعجبنا نحن منها فذلك لقصور أفهامنا.

وروي أن علي بن يقطين قال:

«استدعى الرشيدُ رجلاً يُطلِّبُ به أمرَ أبي الحسن، ويُخجله في المجلس. فانتدب له رجلٌ معزَّم. - وهو الذي يستعمل الرقي والسحر. - فلما أحضرت المائدة، عمل ناموساً - أي احتيلاً وسحراً - على الخُبز. فكان كلما رامَ خادمُ أبي الحسن تناولَ رغيفٍ من الخبز، طار من بين يديه!»

واستقرَّ هارون الفرخ والضحك لذلك.

فلم يلبث أبو الحسن أن رفع رأسه إلى أسدٍ مُصَوِّرٍ على بعض الستور، فقال له: يا أسدَ الله، خذْ عدوَّ الله.

قال: فوثبت تلك الصورةُ كأعظم ما يكون من السَّبَّاح، فافترس ذلك المعزَّم!

(١) الإرشاد ص ٢٧٦ - ٢٧٧ وكشف الغمة ج ٣ ص ١٧ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٧٤ - ٢٧٥ وهو في مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٩٨ باختلاف يسير في اللفظ أول الحديث.

فخّر هارونُ وندماؤه على وجوههم مغشياً عليهم، وطارت عقولهم من هول ما رأوه! .

فلما أفاقوا من ذلك بعد حين، قال هارونُ لأبي الحسن عليه السلام:
أسألك بحقي عليك لما سألت الصورة أن تردّ الرجل .

فقال عليه السلام: [عليه السلام]: إن كانت عصا موسى ردت ما ابتلعتهُ من جبال القوم وعصيتهم، فإن هذه الصورة تردّ ما ابتلعتهُ من هذا الرجل، ^(١) .

فسلامٌ عليك يا سيّدي ومولايّ يا أبا الحسن، فإنك قد أبطلت إفكهم وسحّرهم وخرّوا مغشياً عليهم فزعا ورعباً، كما خرّ سحرة فرعون ساجدين إيماناً وتصديقاً .

وكما سجد سحرة فرعون تعظيماً لله حين وقعت معجزة موسى عليه السلام، فكذلك وقع أعداؤك مُغنى عليهم أمام عظمتك وقدرتك التي وهبها لك ربك عزّ وعلا . . . وباليتم ما أفاقوا من غشيتهم ولا استفاقوا . . .

ومثل هذه الظاهرة الباهرة ترى في القصة التالية أيضاً .

«في رواية أن الرشيد أمر حميد بن مهران الحاجب بالاستخفاف به عليه السلام .

فقال له: إن القوم قد افتتوا بك بلا حجة . فأريد أن يأكلني هذان الأسدان المصوران على المسند .

فأشار عليه السلام إليهما، وقال: خذا عدوّ الله! .

فأخذهما، وأكلاه ثم قال: وما الأمر؟ . أناخذ الرشيد؟ .

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٩٩ وهي في وفاة الإمام موسى الكاظم ص ٢٨ - ٢٩ بلفظ قريب .

قال: لا، عوداً إلى مكانكما^(١).

فيا هارون، بل يا قارون السُّلطة، هل بقيَ عندك رُشدٌ إن كنتَ تملك
الرشد، بعد هذه النازلة الهائلة؟ إنها قد أودت بصاحبك الوقح الذي
غششته فأوردته مَورِدَ الهلاك في الدنيا والآخرة..

وإذا كان الإمام عليه السلام قد خلع عليه صفة عدوِّ الله، فأية صفةٍ يخلع
عليك لو كنت تعقل؟ مات صاحبك وغلَّه في صدره، ومثَّ أنت فدفن
معك حقدك ومكرُّك.. وكفرك.. ولم يكن الإمام عليه السلام بصدد طلب
سلطانٍ في الدنيا، بل كان شأنه كشأن آبائه عليهم السلام، يُبطل ما أنت عليه، كما
أبطلوا ما كان أبوك عليه..



وعن عبد الله بن المغيرة أنه قال:
«مَرَّ العبدُ الصالحُ بامرأةٍ بمنى وهي تبكي وصبيانها من حولها يكون،
وقد ماتت لهم بقرة.»

مركز تحقيقات كميونر علوم اسلامی

فدنا منها، ثم قال لها: ما يُبكيك يا أمة الله؟

قالت: يا عبد الله، إن لنا صبيانا يتامى، وكانت لي بقرة معيشتي
ومعيشة صبياني كان منها، وقد ماتت، وبقيت منقطعاً بي وبولدي لا حيلة
لنا.

فقال: يا أمة الله، هل لك أن أُحييها لك؟

فألهمت أن قالت: نعم، يا عبد الله.

فتنحى، وصلى ركعتين، ثم رفع يده هُنيئَةً وحرَّك شفتيه. ثم قام

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٠٠.

فصوت بالبقرة، فنخسها نخسة - أي وكزها بعود في جسمها - أو ضربها
برجله، فاستوت على الأرض قائمة.

فلما نظرت المرأة إلى البقرة، صاحت وقالت: عيسى بن مريم ورب
الكعبة!

فخالط الناس وصار بينهم، ومضى عليه السلام (١).

وهذه آية ومعجزة ثالثة.

فالأولى كمعجزة سليمان عليه السلام الذي علّم منطق الطير،

والثانية كمعجزة موسى عليه السلام حين أبطل السحر وما جاء به
الساحرون،

والثالثة - هذه - كواحدة من معاجز المسيح عيسى بن مريم، سلام الله
عليهما.

وكهذه، وتلك وتلك، ما جاء في القصة التي رواها الثقة التقي علي بن
أبي حمزة الذي قال: مركز تحقيقات كويتيون علوم إسلامية

«أخذ بيدي موسى بن جعفر يوماً فخرجنا من المدينة إلى الصحراء،
فإذا نحن برجل مغربي على الطريق يبكي وبين يديه حمار ميت، ورأه
مطروح.

فقال له موسى: ما شأنك؟

قال: كنت مع رفقائي نريد الحج، فمات حماري هاهنا، وبقيت
ومضى أصحابي. وبقيت متحيراً ليس لي شيء أحمل عليه.

فقال له موسى: لعله لم يموت.

(١) الكافي ١م ص ٢٨٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٠٩.

فقال: أما ترحمُني، حتى تُلهُو بي؟^{١٩}.

قال: إن عندي رقيةً جيدةً.

قال الرجل: ما يكفيني ما أنا فيه، حتى تستهزيء بي؟^{١٩}.

فدنا موسى عليه السلام من الحمار، ودعا بشيء لم أسمعه، وأخذ قضيباً كان مطروحاً فنخسه به وصاح عليه، فوثب قائماً صحيحاً سليماً.

فقال: يا مغربيُّ أترى هاهنا شيئاً من الاستهزاء؟^{١٩}. إلحق بأصحابك. ومضينا وتركناه.

قال عليُّ بنُ حمزة: فكنتُ واقفاً يوماً على زمزم، وإذا المغربيُّ هناك. فلما رأني عدا إليَّ وقبلني فرحاً مسروراً. فقلت: ما حالُ حمارك؟

فقال: هو واللهِ صحيحٌ سليمٌ، ولا أدري من أين منَّ الله عليَّ وأحيا لي حماري بعد موته.

فقلت له: قد بلغت حاجتك، فلا تسأل عما لا تبلغ معرفته^(١).

فكلُّ واحدٍ من أئمَّتنا صلوات الله عليهم، يكون مسيخَ زمانه، لأنَّ القدرة الإلهية التي سلَّحت عيسى عليه السلام بمواهبه ومعجزه، هي ذاتها تسلَّح كلُّ منتجبٍ لأمر الله بمواهبٍ مماثلةٍ تراها منه عند الحاجة إليها كدليلٍ قاطعٍ على صِلته الحقيقية بالسماء التي اختارته لخير البشر.

.. قال إسحاق بن عمار:

«لما حبسَ هارونُ أبا الحسن عليه السلام، دخل عليه أبو يوسف - قاضي

(١) كشف الغمّة ج ٣ ص ٣٧ - ٣٨ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٧٨ - ٢٨٠ نقلًا عن مطالب السؤل ص ٨٤.

قضاة القصر - ومحمد بن الحسن، صاحباً أبي حنيفة، فقال أحدهما للآخر:
نحن على أحد أمرين، إما أن نساويه، وإما أن نَشْكُكَ - وفي بعض النسخ:
نُسكته، وهو الأصح - .

فجلسا بين يديه، فجاء رجلٌ كان موثقاً به من قبَلِ السندي، فقال: إنَّ
نوبتي قد انقضت، وأنا على الانصراف. فإن كانت لك حاجةٌ فأمرني حتى
أتيك بها في الوقت الذي تلحقني النوبة.

فقال [عليه السلام]: مالي حاجة.

فلما خرج قال لأبي يوسف، ومحمد بن الحسن: ما أعجب هذا،
يسألني أن أكلفه حاجةً ليرجع، وهو ميتٌ في هذه الليلة.

قال: فغمز أبو يوسف محمد بن الحسن، فقاما.

فقال أحدهما للآخر: إنا جئنا نسأله عن الفرض والسنة، وهو الآن جاء
بشيءٍ آخرَ كأنه من علم الغيب.

ثم بعثا برجلٍ مع الرجل الآخر فقالا: اذهب حتى تُلَازِمُه وتُنظِرَ ما
يكون من أمره في هذه الليلة، وتأتينا بخبره من الغد.

فمضى الرجل حتى قام في مسجد عند باب داره، فلما أصبح سمع
الواعية ورأى الناس يدخلون داره، فقال: ما هذا؟

قالوا: مات فلان في هذه الليلة فجأة، من غير علة.

فانصرف إليهما فأخبرهما، فأتيا أبا الحسن عليه السلام فقالا: قد عَلِمْنَا
أَنَّكَ أدركت العلم في الحلال والحرام، فَمَنْ أين أدركت أمر هذا الرجل
الموثق أنه يموت في هذه الليلة؟

قال: من الباب الذي كان أخبر بعلمه رسولُ الله ﷺ علي بن أبي
طالب عليه السلام.

فلما وردَ عليهما هذا، بقيا لا يُحيرانِ جواباً^(١).

وحقُّ لهما أن يسكتا ولا يُجيباه عليهما السلام.

فقد دخلا عليه لِيُماحكاه مباحكةً مقصودةً، فرامهما بمعجزةٍ سماويةٍ أبقتهما جامدين باهتين، بلا جواب ولا احتجاج. فلم يساوياه، ولم يُسكتاه، بل عادا خائبين.



وأعجبُ من الآية السابقة التي تُدهش من لا يعرف علمَ الإمام ولا قدرته، آيةُ السارقين الذي أراد هارون العنيد أن يعث به مع الإمام عليهما السلام، فأراه الإمام عجباً.

فقد «رُويَ أنَّ هارون الرشيد بعث يوماً إلى موسى عليهما السلام، على يد ثقةٍ له، طلباً من السارقين الذي هو على هيئة التين، وأراد استخفافه.

فلما وضع الإزارَ عنه، فإذا هو من أحلى التين وأطيبه. فأكل عليهما السلام، وأطعمَ الحاملَ منه، وردَّ بعضه إلى هارون الرشيد. فلما تناوله هارون الرشيد صار سارقيناً في فيه - أي لَمَّا أكلَ منه - وكان تيناً جنيّاً^(٢).

فيا خليفة الزمان.. الذي استخلفه، على عرش رسول الله، الشيطان:

أردت الاستخفاف بإمام الزمان، ففقاً في عينك حصرمةً، وفقاً في فيك سارقيناً حريفاً، بعد أن قلبه الله تعالى في فمه الشريف تيناً للذيذاً..



(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٣٨.

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٣٨ - ٣٩.

وعن علي بن حمزة ركبته ، قال :

«كنت معتكفاً في مسجد الكوفة، إذ جاءني أبو جعفر الأحول بكتابٍ
مختومٍ من أبي الحسن عليه السلام .

فقرأت كتابه، فإذا فيه : إذا قرأت كتابي الصغير الذي في جوف كتابي
المختوم فأحرزه حتى أطلبه منك .

فأخذ عليّ الكتاب فأدخله بيت بزّه - أي محلّ ثيابه - في صندوقٍ مقفلٍ
في جوف قمطرٍ - أي محفظة - في جوف حُقّ - صندوقٍ صغيرٍ - مقفلٍ، وبابُ
البيت مقفلٌ، ومفاتيحُ هذه الأقفال في حُجرته . فإذا كان اللّيل فهي تحت
رأسه، وليس يدخل بيتَ البزّ غيره .

فلما حضر الموسم خرج إلى مكة، وأفاد بجميع ما كتب إليه من
حوادثه .

فلما دخل عليه، قال له العبدُ الصالح : يا عليّ، ما فعلت بالكتاب
الصغير الذي كتبتُ إليك فيه أن احتفظ به ؟ .

فحكّيته . - أي قصّ عليه كيف خبأه داخل الأقفال . -

قال : إذا نظرت إلى الكتاب، أليس تعرفه ؟ .

قلتُ : بلى .

فرفع مصلىّ تحته، فإذا هو قد أخرجهُ إليّ، فقال : احتفظ به . فلو
تعلّم ما فيه لضاق صدرك .

قال عليّ : فرجعتُ إلى الكوفة والكتابُ معي . فأخرجته في درور
جيبِي عند إبطِي .

فكان الكتابُ : حياةَ عليّ في جيبه . فلما مات عليّ قال محمدٌ وحسنٌ،

ابناء: فلم يكن لنا هم إلا الكتاب . ففقدناه فعلمنا أن الكتاب قد صار إليه^(١) .
 فما ألفت هذه المعجزة، حين أبرز أبو الحسن عليه السلام الكتاب لصاحبه
 في مكة، مع أن صاحبه تركه في الكوفة داخل أقفال وأقفال .
 فكيف حصل عليه من وراء أربعة أقفال؟ . بالسحر؟ . لا، بل بقدره الله
 عز وجل الذي هو على كل شيء قدير، والذي يفعل ما يستحيل فعله على الناس .
 وأجمل ما في هذه القصة أنه عليه السلام، قد رد الكتاب إلى صاحبه وأمره
 أن يحتفظ به، وأخبره أنه لو عرف ما فيه لضاق صدره، لأن فيه موعداً أجله
 وفراق الحياة .

وبالمناسبة أحيي أمثال هذا الصاحب العظيم الذي يأمر بإمامه إلى
 هذا الحد ويحمل الكتاب يدنو موته سنة كاملة ولا يخطر بباله أن يفتح
 الكتاب امتثالاً لأمر مولاه صلوات الله عليه .



وقال مولى لأبي عبد الله عليه السلام: *يا رسول الله*

«كنا مع أبي الحسن عليه السلام حين قدم البصرة، فلما أن كان قرب
 المدائن ركبنا في أمواج كثيرة، وخلقنا سفينة فيها امرأة تُزف إلى زوجها،
 وكانت لهم جلبة - أي ضجة وصراخ - فقال:
 ما هذه الجلبة؟ .

قلنا: عروس .

فما لبثنا أن سمعنا صيحة، فقال: ما هذا؟ .

فقالوا: ذهبت العروس لتغترف ماءً، فوقع منها سوار من ذهب،
 فصاحت .

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٠٤ .

فقال : احبسوا، وقولوا للملاحهم يحبس . - أي قفوا . -

فحبسنا، وحبس ملاحهم .

فاتكأ على السفينة، وهمس قليلاً - أي تكلم بكلام خفي - وقال :

قولوا للملاحهم يتزر بفوطة ثم ينزل فيتناول السوار .

فنظرنا فإذا السوار على وجه الأرض، وإذا ماء قليل؛ فنزل الملاح

وأخذ السوار .

فقال : أعطها، وقل لها فلتحمد الله ربها، ثم سرنا .

فقال له أخوه إسحاق : جعلت فداك، الدعاء الذي دعوت به، علمنيه .

قال : نعم، ولا تعلمه من ليس له بأهل، ولا تعلمه إلا من كان من

شيعتنا . ثم قال : اكتب، فأمله علي إنشاء :

يا سابق كل قوت، يا سامعاً لكل صوت قوي أو خفي، يا مخبي

النفوس بعد الموت، لا تغشاك الظلمات الجندسية - أي الشديدة العتمة - ولا

تشابه عليك اللغات المختلفة، ولا يشغلك شيء عن شيء؛ يا من لا تشغله

دعوة داع دعاه من الأرض، عن دعوة داع دعاه من السماء، يا من له جند كل

شيء من خلقه سمع سامع، وبصر نافذ، يا من لا تغلظه كثرة المسائل، ولا

يبرمه إلحاح الملحنيين، يا حي حين لا حي في ديمومة ملكه وبقائه، يا من سكن

العلی، واحتجب عن خلقه بنوره . يا من أشرقت لنوره دجاء الظلم، أسألك

باسمك الواحد الأحد الفرد الصمد الذي هو من جميع أركانك كلها، صل

على محمد وأهل بيته . ثم سل حاجتك^(١) .

وإن هذه العزائم لو قرئت - بإيمان صادق - على جبل لاندك وغار في

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٩ - ٣٠ .

الأرض، فإنها كلمات تجعل البحر جَمَدًا إذا صدرت عن قلبٍ موقنٍ بعظمة الخالق العظيم القادر على كل شيء. وإن الإمام عليه السلام، كان يفعل مثل هذه الغرائب ليثبت أصحابه على الحق، وليشد قلوبهم، ويرسخ عقيدتهم، ويزيد في يقينهم، ويضمن لهم حسن المنقلب.



وقال الرافعي: «كان لي ابنٌ عمٌ يقال له: الحسن بن عبد الله. وكان زاهداً، وكان من أعبد أهل زمانه. وكان السلطان يتقيه لجدّه في الدين واجتهاده وربما استقبل السلطان بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بما يُغضبه، فيحتمل ذلك لصلاحه. فلم تزل هذه حاله حتى دخل يوماً المسجد وفيه أبو الحسن، موسى عليه السلام، فأوماً إليه، فأتاه، فقال له: يا أبا عليّ، ما أحبُّ إليّ ما أنت فيه، وأسرّني به. إلا أنه ليست لك معرفة. فاطلب المعرفة.

فقال له: جعلت فداك، وما المعرفة؟

قال: اذهب تَفَقَّهُ واطلب الحديث.

قال: عن مَنْ؟

قال: من فقهاء المدينة، ثم اعرض عليّ الحديث.

فذهب، فكتب. ثم جاء فعرضه عليه، فأسقط كُله.

ثم قال: اذهب فاعرف. وكان الرجلُ معنيّاً بدينه، فلم يزل يترصد أبا الحسن حتى خرج إلى ضيعة له. فلقيه في الطريق فقال له: جعلت فداك، إنني أحتجُّ عليك بين يدي الله عزَّ وجلَّ، فدُلّني على ما تجب عليّ معرفته.

فأخبره أبو الحسن عليه السلام بأمر أمير المؤمنين عليه السلام وحقه وما يجب له، وأمر الحسن والحسين، وعليّ بن الحسين، ومحمد بن عليّ، وجعفر بن محمد صلوات الله عليهم، ثم سكت.

فقال له : جُعلتُ فداك ، فَمَنَ الإمامُ اليومَ ؟ .

قال : إن أخبرتك تقبل مني ؟ .

قال : نعم .

قال : أنا هو .

قال : فَشَيْءٌ أُستدلُّ به ١٩ .

قال : اذهب إلى تلك الشجرة - وأشار إلى بعض شجرٍ أم غيلان - وقلْ

لها : يقول لك موسى بن جعفر : أقبلني .

قال : فأتيتها ، فرأيتها واللَّهِ تَحُدُّ الأرضَ خَدًّا - أي تَشُقُّها - حتى وقفت

بين يديه .

ثم أشار لها بالرجوع ، فرجعت .

قال : فأقرُّ به ، ثم لَزِمَ الصَّمتَ والعبادة . وكان لا يراه أحدٌ يتكلم بعد

ذلك (١) .

وهذه من علاه إحدى المعالي . وهي من معاجز جدِّه سيِّد الخلق نبينا

محمدٍ ﷺ ، وكفى بذلك شرفاً له ﷺ .



قال الراوندي - رحمه الله تعالى - : الباب الثامن من معجزات

موسى بن جعفر ﷺ : «عن أبي الحسن ، الرضا ﷺ ، قال :

قال أبي ، موسى بن جعفر ﷺ ، لعلي بن أبي حمزة مبتدئاً :

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ١٣ - ١٤ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٧٢ والإرشاد ص ٢٧٣ - ٢٧٤
ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٨٨ وبصائر الدرجات ج ٥ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ وهو في إعلام
الورى ص ٢٩٢ عن الواقفي .

إنك لتلقى رجلاً من أهل المغرب يسألك عني، فقل: هو الإمام الذي قال لنا أبو عبد الله، الصادق عليه السلام. فإذا سألك عن الحلال والحرام فأجبه.

قال: فما علامته؟

قال: رجلٌ طويلٌ جسيمٌ، اسمه يعقوب بن يزيد، وهو رائدٌ قومه. وإن أراد الدخول إليّ، فأحضره عندي.

قال علي بن أبي حمزة: فوالله إنني لفي الطواف، إذ أقبل رجلٌ طويلٌ جسيمٌ فقال لي: إنني أريد أن أسألك عن صاحبك.

قلت: عن أيِّ الأصحاب؟

قال: عن موسى بن جعفر عليه السلام.

قلت: ما اسمك؟

قال: يعقوب بن يزيد.

قلت: من أين أنت؟

قال: من المغرب.

قلت: من أين عرفتني؟

قال: أتاني آتٍ في منامي فقال لي: إنني لفي الطواف، فسأله عن جميع ما تحتاج إليه. فسألت عنك، فدللت عليك.

قلت: اقعد في هذا الموضع حتى أفرغ من طوافي وأعود إليك.

فطفئت ثم أتيت فكلمته، فرأيت رجلاً عاقلاً فطناً، فالتمس مني الوصول إلى موسى بن جعفر عليه السلام، فأوصلته إليه.

فلما رآه قال: يا يعقوب بن يزيد، قدِمْتُ أمس ووقع بينك وبين أخيك

خصومة في موضع كذا حتى تشاتمكما . وليس هذا من ديني ولا دين آبائي ؛ فلا نأمر بهذا أحداً من شيعتنا . فاتق الله ، فإنكما ستفترقان عن قريب بموت . فأما أخوك فيموت في سفرته هذه قبل أن يصل إلى أهله ، وتندم أنت على ما كان منك إليه . فإنكما تقاطعتما ، وتدابرتما ، فقطع الله عليكما أعماركما .

فقال الرجل : يا بن رسول الله ، فإنا متى يكون أجلي ؟ .

قال : كان قد حضر أجلك ، فوصلت عمّتك بما وصلتها في منزل كذا وكذا ، فنسأ الله في أجلك عشرين حجة .

قال علي بن أبي حمزة : فلقيت الرجل من قابل بمكة ، فأخبرني أنّ أخاه توفي ودفنه في الطريق قبل أن يصل إلى أهله^(١) .

فتأمل - يا قارئ الكريم - واحكم بما آتاك الله من إنصاف ، وطأطأ بعدها رأسك لهذا الإمام الكريم الذي دلّ صاحبه على المغربي ، وفند للمغربي ما جرى له مع أخيه ، وأخبره بما يجري لأخيه قبل رجوعه لأهله ، وبما فعله من صنيع جميل مع عمته في موضع كذا وكذا ، فمد الله تعالى في عمره عشرين سنة . . فمن أطلعه على ذلك ممّا كان ، وممّا سيكون ؟ . معلوم .



وقال الحسن بن علي ، الوشاء : «حدثني محمد بن يحيى ، عن وصي علي بن السري ، قال :

قلت لأبي الحسن ، موسى بن جعفر عليه السلام : إن علي بن السري قد توفي وأوصى إلي .

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٣٥ - ٣٦ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٧٨ - ٢٧٩ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٩٤ وهو في الاختصاص ص ٦١ بتمامه ، وقال : رواه الكشي في رجاله ، والطبري في الدلائل ص ١٦٦ وهو في بحار الأنوار ج ١١ ص ٢٤١ .

فقال : رحمه الله .

فقلت : وإن ابنه جعفرأ وقع على أم ولد له ، وأمرني أن أخرجَه من الميراث .

فقال : أخرجَه ، وإن كان صادقاً فسيُصيبُه خبَل - أي جنون - .

فرجعتُ ، فقدمتني إلى أبي يوسف القاضي ، فقال له : أصلحك الله ، أنا جعفر بن علي السري ، وهذا وصي أبي ؛ فمره أن يدفع إلي ميراثي من أبي .

فقال - أي القاضي - : ما تقول ؟

قلت : نعم ، هذا جعفر ، وأنا وصي أبيه .

قال : فادفع إليه ماله .

فقلت له : أريد أن أكلمك .

فقال : ادنُه .

فدنوت حيث لا يسمع أحدٌ كلامي ، فقلت : هذا وقع على أم ولدٍ لأبيه ، فأمرني أبوه أن أخرجَه من الميراث ولا أورثه شيئاً . فأتيت موسى بن جعفر عليه السلام في المدينة ، فأخبرته وسألته ، فأمرني أن أخرجَه من الميراث . فلا أورثه شيئاً .

فقال : الله ! . إن أبا الحسن أمرَك بذلك ؟

قلت : نعم .

فاستحلفني ثلاثاً ، وقال : أنفذ ما أمرَك به ، فالقولُ قوله .

قال الوصي : وأصابه الخبَلُ بعد ذلك .

وقال الحسن بن علي ، الوشاء : رأيتُه على ذلك - أي مُخبلاً - ^(١) .

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٣٠ .

فَمَنْ الَّذِي أَنْبَأَ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام بِأَنَّ جَعْفَرَ بْنَ عَلِيٍّ السَّرِيِّ سَيَصَابُ
بِالْحَبْلِ؟

لَقَدْ قَالَهَا بَعْلَاءُ فِيهِ . . . لِأَنَّهُ لَا يَنْطِقُ عَنْ ضَرْبٍ بِالرَّمْلِ، بَلْ هِيَ أَمْرٌ
حَادِثٌ عَنْ قَرِيبٍ وَيَرَاهُ أَمَامَ نَاطِرِيهِ، وَلَا يَرْجُمُ بِالْغَيْبِ، وَلَا يَقُولُ قَوْلَ
الْعَرَّافِينَ، بَلْ يُخْبِرُ عَنْ عِلْمٍ كَمَنْ رَأَى وَكَمَنْ سَمِعَ . . . وَلَا عَجَبٌ إِذْ تَرَفَّدَهُ
السَّمَاءُ بِعَطَايَاهَا السَّنِيَّةَ .



«إِنَّ بَعْضَ الْخُلَفَاءِ مَنْ كَانَ لَهُ نَائِبٌ عَظِيمُ الشَّانِ فِي الدُّنْيَا، مِنْ مَمَالِيكِهِ
الْأَعْيَانِ فِي وِلَايَةِ عَامَّةٍ طَالَتْ فِيهَا مَدَّتُهُ . وَكَانَ ذَا سَطْوَةٍ وَجَبْرُوتٍ . فَلَمَّا انْتَقَلَ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَمَرَ الْخَلِيفَةُ أَنْ يُدْفَنَ فِي ضَرْيَحٍ مُجَاوِرٍ لِضَرْيَحِ الْإِمَامِ
مُوسَى بْنِ جَعْفَرَ عليه السلام بِالْمَشْهَدِ الْمَطْهَرِ . وَكَانَ بِالْمَشْهَدِ نَقِيبٌ مَعْرُوفٌ
مَشْهُودٌ لَهُ بِالصَّلَاحِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ بَعْدَ دَفْنِ النَّائِبِ الْمَتَوَفَّى فِي الْمَشْهَدِ، رَأَى فِي
مَنَامِهِ أَنَّ الْقَبْرَ قَدْ انْفَتَحَ وَالنَّارُ تَشْتَعَلُ فِيهِ، وَقَدْ انْتَشَرَ مِنْهُ دُخَانٌ وَرَائِحَةٌ قُتِرَ
هَذَا الْمَدْفُونُ فِيهِ إِلَى أَنْ مَلَأَتِ الْمَشْهَدَ - أَي رَائِحَةُ الْعِظَامِ الْمَحْرُوقَةِ - . وَرَأَى
أَنَّ الْإِمَامَ مُوسَى الْكَاسِمَ عليه السلام وَاقَفَ، فَصَاحَ بِهَذَا النَّقِيبِ بِاسْمِهِ وَقَالَ لَهُ :

تَقُولُ لِلْخَلِيفَةِ: يَا فُلَانُ - وَسَمَاءُ بِاسْمِهِ - لَقَدْ آذَيْتَنِي بِمُجَاوِرَةِ هَذَا
الْقَالِمِ، وَقَالَ كَلَامًا خَشِينًا .

فَاسْتَيْقِظَ ذَلِكَ النَّقِيبُ وَهُوَ يَرْتَعِدُ فَرْعًا وَخَوْفًا . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ كَتَبَ
وَرَقَةً وَسَيَّرَهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ مُنْهِيًا فِيهَا صُورَةَ الْوَاقِعَةِ بِتَفْصِيلِهَا .

فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ، جَاءَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الْمَشْهَدِ الْمَطْهَرِ بِنَفْسِهِ، وَاسْتَدْعَى
النَّقِيبَ، وَدَخَلُوا الضَّرْيَحَ، وَأَمَرَ بِكَشْفِ ذَلِكَ الْقَبْرِ وَنَقْلِ ذَلِكَ الْمَدْفُونِ إِلَى
مَوْضِعٍ آخَرَ خَارِجَ الْمَشْهَدِ .

فلما كشفوه وجدوا فيه رماد الحريق، ولم يجدوا للميمت أثرًا^(١).
 فإذا كان حال النائب الظالم للخليفة هكذا.
 فما حال الخليفة إذا كان ظالماً ومتعدياً؟
 رباه! ألم تجعل للسلطين عقولاً؟
 لقد تم إحراق جثمان الحاكم الظالم ليلة دفنه.. وتلقفته ملائكة
 العذاب بلهب النار! وقلما يصدق ذلك ظلمة الحكام..



وعن المفضل بن عمر، قال:

«لما مضى الصادق كانت وصيته إلى الكاظم عليه السلام، فادعى أخوه
 عبد الله الإمامة، وكان أكبر ولد جعفر في وقت ذلك، وهو المعروف بالأفطح.
 فأمر موسى بجمع حطب كثير في وسط داره، وأرسل إلى أخيه
 عبد الله أن يصير إليه. فلما صار إليه كان مع موسى جماعة من الإمامية.
 فلما جلس موسى أمر بطرح النار في الحطب، فاحترق ولا يعلم الناس
 السبب فيه، حتى صار الحطب كله جمرًا، ثم قام موسى وجلس بشيابه في
 وسط النار وأقبل يحدث الناس ساعة!»

ثم قام فنفض ثوبه ورجع إلى المجلس فقال لأخيه عبد الله: إن كنت
 تزعم أنك الإمام بعد أبيك فاجلس في ذلك المجلس.

قالوا: فرأينا عبد الله قد تغير لونه، وقام يجر رداءه حتى خرج من دار
 موسى عليه السلام^(٢).

(١) حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٤٩ وهو في كشف الغمّة ج ٣ ص ٥ - ٦ مع اختلاف يسير في بعض
 ألفاظه.

(٢) كشف الغمّة ج ٣ ص ٣٦ - ٣٧ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٥٤ نقلًا عن الخرائج والجرائح
 ص ٢٠٠ - ٢٠١.

وهكذا كانت النارُ برداً وسلاماً على إمامنا الكاظم عليه السلام ، كما كانت على أبيه إبراهيم خليل الله عليه السلام من قبل . وإمامنا حفيده - صلواتُ الله عليهما - فلا بأس أن يرث هذه المكرمة عن جدّه أبي الأنبياء .

وما ذكرناه من آياته وبيّناته يُطلع القارئ الكريم على عظمة حفيد سيّد الخلق رسول الله صلى الله عليه وآله ، وحفيد أمير المؤمنين والزهراء عليهما أفضل الصلاة والسلام .

●
وقال - أخيراً - خالد السّمّان :

«إنّ الرشيد دعا رجلاً يُقال له : علي بن صالح الطالقاني ، وقال له : أنت الذي تقول : إنّ السُّحْبَ حملتك من بلد الصين إلى الطالقان ؟!» .

قال : نعم .

مركز تحقيقات كويتية علوم إسلامية

قال : فحدّثنا كيف كان ؟ .

قال : كُسرَ مركبي في لُجج البحر ، فبقيت ثلاثة أيام على لوحٍ تُضربني الأمواج . فآلقتني الأمواج إلى البرّ؛ فإذا أنا بأنهارٍ وأشجارٍ ، فنمتُ تحت ظلّ شجرة .

فبينما أنا نائمٌ إذ سمعتُ صوتاً هائلاً ، فانتبهتُ فزعاً مذعوراً ، فإذا أنا بدابّتين يقتتلان على هيئة الفرس لا أحسنُ أن أصفهما . فلما بصُرّا بي دخلا في البحر .

فبينما أنا كذلك إذ رأيتُ طائراً عظيم الخلق وقعَ قريباً مني ، بطُرب كهفٍ في جبل . فقامت مستتراً بالشجرة حتى دنوت منه لأتأمّله . فلما رأني

طار. وجعلتُ أفقو أثره. فلما قمتُ بقرب الكهف سمعتُ تسبيحاً وتهليلاً
وتكبيراً وتلاوة قرآن.

فدنوتُ من الكهف، فناداني مُنادٍ من الكهف: ادْخُلْ يا علي بن صالح
الطالقاني رحمك الله.

فدخلتُ وسلّمتُ، فإذا رجلٌ فخمٌ ضخّمٌ عليه الكراديس، عظيم
الجثة، أنزعُ، أُعِينُ، فردّ عليّ السلام وقال: يا علي بن صالح الطالقاني،
أنت من معدن الكنوز^(١). ولقد أقمتُ مُمتَحناً بالجوع والعطش والخوف لولا
أن الله رحمك في هذا اليوم، فأنجأك وسقاك شراباً طيباً. ولقد علمتُ
الساعة التي ركبتُ فيها، وكم أقمتُ في البحر، وحين كُبر بك المركب،
وكم لبثتُ تضربك الأمواج، وما هممتُ به من طرح نفسك في البحر
لموت، اختياراً للموت لعظيم ما نزل بك، والساعة التي نجوتُ فيها،
ورؤيتك لما رأيت من الصورتين الحسنتين، وأتباعك للطائر الذي رأيتَه
واقفاً، فلما رأك صعد طائراً إلى السماء. فهلمُّ فاقعد رحمك الله.

فلما سمعتُ كلامه قلت: سألتك بالله، من أعلمك بحالي؟.

فقال: عالمُ الغيب والشهادة ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ ﴿٢١٧﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي
السَّجْدِينَ ﴿٢١٨﴾ ﴿٢﴾ ثم قال: أنت جائع. فتكلّم بكلام تململتُ به شفتاه، فإذا
بمائدة عليها منديل، فكشفه وقال: هلمُّ إلى ما رزقك الله، فكل.

فأكلتُ طعاماً ما رأيتُ أطيب منه. ثم سقاني ماءً ما رأيتُ ألذ منه ولا
أعذب. ثم صلّى ركعتين، ثم قال: يا علي، أتحبُّ الرجوع إلى بلدك؟.

(١) في الرواية الصحيحة أن في الطالقان كنوزاً أي كنوز، وهم عددٌ كبيرٌ من أنصار الإمام الحجة
عجل الله تعالى فرجه. وقد سماهم الإمام في الرواية: كنوزاً.

(٢) سورة الشعراء: ٢١٨-٢١٩.

فقلت : وَمَنْ لِي بِذَلِكَ !؟ .

فقال : كرامةً لأولياننا أن نفعَلْ بهم ذلك . ثم دعا بدَعَوَاتٍ ، ورفع يَدَيْهِ إلى السماء وقال : الساعَةَ الساعَةَ ، فإذا سحابٌ قد أَظَلَّتْ بابَ الكهفِ قِطْعاً قِطْعاً ، وكلِّمًا وافت غمامةً قالت : سلامٌ عليك يا وليَّ اللهِ وحُجَّتَهُ ، فيقول : وعليك السلام ورحمةُ اللهِ وبركاته أَيُّهَا السحابةُ السامعةُ المطيعةُ . ثم يقول لها : أين تريدين ؟ .

فتقول : أرضَ كذا وكذا .

فيقول : لرحمةٍ أو لسُخطٍ ! .

فتقول : لرحمةٍ أو سُخطٍ ، وتمضي . حتى جاءت سحابةً حسنةً مضيئةً فقالت : السلام عليك يا وليَّ اللهِ وحُجَّتَهُ .

قال : وعليك السلام أَيُّهَا السحابةُ السامعةُ المطيعةُ ؛ أين تريدين ؟ .

فقالت : أرضَ الطالقانِ .

مركز تحقيقات كويتية للعلوم الإسلامية

فقال : لرحمةٍ أو لسُخطٍ ؟ .

فقالت : لرحمةٍ .

فقال لها : احملي ما حملتِ مُودِعاً في اللهِ .

فقالت : سمعاً وطاعةً .

قال لها : فاستقرِّي بإذن اللهِ على وجه الأرض .

فاستقرت . فأخذ بعضَ عَضُدِي وأجلسني عليها .

فعند ذلك قلت له : سألتك بالله العظيم ، وبعقِّ محمدٍ خاتم النبيين ،

وعليٍّ سيِّد الوصيين ، والأئمة الطاهرين ، مَنْ أَنْتَ ، فقد أعطيتِ واللهِ أمراً عظيماً ! .

فقال : ويحك يا علي بن صالح ، إن الله لا يُخلي أرضه من حُجَّةٍ طرفه عَيْنٍ ، إمَّا باطنٍ ، وإمَّا ظاهر . أنا حُجَّةُ الله الظاهرة ، وحُجَّةُ الباطنة ، أنا حُجَّةُ الله يوم الوقت المعلوم ، وأنا المؤدِّي الناطقُ عن الرسول ، أنا في وقتي هذا موسى بن جعفر .

فذكرت إمامته وإمامة آباءه . . وأمر السحابة بالطيران ، فطارت .

والله ما وجدتُ أَلماً ولا فزعاً . فما كان بأسرع من طرفه العين حتى ألقنتني بالطالقان ، في شارعي الذي فيه أهلي وعقاري سالماً في عافية . فقتله الرشيد ، وقال : لا يسمع بهذا أحد^(١) .

فها قد سمعنا بذلك يا قارون العنيد . . رغباً عنك .

أفتريد أن تسترَ نورَ الشمس عن الأرض بكفك البالية يا خليفة الظلم . إن قصة كهذه كلُّما حاولت طمسها ، كلُّما ازدادت شيوعاً ، وكلُّما تحدّثت بها الرُكبان ، ونقلها لسانٌ إلى سَمْعٍ فالى لسان . .

إنك الآن تذوق مرارةَ تحدّيك لمشيشة الله عزَّ وجلَّ ، وتجنّي ثمرة أعمالك التي أغضبتَ بها ربك حين ناصبتَ العداة لآل الرسول صلى الله عليه وعليهم ، وحين قطعت رَجْمَهُم وهم أبناءُ عمومتك . . ولن نلومك فقد سبقك إلى أعظم منها ، عمك أبو لهب ، فخلد الله تعالى ذمّه في القرآن ، وأنت خلّدت تاريخاً لك أسود تعجُّ بموبقاته بَطُونُ الكتب وأسفارُ التاريخ . . وعجباً ممَّن يعتبرك رشيداً في كتب التاريخ وبين الناس !

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١ - ٣٢ .

سيرته عليه السلام مع شيعته

بسم الله نفتح هذا الموضوع الذي يبين الأدب الرفيع الذي أدب
أئمتنا عليه السلام شيعتهم، وبما عناه سيدنا الإمام الكاظم سلام الله عليه حين
قال:

«كثيراً ما كنت أسمع أبي يقول: ليس من شيعتنا من لا تتحدث
المخدرات بورعه في خدورهن؛ وليس من أوليانا من هو في قرية فيها عشرة
آلاف رجل فيهم خلق لله أورع منه»^(١).
فأئمتنا عليه السلام مربون ماهرون.

وقد فطرهم الله تعالى على القول الذي يذهب مثلاً في كل زمان
ومكان، ويبقى دستوراً قوياً، وصراطاً مستقيماً.

وكلماتهم الشريفة تنفذ إلى أعماق القلوب في الصدور. . . وتطوي
العصور والدهور وتبقى حقائق ثابتة لا يأتيها الباطل. . . ولم أر في فلاسفة
العالم، ولا في علماء البشر، أحداً يقول قولاً لا جدال فيه غيرهم، لأنهم

(١) المحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٥٦ والكافي م ٢ ص ٧٩.

يصدرون بقولهم عن رسول الله ﷺ، وعن كتاب الله المجيد... وعن إلهام رباني... ولا تبديل لكلمات الله عز وجل.

●
فمن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبيه، عن إمامنا أبي الحسن عليه السلام، قال:

سمعتُه يقول: خلق الله الأنبياء والأوصياء يوم الجمعة؛ وهو اليوم الذي أخذ الله فيه ميثاقهم.

وقال: خلقتنا نحن وشيعتنا من طينة مخزونة، لا يشدُّ منها شاذُّ إلى يوم القيامة^(١).

فالحمد لله الذي جعلنا من طينتهم الشريفة، ومن المجبولين على محبتهم، ومن المنعقدة قلوبنا على ولايتهم. ونسأله سبحانه أن يحشرنا في زمرةهم، وتحت لوائهم، لننال شفاعتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون.

●
وكذلك قال إمامنا عليه السلام: ليس كلُّ من قال بولايتنا مؤمناً، ولكن جعلوا إنساً للمؤمنين^(٢).

أي أنه تعالى جعل القائلين بولايتهم - من غير العاملين بأوامرهم ونواهيهم - حصناً للمؤمنين الصادقي الإيمان، يحامون عنهم، ويدفعون كلَّ أذى وانتقادٍ ليكونوا مرهوبين، أو على الأقلِّ ليكونوا محفوظين لا تنالهم يدٌ ولا لسان. فالشيعيُّ العالمُ العارفُ الورع، يدافع عنه كلُّ شيعيٍّ عامله أو متهاون، وعن كل مسلم مؤمن.

(١) بصائر الدرجات ج ١ ص ١٧.

(٢) المحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ والكافي م ٢ ص ٢٤٥.

وقال عليُّ بن جعفر، روايةً عن أخيه الكاظم عليه السلام :

«إنما شيعتنا المعادنُ والأشرافُ، وأهلُ البيوتات، ومَن مَوْلِدُهُ طَيِّبٌ ا .

قال علي بن جعفر: فسألته عن تفسير ذلك؟ .

فقال: المعادنُ من قريش، والأشراف من العرب، وأهلُ البيوتات من

الموالي، ومَن مَوْلِدُهُ طَيِّبٌ من أهل السواد»^(١) .

فما أجمل هذا التفصيل الذي يدلُّ على أن شيعتهم خلاصةُ الناسِ

وأصفيائهم .

ومثل هذا التفصيل ما يلي :

روى صالح بن عقبة، عنه عليه السلام، أنه قال :

«النَّاسُ ثلاثة: عربيُّ، وموالي، وعِلَج، فأما العرب فنحن، وأما

الموالي فَمَنْ والانا، وأما العِلَج فَمَنْ تَبَرَّأْنَا وناصبنا»^(٢) .

وهكذا نرى أن كلَّ إمام يضع الخطوط الكبرى لمنهج تربيته للشيعه،

ويُشرف على تطبيقه ليرى الموالِي صافياً مصفياً، طاهرَ الذات، منسجماً في

قوله وعمله، صادقاً في سيره وعليه . فاستمع إلى قول إمامنا هذا عليه السلام الذي

قال :

«ليس منَّا من لم يحاسب نفسه في كلِّ يوم، فإن عمل خيراً استزاد

اللَّه، وحمد الله عليه، وإن عمل شراً استغفر الله منه، وتاب إليه»^(٣) .

نعم، وإن كلَّ عاقلٍ يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، ويُصلح نفسه يوماً

(١) معاني الأخبار ص ١٥٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٠٣ .

(٣) الاختصاص ص ٢٤٣ .

بعد يوم، ليأتي وقت يرضى فيه عن نفسه حين يضمن رضى الله تعالى عليه، وهذه قواعد راسخة بيني أئمتنا عليهم السلام تربيتهم للشيعة عليها ليكونوا من أكمل الخلق. وهم أساتذة ماهرون، ومربون فاحرون، يُمسكون بقلوب شيعتهم كيلا يضلوا ولا يزلوا.

«وقد روى السيد ابن طاووس أنه كان جماعة من خاصة أبي الحسن، موسى عليه السلام، من أهل بيته وشيعته، يحضرون مجلسه وفي كمامهم ألواح ابنوس لطاف، وأميال، فإذا نطق أبو الحسن عليه السلام، بكلمة، وأفتى في نازلة، أثبت القوم ما سمعوا منه في ذلك»^(١).

وهذا هو شأن طالب المعرفة بين يدي أستاذ معصوم ينقل عن أبيه، عن جدّه، عن رسول الله، عن جبرئيل، عن اللوح، عن القلم، عن الله تبارك وتعالى، ولا يغير حرفاً، ولا يبدل كلمة، ولا يقول من عند نفسه شيئاً.

وقد صدق سيدنا أبو الحسن عليه السلام فيما نقله عنه إبراهيم بن عبد الحميد الذي قال:

«محادثة العالم على المزابل، خير من محادثة الجاهل على الزرابي»^(٢).

والزرابي هو شبه المسند الذي يتكأ عليه من الفراش الناعم. وليس أشرف من هذا القول في ميزان التقدير والاعتبار، لأن محادثة العالم ذات فائدة دائماً، في حين أن محادثة الجاهل إما أنها لا تجر نفعاً، أو أنها توقع في الإثم.

(١) الأنوار البهية ص ١٨٥.

(٢) الكافي ١ ص ٣٩.

قال علي بن يقطين :

«قال أبو الحسن عليه السلام : مر أصحابك أن يكفؤا من ألسنتهم ، ويدعوا الخصومة في الدين ، ويجتهدوا في عبادة الله عز وجل»^(١).

ذلك أنه صلوات الله عليه يريد أن يصرفهم عن الجدل الذي لا يُغني فتيلاً ويشهرهم ويلحق بهم الأذى ، إلى عبادة الله التي تجعلهم دائماً في عين الله سبحانه وفي رعايته ، فلا يعملون لِمَا يُلَفِت إليهم نظر السلطان فيفتك بهم ، إذ لا يفيدهم الخلاف في قَدَم القرآن أو حَدُوثه مثلاً ، ولا هل هو مخلوق أم أزلي ، بمقدار ما تفيدهم طاعة من طاعات ربهم جل وعلا .
وروي عنه عليه السلام ، أنه قال :

«فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عن مشاهدتنا ، يتعلم ما هو محتاج إليه ، أشد على إبليس من ألف عابد ، لأن العابد همه ذات نفسه فقط ، وهذا همه مع ذات نفسه ذات عبادة الله وإمائه لينقذهم من يد إبليس ومردته . وكذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد ، وألف ألف عابد»^(٢).

وهكذا كان يحث على العلم والتعلم ، ويشجع أصحابه على إرشاد الضالين ، ويعلم الجاهلين . وقد سئل عليه السلام :
«هل يسع الناس ترك المسألة عما يحتاجون إليه ؟»
فقال : لا»^(٣).

ذلك أنهم إذا تركوا المسألة عما لا يعرفون حكمه ، ظلوا على جهلهم في كثير من الأمور ، وعاشوا في شبه ظلام مُطبق . وقد قال عليه السلام :

(١) التوحيد ص ٤٦٠ .

(٢) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٩٥ .

(٣) الكافي م ١ ص ٣١ و ص ٣٢ .

«دخل رسول الله ﷺ إلى المسجد، فإذا جماعة قد أطافوا برجل .
فقال : ما هذا؟» .

فقيل : علامة .

فقال : وما العلامة؟ .

فقالوا له : أعلمُ الناسُ بأنساب العرب ووقائعها، وأيام الجاهلية
والأشعار العربية .

فقال النبي ﷺ : ذاك علمٌ لا يضرُّ من جهله، ولا ينفع من علمه . ثم
قال النبي ﷺ : إنما العلمُ ثلاثة : آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة
قائمة، وما خلاهن فهو فضل^(١) .

وليس بعد قول رسول الله ﷺ قولٌ لأحد .

وقال عليه السلام : «لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهينَّ عن المنكر، أو ليستعملنَّ
عليكم شِراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»^(٢) .

ونحن اليوم على موعدٍ مع حكم الأشرار، إذ انقطع الأمرُ بالمعروف،
وبطلَّ النهيُّ عن المنكر، وقد أخذ لا يُستجاب دعاءُ خيرٍ ولا شيرٍ .

وقال علي بن أبي حمزة :

«سمعتُ أبا الحسن، موسى بن جعفر عليه السلام يقول :

إذا مات المؤمنُ بكثَّ عليه الملائكةُ، وبِقاعِ الأرض التي كان يعبد الله

(١) الكافي ١م ص ٣٠ و ص ٣٢ .

(٢) المحجة البيضاء ج ٤ ص ١٠٣ نقلًا عن الكافي ١م ص ٥٦ رقم ٣ .

عليها، وأبواب السماء التي كان يُصعدُ فيها بأعماله؛ وثلم في الإسلام ثلثة لا يسدُّها شيء، لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام، كحصن سور المدينة لها»^(١).

ويكفي بهذا القول الكريم لأن يكون حافظاً على التفقه في الدين، وباعثاً على الإيمان واليقين الذي تشدُّه عناية الله تبارك وتعالى، وترفده هدايته. وليس أجمل من اللحظات اللأذة التي يقفها العبد المؤمن بين يدي ربه - في كل طاعة من طاعاته - فإن جزاءها يوم القيامة يكون جزاءً موفوراً، وقد قال صفوان بن يحيى لأبي الحسن، موسى بن جعفر عليه السلام: بلغني أن المؤمن - بعد موته - إذا أتاه الزائر أنس به، وإذا انصرف عنه استوحش؟

قال: لا يستوحش»^(٢).

أجل، وكيف يستوحش من ذكرنا حاله من النعيم المقيم!؟

وحرَّض إمامنا عليه السلام شيعته على عمل الخير والإحسان إلى الآخرين، فقال عليه السلام:

«إن لله عبداً يسعون في حوائج الناس، هم الآمنون يوم القيامة. ومن أدخل على مؤمنٍ سروراً فرَّج الله عنه يوم القيامة»^(٣).

واعنى سلام الله عليه كثيراً بحسن علاقة المؤمنين فيما بينهم، وقال:

«من قبل للرجم ذا قرابة فليس عليه شيء. وقبلة الأخ على الخد، وقبلة الإمام بين عينيه»^(٤).

(١) الكافي م ١ ص ٣٨.

(٢) المحجة البيضاء ج ٣ ص ٤١٩ نقلاً عن كتاب من لا يحضره الفقيه ص ٤٧.

(٣) المحجة البيضاء ج ٣ ص ٣٨١.

(٤) المحجة البيضاء ج ٣ ص ٣٨٩.

وليس أبرع من أئمتنا عليهم السلام في التربية الصالحة التي تضمن سعادة الإنسان في الدارين ولقد قال علي بن يقطين :

«قال لي أبو الحسن عليه السلام : الشيعة تُربى بالأمانى منذ مائتي سنة .

وقال يقطين لابنه علي بن يقطين : ما بالنا قيل لنا فكان ، وقيل لكم فلم

يكن ؟ ١٩ .

فقال له علي : إن الذي قيل لنا ولكم من مخرج واحد ، غير أن أمركم حضر فأعطيتم محضه فكان كما قيل لكم ، وأن أمرنا لم يحضر ، فَعَلُّنا بالأمانى . فلو قيل لنا : إن هذا الأمر لا يكون إلا إلى مائتي سنة ، أو ثلاثمائة سنة ، لَنَسَتِ القلوب ، وَلَرَجَعَ عامةُ الناس عن الإسلام . ولكن قالوا - أي الأئمة عليهم السلام - : ما أسره وما أقربه تألفاً لقلوب الناس ، وتقريباً للفرج ،^(١) .

وعلي بن يقطين كان شيعياً كما هو معلوم ، وأبوه لم يكن كذلك . ولذلك قال له : كان أمرنا وحكمنا ، وتأخر أمركم فلم يكن . فبين له ابنه كيف يثبت على الأمر وعلى الحق الممتحنون خاصة ، وكيف يتعلل به المؤمنون عامة ، ثم لا تمضي السنون إلا وقد جاء أمر ربك ووقع الفرَج المنتظر ، وجاء الحكم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً على يد ثاني عشر الأئمة جعل الله تعالى فرجه . فاليقطيني كان عباسي الهوى ، في حين كان ابنه علوياً موالياً شديد الولاء ، وقد أجابه بما أجاب به بعض أئمتنا عليهم السلام حرفاً بحرف . وأمر العباسيين كان كما وعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأمر الهاشميين مؤجلاً إلى آخر الزمان كما وعد صلوات الله وسلامه عليه وعلى أهل بيته الأطهار .

قال محمد بن عبدة :

(١) الكافي ١ ص ٣٦٩ .

«قال لي أبو الحسن عليه السلام: يا محمد؛ أنتم أشدُّ تقليداً أم المرجئة؟
قلت: قلدنا، وقلدوا.

فقال: لم أسألك عن هذا؟

فلم يكن عندي جوابٌ أكثر من الجواب الأول.

فقال أبو الحسن عليه السلام: إنَّ المرجئة نصبتُ رجلاً لم تُفرض طاعته
وقلدوه.

وأنتم نصبتُم رجلاً وفرضتم طاعته، ثم لم تقلدوه. فهم أشدُّ منكم
تقليداً»^(١).

ذاك أن هؤلاء نصبوا عباسياً لولاية أمر المؤمنين، وبايعوه على ذلك،
من دون أن يقلدوه أو يعملوا بعمله، لأنهم لا يعتبرونه إماماً حقاً، بل والياً
زمنياً، فكانوا على عكس المرجئة الذين ينصبون رجلاً لم تُفرض طاعته
ويقلدونه ويعملون بأوامره ونواهيهِ.

مركزية تقيمية علوم إسلامية

وفي مجال التعامل بالمال والتجارة، تكلم إمامنا عليه السلام كثيراً، ولا
يسعنا نقلُ جميع أخباره في الموضوع ولا في غيره، لأن ذلك يقتضي دورةً
فقهيةً كاملةً إلى جانب كثير من الأخلاقيات والاجتماعيات وغيرها. ولكننا
سنذكر نموذجاً من فتاواه سلام الله عليه في بعض المواضيع المالية؛ فقد قال
إسحاق بن عمار:

«سألته عن الرجل يكون له مع الرجل مالٌ قرضاً، فيُعطيه من ربحه
مخافةً أن يقطع ذلك عنه فيأخذ ماله، من غير أن يكون شرطاً عليه؟»

(١) الكافي ١م ص ٥٣.

قال: لا بأس به، ما لم يكن شرطاً^(١).

وفتواه تُبعد شيعته عن الربا الذي غرق فيه الناس اليوم إلى شحوم آذانهم..

ولإصلاح حال التجار قال عليه السلام:

«ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: أحدهم اتَّخذ الله بضاعةً، لا يبيع إلاً بيمين، ولا يشتري إلاً بيمين»^(٢).

ثم قال عليه السلام:

«إنَّ البيع في الظلال غش، وإنَّ الغش لا يحل»^(٣).

وهذا من أعظم الحث على الأمانة في التجارة، لأنَّ الظل يُخفي كثيراً من عيوب المعروضات للبيع.

وفي الصحيح عنه عليه السلام: «أنَّه سئل عن الرجل يأتي السوق فيشتري جبةً فراءً لا يدري أذكيئة هي أم غير ذكيئة. أَيْصَلِي فِيهَا؟»

قال: ليس عليهم المسألة. إنَّ أبا جعفر عليه السلام كان يقول: إنَّ الخوارج ضيقوا على أنفسهم بجهالتهم. وإنَّ الدين أوسع من ذلك»^(٤).

وهذا منتهى التوسعة على الناس، فقد قال النبي ﷺ: جنتكم بالشرعية السهلة السمحة.

وقال أخوه الثقة الجليل علي بن جعفر:

-
- (١) المحجة البيضاء ج ٣ ص ١٦١ نقلًا عن مَنْ لا يحضره الفقيه ص ٣٨٦ رقم ٣٧، وهو مكرر لمي التهذيب، وفي الوسائل وغيرها.
- (٢) المحجة البيضاء ج ٣ ص ١٧٤ و ص ١٧٥.
- (٣) المصدر السابق.
- (٤) المصدر السابق ص ٢٣١ - ٢٣٢.

«سألته عن الرجل يأكل من مال ولده؟» .

قال: لا، إلا أن يضطرَّ إليه فيأكل بالمعروف . ولا يصلح للولد أن يأخذ من مال والده شيئاً، إلا بإذن والده»^(١) .

فما من باب تهذيبٍ خلقيٍّ فيه حكمٌ شرعيٌّ أو إنسانيٌّ - اجتماعيٌّ إلا وكان الأئمة عليهم السلام يطرقونه ويُنَبِّهون شيعتهم إليه .

قال علي بن يقطين: «سألت أبا الحسن عليه السلام يمرُّ بالثمرة من الزرع والنخل والكرم والشجر والمباطح وغير ذلك من الثمر، أيجلُّ له أن يتناول منه شيئاً ويأكل بغير إذنٍ من صاحبه؟ وكيف حاله إن نهأ صاحب الثمرة أو أمره القيمُّ، فليس له؟ وكم الحدُّ الذي يسعه أن يتناول منه؟» .

قال: لا يجلُّ له أن يأخذ منه شيئاً»^(٢) .

وقد قال الشيخ في التهذيب: قوله عليه السلام: لا يجلُّ له أن يأخذ منه شيئاً، محمولٌ على ما يحمله معه، فأما ما يأكله في الحال من الثمرة فمباح . وهذا هو الواقع، فقد نبه الإمام عليه السلام إلى ما يُحمل، لا إلى ما يؤكل .

وقال عليه السلام: «قال عيسى عليه السلام: إن صاحب الشرِّ يُعدي، وقرين السوء يُردي، فانظر من يُقارن»^(٣) .

وإذا لم يُحسن المرء اختيارَ قرينه، فإنه يرتكب خطأً بحق نفسه . . فكلُّ قرينٍ بالمقارن يقتدي . ففي الكافي، عن الجعفري، قال: «سمعتُ أبا الحسن عليه السلام يقول:

(١) المصدر السابق ص ٢٧٩ نقلاً عن الكافي .

(٢) المحجة البيضاء ج ٣ ص ٢٨١ نقلاً عن التهذيب ج ٢ ص ١٤٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٣١١ نقلاً عن الكافي ج ٢ ص ٦٤٠ .

مالي رأيتك عند عبد الرحمن بن يعقوب؟ .

فقال: إنه خالي .

فقال: إنه يقول في الله قولاً عظيماً، يصفُ الله ولا يوصفُ . فإمّا جلستَ معه وتركتنا، وإمّا جلستَ معنا وتركته .

فقلت: هو يقول ما شاء . أي شيءٍ عليّ منه إذا لم أقل ما يقول؟ .

فقال أبو الحسن عليه السلام: أمّا تخاف أن تنزل به نعمة فتصيبكم جميعاً؟ . أمّا علمت بالذي كان من أحد أصحاب موسى عليه السلام، وكان أبوه من أصحاب فرعون، فلما لحقت خيل فرعون موسى، تخلف عنهم ليعظ أباه فيلجئه بموسى، فمضى أبوه وهو يراغمه - يعارضه ويُبطل حجته - حتى بلغا طرفاً من البحر ففرقا جميعاً . وأتى موسى عليه السلام الخبر، فقال: هو في رحمة الله، ولكن النعمة إذا نزلت لم يكن لها عمن قارب المذنب دفاع^(١) .

فالتأديب عندهم صلوات الله عليهم يتناول كل ناحية من نواحي حياة الإنسان، لأنه يرمي إلى صفاء السيرة وتصفية السريرة، بتجنب عُشراء السوء ولو كانوا من أقرب الأقرباء .

قال معتب: «كان أبو الحسن عليه السلام يأمرنا إذا أدركت الثمرة أن نُخرجها ونبيعها، ونشترى مع المسلمين يوماً بيوم»^(٢) .

وذلك من أجل أن يتساوى الناس في مآكلهم ومشربهم، وبمثل هذه الطريقة الفذة كان عليه السلام - يربي شيعته ومواليه على عدم الاحتكار والطمع في غلّو الأسعار بعد أن تقلّ الثمار . فهل للمحتكرين آذانٌ يسمعون بها

(١) المحجة البيضاء ج ٣ ص ٣١٣ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٢) حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٨١ .

ويعودون عن الجشع والتجارة بأرزاق العباد للغنى بخراب البلاد وانتزاع اللقمة من أفواه المساكين ١٩ .

قال عبد الله بن مصعب الزبيري :

سمعتُ أبا الحسن، موسى بن جعفر عليه السلام، وجلسنا إليه في مسجد رسول الله ﷺ، فتذاكرنا أمر النساء فأكثرنا الخوض وهو ساكت لا يدخل في حديثنا بحرف . فلما سكتنا قال :

أما الحرائر فلا تذكرهن، ولكن خيرُ الجواري ما كان لك فيها هوى، وكان لها عقلٌ وأدبٌ، فلستَ تحتاج إلى أن تأمر وتنهى .

ودون ذلك ما كان لك فيها هوى، وليس لها عقلٌ وأدبٌ، فأنت تحتاج إلى الأمر والنهي .

ودونها ما كان لك فيها هوى، وليس لها عقلٌ ولا أدبٌ، فتصبر عليها لمكان هواك فيها .

وجاريةٌ ليس لك فيها هوى، ليس لها عقلٌ ولا أدبٌ، فتجعل فيما بينك وبينها البحر الأخضر .

قال عبد الله : فأخذتُ بلحيتي أريد أن أبصق فيها لكثرة خوضنا بما لم نثم فيه على شيء، ولجميعه الكلام .

فقال : مه، إن فعلتَ لم أجالسك^(١) .

فما أدق التعبير في هذا التقرير عن الأنواع الأربعة من الجواري . فإنه لا يمكن أن يزداد فيه حرفٌ ولا ينقص منه حرفٌ، لبلاغته وصدقته وحسن سبكه .

(١) حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

وقد قال الحسن بن الجهم:

«دخلت على أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، وقد اختضب بالسواد. فقلت: أراك قد اختضبت بالسواد؟»

فقال: إن في الخضاب أجراً. والخضاب والتهيئة مما يزيد الله عز وجل في عفة النساء. ولقد ترك نساء العفة بترك أزواجهن لهنّ التهيئة^(١).

فكما أن الرجل يحب أن يرى زوجته مرتبة مهياً وفي أحسن حال، فكذلك هذه الزوجة تحب أن ترى زوجها نظيفاً مرتباً مهياً ولا تمنجه نفسها وترغب في غيره.



وقد علم شيعته على الالتزام التام بقضايا الحلال والحرام، وضرب لهم أمثلة حسية، منها قوله الذي رواه إبراهيم بن أبي البلاد الذي قال:

«أوصى إسحاق بن عمر عند وفاته بجوار له مغنيات، أن يُعْنَ وَيُحْمَلَ ثمنهنّ إلى أبي الحسن عليه السلام.»

قال إبراهيم: فبعث الجوار بثلاثمائة ألف درهم، وحملت الثمن إليه، فقلت: إن مولى لك يقال له إسحاق بن عمر، قد أوصى عند وفاته ببيع جوار له مغنيات، وحمل الثمن إليك. وقد فعلت وبعتهن، وهذا الثمن ثلاثمائة ألف درهم.

فقال: لا حاجة لي فيه. إن هذا سحت. وتعليمهنّ كفر، والاستماع منهنّ نفاق، وثمانهنّ سحت^(٢).

(١) المصدر السابق ص ٢٨٦.

(٢) حلية الأبرار ج ٢ ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

وفي قوله الشريف هذا، إنذارٌ لشيئته بالامتناع عن استماع الغناء،
وعن تعلمه وتعليمه وأجرته التي هي سحتٌ وحرامٌ . .

وعنّا لأمر شبابنا وشاباتنا، الذين أصبحوا من هُواة الغناء واعتلاء
خشبَات المسرح لرفع أصواتهم بما يُرضي الشيطانَ ويُغضب الرحمان . .



وكذلك روى عبد الحميد بن سعيد ما يلي :

«بعث أبو الحسن عليه السلام غلاماً يشتري له بيضاً. فأخذ الغلام بيضةً أو
بيضتين، فقامرَ بها.

فلما أتى به أكله . فقال له مولى له : إن فيه من القمار .

قال : فدعا بطشتِ فقاهه، فتقيأه»^(١).

وأنا على يقين بأن الإمام عليه السلام لم تخفَ عليه لعبة الغلام الذي قامرَ
بالبيضة، ولا كونُ البيض الذي جاء به قد اختلط بالحرام، بل فعل ما فعلَ
وعاد ليتقيأه أمام خدمه لينقلوا لشيئته هذه الحادثة فيتخذها الشيعة دستوراً
لحياتهم في ممارسة الحلال والحرام، وليزوا أن المتدينَ الملتزمَ يلفظ
الحرام ولو كان في فمه أو بين أحشائه، لئلا يفعل ما يتنافى مع التزامه بأوامر
الله تعالى ونواهيه .



وقال موسى بن بكر : «كُنّا عند أبي الحسن عليه السلام ، فإذا دنانيرُ مصبوبةٌ
بين يديه ؛ فنظر إلى دينارٍ فأخذه بيده ثم فلقه نصفين ثم قال لي : ألقه في
البالوعة حتى لا يُباعَ شيءٌ فيه غش»^(٢).

(١) المصدر السابق ص ٢٨٠ .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

فقد عرف الدينار المغشوش وأتلفه بيده لئلا يبقى المغشوش بين أيدي

الناس .

وروي عن هشام بن الحكم أنه قال :

« رأيت موسى بن جعفر عليه السلام ، يُعزِّي قبل الدفن وبعده »^(١) .

وهذا من أدبه الرفيع الذي أدب الله تعالى به رسوله عليه السلام ، فقد حثنا

على ذلك بقوله :

« من عزى حزيناً ، كسي في الموقف حلةً يُحبرُ بها »^(٢) .

ونحن إن عزينا حزيناً فإنما نعزبه لرفع الملاحظة عنا ، ولا يخطر في

بالنا هذا المعنى الرفيع من كرم الله تبارك وتعالى الذي يأجر على مثقال

الذرة ، ونسى أن تعزية المحزون تجبر خاطره ، وتُخفف من مصابه .

وفي الصحيح عن معمر بن خلاد ، قال :

« سألت أبا الحسن عليه السلام عن القيام للولادة ؟ »

فقال : قال أبو جعفر عليه السلام - أي جدّه - : التقيّة ديني ودين آبائي ، ولا

إيمان لمن لا تقيّة له »^(٣) .

والتقيّة ليست تدليساً كما يظنُّ الجهال ، بل هي احترام آراء الغير ،

واحترام المرء لنفسه . ولولا التقيّة لتنافرت القلوب ، وحصلت الفرقة ، وهذا

ما لا يقرّه الإسلام ولا يدعو له .

(١) المحجة البيضاء ج ٣ ص ٤١٥ نقلاً عن كتاب من لا يحضره الفقيه ص ٤٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ص ٣٩٩ نقلاً عن الكافي م ٢ ص ٢١٩ .

وقد قال إمامنا عليه السلام: «إِنْ كَانَ فِي يَدِكَ هَذِهِ شَيْءٌ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تُعَلِّمَ هَذِهِ، فَافْعَلْ».

وكان عنده إنسانٌ فتذاكروا الإذاعة فقال: احفظ لسانك تُعَزَّ، ولا تُمَكِّن النَّاسَ مِنْ قِيَادِ رِقَبَتِكَ فتذلل^(١).

فهو صلواتُ الله عليه يأمر بالتكتم فيما لا تنبغي معرفته، لأنَّ إعلان الشيء غير المرغوب فيه يجلب الخصومة ويؤدي إلى الفتنة.



قال إسحاق بن جعفر: سألت أخي موسى بن جعفر، فتلت: أصلحك الله، أياكون المؤمن بخيلاً؟

قال: نعم.

قلت: أياكون جباناً؟

قال: نعم.

قلت: أياكون خائناً؟

قال: لا، ولا يكون كذاباً، ثم قال: حدَّثني أبي، جعفر بن محمد، عن آبائه، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: على كلِّ خَلَةٍ يُطوى المؤمن، ليس الخيانة والكذب^(٢). أي أنه يتَّصف بكلِّ صفةٍ - حسنةٌ كانت أو قبيحةً - إلا الخيانة والكذب فإنَّ المؤمن لا يتَّصف بهما ولا يرتضيهما لنفسه.



(١) المصدر السابق ص ٤٠١ - ٤٠٢ عن الكافي م ٢ ص ٢٢٦.

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٧ و ٨.

روى سماعة بن مهران أنه قال له عليه السلام :

«أصلحك الله، إننا نجتمع فتذاكر ما عندنا، فلا يرد علينا شيء إلا
وعندنا فيه شيء مسطر - أي مكتوب ومروي عنكم - وذلك مما أنعم الله
علينا بكم. ثم يرد علينا الشيء الصغير ليس عندنا فيه شيء، فينظر بعضنا إلى
بعض. وعندنا ما يشبهه، فنقيس على أحسنه؟»

فقال: وما لكم وللقياس؟ إنما هلك من هلك من قبلكم بالقياس.
إذا جاءكم ما تعلمون فقولوا به، وإن جاءكم ما لا تعلمون فها - وأهوى بيده
إلى فيه - لعن [الله] من يقول: قال عليّ وقلت، وقالت الصحابة وقلت.

فقلت: أصلحك الله، أتى رسول الله الناس بما يكتفون به في
عهده؟



قال: نعم، وما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة.

فقلت: فضاع من ذلك شيء؟ تكملة في تاريخ طبرستان

فقال: لا، هو عند أهله^(١).

أجل، إن ذلك كله عند ورثة الكتاب، وهم الأئمة الطاهرون الذين
أخذ آخرهم عن أولهم، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن جدّهم
رسول الله صلى الله عليه وآله، عن الله عزّ وجلّ؛ ويكفي بهذه السلسلة الذهبية سنداً
شريفاً.

وكذلك قد جاء عن سماعة بن مهران قوله:

«قلت له: أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله أو تقولون فيه؟»

(١) الكافي م ١ ص ٥٧ و ص ٦٢.

قال: بل كلُّ شيءٍ في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ،^(١)
نعم... ولكن هات من يعرف كتاب الله وسنة النبي ﷺ معرفة حقة
سوى الأئمة من أهل البيت صلوات الله عليهم، لأنهم هم الراسخون في
العلم.



مركز تحقيقات كميوتور علوم اسلامی

(١) المصدر السابق.

علمه في التفسير والتاويل

روى إسحاق بن عمار، عن إمامنا أبي إبراهيم عليه السلام، قال:
«سألته عن قول الله عز وجل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ الله قرضًا حسنًا
فِيضًا يُوَفِّقُهُ لِمَا وَكَّلَهُ بِأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (١)؟»

قال: نزلت في صلالة الإمام عليه السلام (١) حين تكوير علوم عليه السلام
ومن كان له عقلٌ مُفكِّرٌ فلينظر لنفسه حتى ولو كان هذا من التاويل.
وقد قال معمر بن خلاد:

سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ﴿الَّذِي أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ
يَقُولُوا: أَمْ لَمْ نَكُفِّرْهُمْ وَلَا نُفْتِنُوهُمْ﴾ (٢).

ثم قال: ما الفتنة؟

قلت: جعلت فداك، الذي عندنا الفتنة في الدين.

فقال: يُفْتَنُونَ كَمَا يُفْتَنُ الذَّهَبُ. ثم قال: يُخْلَصُونَ كَمَا يُخْلَصُ الذَّهَبُ (٢).

(١) الكافي م ١ ص ٥٣٧ والآية الكريمة في سورة الحديد: ١١.

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٠ والآية الكريمة في سورة العنكبوت: ١-٢.

أي يُمَحْصُونَ وَيُصَفُّونَ مِنْ شَوَائِبِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ عَنِ الْحَقِّ. ففِي
 انْتِظَارِ الْفَرَجِ وَظُهُورِ الْحَقِّ عَلَى يَدِ الْإِمَامِ الْمُنْتَظَرِ عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ، فَتَنَةً
 وَتَمْحِصِينَ لِلنَّاسِ، يُعَلِّمُ فِيهَا مَنْ يَثْبُتُ عَلَى الْعَقِيدَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكِّ
 مِثْلًا. فَإِنَّ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ تَغْرِبُ لِلنَّاسِ وَلَا يَثْبُتُ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ اِمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ
 وَعَضَمَهُ عَنِ الزَّيْفِ وَالْإِنْحِرَافِ.



وقال يعقوب بن جعفر، وهو أخو الإمام عليه السلام :

«كنتُ مع أبي الحسن عليه السلام بمكة، فقال له رجل: إنك لتُفسَّرُ من
 كتاب الله ما لم أسمع به؟»

فقال أبو الحسن عليه السلام: علينا نزلَ قبل الناس، ولنا فُسرَ قبل أن يُفسَّرَ
 فِي النَّاسِ، فَنَحْنُ نَعْرِفُ حِلَالَهُ وَحُرَامَتَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَسَفَرِيَّتَهُ
 وَحَضْرِيَّتَهُ، وَفِي أَيِّ لَيْلَةٍ نَزَلَتْ كَمْ مِنْ آيَةٍ، وَفِي مَنْ نَزَلَتْ، وَفِي مَا نَزَلَتْ.
 فَنَحْنُ حُكَمَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَشُهَدَاؤُهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ
 وَتَعَالَى: ﴿سَتَكُنُّبُ شَهَدَاتُهُمْ وَسُئَلُونَ﴾ ^(١) وَالشَّهَادَةُ لَنَا، وَالْمَسْأَلَةُ
 لِلْمَشْهُودِ عَلَيْهِ. فَهَذَا عِلْمٌ مَا قَدْ أَنْهَيْتُهُ إِلَيْكَ، وَأَدَيْتُهُ إِلَيْكَ مَا لَزَمَنِي؛ فَإِنْ
 قَبِلْتَ فَاشْكُرْ، وَإِنْ تَرَكْتَ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ^(٢).

إِنِّي وَاللَّهِ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ صَدَرَ مِنْ أَهْلِهِ فِي مَحَلِّهِ، وَلَا يَتَجَرَّأُ أَنْ يَقُولَهُ
 غَيْرُ الْمَعْصُومِ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الْمَطَهَّرِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ؛ فَهَمَّ
 وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَسَادَةُ الْأَوْصِيَاءِ، وَأَصْفِيَاءُ اللَّهِ الْمُنْتَجِبُونَ، قَدْ اخْتَارَهُمْ
 لِأَمْرِهِ، وَإِتْمَنَّهُمْ عَلَى وَحْيِهِ، وَانْتَدَبَهُمْ لِسَفَارَتِهِ فِي خَلْقِهِ. وَقَدْ رُوِيَ

(١) سورة الأعراف: ١٩.

(٢) بصائر الدرجات ج ٤ ص ١٩٨.

عنه عليه السلام قوله في الآية الكريمة: ﴿فَأَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾: نحن هم، نشهد للرُّسل على أممها^(١).

أجل، قد قبلنا هذا القول الكريم وآمنا به، ونحمد الله سبحانه على ذلك.



قال سليمان بن جعفر الجعفري:

«قلت لأبي الحسن، موسى بن جعفر عليه السلام: يا بن رسول الله، ما تقول في القرآن، فقد اختلف فيه من قبلنا، فقال قوم: إنه مخلوق، وقال قوم: إنه غير مخلوق؟»

فقال عليه السلام: أما إنِّي لا أقول في ذلك ما يقولون، ولكنِّي أقول: إنه كلامُ الله^(٢).

ونحن نرى واضحاً أنه عليه السلام قد ربط وجود القرآن بوجود الله تبارك وتعالى، ولكنه أشار بلطفٍ خفيٍّ إلى أنه صادرٌ عنه عز اسمه، أي إلى أنه مخلوقٌ ومُحدَثٌ صدرَ عن الواحد الأحد الذي كان قبل القبل، ويبقى بعد البعد.

وإذا تكلمنا عليه السلام في أي موضوع، يضيغ إلى جانب كلامهم كلُّ كلام، ولا يثبت أمام قولهم قولٌ أحيد، لأنهم لا ينطقون إلا عن علمٍ عليهم. ونحن لا نُبالغ إذا جزمنا بأنه لا يتجرأ على الجزم في هذه المواضع غيرهم، ولا يتكلم بسدادٍ سواهم، لأنهم هم أهلُ الذكر، وعندهم علمُ التنزيل وعلمُ التأويل.



(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٨٣ والآية الكريمة في سورة آل عمران: ٥٣.

(٢) التوحيد ص ٢٤٤.

قال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ قال: بُغَضْنَا أَهْلَ
الْبَيْتِ ﴿وَأَحْكَمْتُ بِهِ حَاطِيَّتَهُمْ﴾ قال: مَنْ شَرِكَ فِي دِمَائِنَا^(١).

وهذا - فعلاً - قليلٌ بحق مَنْ يُبْغِضُهُمْ أو يشترك في دمائهم. ذلك أن
بُغْضَهُمْ أسوأُ سِيئةٍ لأنه اعتراضٌ على مواهب الله تعالى لهم واختصاصهم
بمكرمة الولاية على العباد، وانتقائهم من سائر مَنْ برأ وذرأ، ليكونوا بابهُ
الذي منه يُؤْتَى، والوسيلة التي بها يُنَاجَى.

وقد قال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ رِجْوًا﴾ قال:
هم عدوُّنا أهل البيت، إذا سُئِلُوا عَنَّا قالوا ذلك^(٢) ذلك أن أعداءهم لا
يُعبِرون سمعهم لقول الحق، ولا يُصِفون لِمَنْ يهديهم إلى طريق الرشاد؛
وإنه لا يعاديهم مسلمٌ موحدٌ لله تعالى، يؤمن برسوله وبما جاء به عن ربه.



وقال عبد الله بن جندب:

«سألت أبا الحسن عليه السلام، عن قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَاهُمْ
الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٣).

قال: إمامٌ إلى إمام^(٣).

ذلك أن الأرض لا يُمكن أن يُخلِيها الله تبارك وتعالى من إمامٍ حيٍّ
يكون حجَّةً على الخلق، ظاهرٍ مشهورٍ، أو غائبٍ مستور. ونحن نُبيِّنُ
للنَّاسِ ونُطَلِّعُهُمْ لا لِنُقْنِعَهُمْ، بل لِيَكُونُوا على علم بما جرت به مشيئةُ الله عزُّ
وعلا.

-
- (١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٨٣ والآية الكريمة في سورة البقرة: ٨١.
(٢) المصدر السابق في نفس الصفحة، والآية الكريمة في سورة النحل: ٢٤.
(٣) الكافي م ١ ص ٤١٥ والآية الكريمة في سورة القصص: ٥١.

«وعن طلحة، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام، قال: الأئمة في كتاب الله

إمامان:

قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(١) لا بأمر الناس. يقدمون أمر الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل حكمهم.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْكِبَرِ﴾^(٢): يقدمون أمرهم على أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلافاً لِمَا فِي الْكِتَابِ^(٣).

وأئمتنا المعصومون سلام الله عليهم يهدون بأمر ربهم، ويحكمون بحكم الله تعالى؛ ومن سواهم يقدم أمره على أمر ربّه، ويحمل الناس على النزول على حكمه ولو خالف الكتاب ورب الأرباب.

«وروى علي بن سويد، عنه عليه السلام، في قول الله عز وجل:

﴿بِحَسْرَةٍ عَلَىٰ مَا قَرَّبْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ...﴾^(٤).

قال: جنب الله أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك من كان بعده من الأوصياء بالمكان الرفيع إلى أن ينتهي الأمر إلى آخرهم^(٥).

فهم جنبه عز وجل لكونهم حملة أمره، وحبل الله الممدود بين السماء والأرض، وما عرفه سبحانه حق معرفته غيرهم وغير جدّهم صلى الله عليه

(١) سورة الأنبياء: ٧٣.

(٢) سورة القصص: ٤١.

(٣) الاختصاص ص ٢١ وقال: رواه الصغار في بصائر الدرجات الباب ١٥ من الجزء الأول،

والكليني في الكافي م ١ ص ٢١٦.

(٤) سورة الزمر: ٥٦.

(٥) الكافي م ١ ص ١٤٥.

وعليهم فإنه حجابُ الله المتوسطُ بينه وبين عباده. ومن أنكر ذلك عليهم أنكرَ عليه جلُّ وعزُّ تقديره وتدبيره، واستمع لدواعي حسدهم على ما أعطاهم الله من فضله، وما منَ عليهم من عطائه.



وقال أحمد بن عمر: سألتُ أبا الحسن عليه السلام: لِمَ سُمِّيَ أمير المؤمنين عليه السلام؟

قال: لأنه يُميرُهم العلم. أما سمعتَ في كتاب الله ﴿وَنَبِئْهُمْ أَهْلَنَا﴾^(١).

ويكفي أنه سلامُ الله عليه بابُ مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام وعظمته، قال أحمد بن عمر الحلال أيضاً:

سألتُ أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتِيمَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ، وَتَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾^(٢).

فقال: أمير المؤمنين صلواتُ الله عليه الشاهدُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم على يتيمة من ربه^(٣).

ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحتاج إلى من يشهد له أنه على يتيمة من ربه، ولكن أمير المؤمنين عليه السلام ﴿شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ ينصُ الآية الكريمة، ونفسه نفسه ينصُ آية المباهلة الكريمة أيضاً - كهذه الآية - حيث قال سبحانه: ﴿فَمَنْ

(١) الكافي ١م ص ٤١٢ والآية الكريمة في سورة يوسف: ٦٥.

(٢) سورة هود: ١٧.

(٣) الكافي ١م ص ١٩٠.

حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَلِيِّ فَقُلْ قَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا (أي الحسن والحسين عليهما السلام) وَأَبْنَاءَكُمْ (أي فاطمة الزهراء عليها السلام) وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا (أي علي أمير المؤمنين عليه السلام) وَأَنْفُسَكُمْ^(١).

وروى محمد بن فضيل، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام، فقال: سأله عن قول الله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَنْوَارِهِمْ﴾؟

قال: يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا وِلَايَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

قلت: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾؟

قال: وَاللَّهُ مُتِمُّ الْإِمَامَةِ لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ فَالنُّورُ هُوَ الْإِمَامُ.

قلت: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾؟

قال: هُوَ الَّذِي أَمَرَ رَسُولَهُ بِالْوِلَايَةِ لَوْصِيهِ . وَالْوِلَايَةُ هِيَ دِينُ الْحَقِّ.

قلت: ﴿يُظْهِرُ عَلَى الدِّينِ كَلِمَةً﴾؟

قال: يُظْهِرُهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ عِنْدَ قِيَامِ الْقَائِمِ . يَقُولُ اللَّهُ: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ

نُورِهِ﴾ : وِلَايَةُ الْقَائِمِ ﴿وَلَوْ كَفَرُوا الْكَافِرُونَ﴾^(٢) بِوِلَايَةِ عَلِيٍّ.

قلت: هذا تنزيل؟

قال: نعم، إن هذا الحرف تنزيل، وأما غيره فتأويل.

قلت: ﴿فَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾.

قال: إن الله تبارك وتعالى سُمِّيَ مَنْ لَمْ يَتَّبِعْ رَسُولَهُ بِوِلَايَةِ وَصِيِّهِ

(١) سورة آل عمران: ٦١.

(٢) سورة الصف: ٨-٩.

منافقين، وجعل من جحد وصية إمامته، كان كمن جحد محمداً، وأنزل
 بذلك قرآناً، فقال: يا محمد: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتُنَفِّقُونَ - بولاية وصيك - قَالُوا
 نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتُنَفِّقِينَ - بولاية علي -
 لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ أَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ - والسبيل هو الوصي -
 إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَصْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا - برسالتك - ثُمَّ كَفَرُوا - بولاية
 وصيك - فَطُيْعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ .

قلت: ما معنى لا يفقهون؟

قال: يقول: لا يعقلون بنبوتك.

قلت: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ .

قال: وإذا قيل لهم: ارجعوا إلى ولاية علي، يستغفر لكم النبي من
 ذنوبكم ﴿لَوْوَأْرُوْهُمْ﴾ قال الله: ﴿وَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ - عن ولاية علي - وَهُمْ
 مُسْتَكْبِرُونَ ﴿١﴾ عليه! ثم عطف القول من الله بمعرفته بهم فقال: ﴿سَوَاءٌ
 عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الْفَاسِقِينَ ﴿٢﴾﴾ (١) يقول: الظالمين بوصيك.

قلت: ﴿أَلَنْ يَمْشِيَ مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِيَ سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ (٢) .

قال: إن الله ضرب مثل من حاد عن ولاية علي كمن يمشي على
 وجهه، لا يهتدي لأمره، وجعل من تبعه سويًّا على صراط مستقيم،
 والصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام .

قلت: قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١﴾﴾ .

(١) سورة المنافقون: ٣ - ٦ .

(٢) سورة الملك: ٢٢ .

قال: يعني جبرائيل، عن الله، في ولاية علي عليه السلام.

قلت: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴾ (١) ؟

قال: قالوا إن محمداً كذابٌ علي ربه وما أمر الله بهذا في علي، فأنزل الله بذلك قرآناً فقال: إن ولاية علي ﴿ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦) وَكُوْلُ قَوْلِ عَلَيْنَا - مُحَمَّدٌ - بَعْضُ الْأَقْوَابِ (١٧) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (١٨) ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَيْبَانَ (١٩) ، ثم عطف القول فقال: ﴿ وَإِنَّهُ - ولاية علي - لَتَذِكْرٌ لِلْمُتَّقِينَ (٢٠) - للعالمين - وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ (٢١) وَإِنَّهُ - إن علياً - لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٢) وَإِنَّهُ - أي ولايته - لَحَقُّ الْيَقِينِ (٢٣) فَسَبِّحْ - يا محمد - بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٢٤) ﴾ (١) بقول: اشكرك ربك العظيم الذي أعطاك هذا الفضل.

قلت: قوله: ﴿ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ أَمَّا يَوْمَهُ؟ ﴾ (٢).

قال: الهدى: الولاية. أمنا بمولانا، فمن آمن بولاية مولاه ﴿ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ (٣).

مرکز تحقیقات کتب و تفسیر علوم اسلامی

قلت: تنزيل؟

قال: لا، تاویل.

قلت: قوله: ﴿ لَا أَمْلِكُ لَكَ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ (٤) ؟

قال: إن رسول الله ﷺ، دعا الناس إلى ولاية علي، فاجتمعت إليه قريش فقالوا: يا محمد، اعفنا من هذا. فقال لهم رسول الله ﷺ: هذا إلى الله، ليس إلي. فاتهموه وخرجوا من عنده، فأنزل الله: ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكَ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ (٤).

(١) سورة الحاقة: ٤٠ - إلى آخر السورة.

(٢) سورة الجن: ١٣.

(٣) سورة الجن: ١٣.

(٤) سورة الجن: ٢١.

ضَرًّا وَلَا رَشْدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ - إن عصيته - أَحَدٌ وَلَنْ أُجَدَّ مِنْ ذَوْبِهِ - مُلْتَحِدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَّغَا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ﴿٢٣﴾ فِي عَلِيٍّ .

قلت : هذا تنزيل ؟ .

قال : نعم ، ثم قال توكيداً : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ - فِي وِلَايَةِ عَلِيٍّ - فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ ﴿٢٤﴾ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ (١) يعني بذلك القائم وأنصاره - عَلَيْهِ السَّلَامُ - .

قلت : ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ ؟ .

قال : يقولون فيك : ﴿ وَأَهْرَجْتَهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ ﴿٢٧﴾ وَذَرَيْتَنِي - يَا مُحَمَّدُ - وَالْمُكَذِّبِينَ - بَوْصِيكَ - أُولَى النَّعْتَةِ وَمَهْلِكُهُ قَبِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾ (٢) .

قلت : هذا تنزيل ؟ .



قال : نعم .

قلت : ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ ؟ .

قال : يَسْتَيْقِنُونَ أَنَّ اللَّهَ ، وَرَسُولَهُ ، وَوَصِيَّهُ حَقٌّ .

قلت : ﴿ وَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَنَّا ﴾ ؟ .

قال : يزدادون بَوْصِيَّةَ الْإِمَامِ إِيْمَانًا .

قلت : ﴿ وَلَا يَرْكَبَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ ؟ .

قال : بَوْلَايَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قلت : ما هذا الارتباب ؟ .

(١) سورة الجن : ٢١ - ٢٤ .

(٢) سورة المزمل : ١٠ - ١١ .

قال: يعني بذلك أهل الكتاب، والمؤمنين الذين ذكر الله فقال: لا يرتابون في الولاية.

قلت: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ (٣١) (١).

قال: نعم، ولاية علي عليه السلام.

قلت: ﴿إِنَّمَا لِيُحْدِثَ الْكُفْرَ﴾ (٣٢).

قال: الولاية.

قلت: ﴿لِيَنْشَأَ مِنْكُمْ أَنْ تَقْدَمَ أَوْ تَأَخَّرَ﴾ (٣٣).

قال: من تقدم إلى ولايتنا تأخر عن سفر، ومن تأخر عنا تقدم إلى سفر.



قلت: ﴿إِلَّا أَضْحَبَ الْيَهُودَ﴾ (٣٤) (٢).

قال: هم والله شيعتنا.

قلت: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَمُكِّنَ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ (٣٥) (٢).

قال: إنا لم نتول وصي محمد والأوصياء من بعده، ولا يصلون عليهم.

قلت: ﴿فَمَا لَكُمْ مِنَ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (٣٦) (٢).

قال: عن الولاية معرضون.

قلت: ﴿كَأَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾ (٣٧) (٢).

قال: الولاية.

(١) سورة المدثر: ٣١.

(٢) سورة المدثر: ٣١ - ٥٤.

قلت: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ؟﴾ .

قال: يوفون لله النذر الذي أخذ عليهم في الميثاق من ولايتنا .

قلت: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ ﴿٣١﴾ ؟ .

قال: بولاية علي عليه السلام تنزيلاً .

قلت: هذا تنزيل ؟ .

قال: نعم، ذاتا ويل .

قلت: ﴿إِنَّ هَلْدِيهِ تَذْكِرَةٌ﴾ ؟ .

قال: الولاية .

قلت: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِيهِ﴾ (١) .

قال: في ولايتنا، قال: ﴿وَالظَّالِمِينَ أَهَدَلْتُمْ هَذَا يَا أَيُّهَا﴾ : ألا ترى أن الله يقول: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٢) قال: إن الله أعرز وأمنع من أن يظلم أو ينسب نفسه إلى ظلم، ولكن الله خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته، ثم أنزل بذلك قرآناً على نبيه فقال: ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٣) .

قلت: هذا تنزيل ؟ .

قال: نعم .

قلت: ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿١٥﴾ .

(١) سورة الإنسان من ٧ إلى ٣١ .

(٢) سورة البقرة: ٥٧ وسورة الأعراف: ١٦٠ . وهذه الآية وردت تأويلها في مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٨٤ .

(٣) سورة النحل: ١١٨ .

قال: يقول: ويل للمكذبين - يا محمد بما أوصيتُ إليك من ولاية [علي بن أبي طالب عليه السلام].

قلت: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ الْأُولَئِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ ﴿١٧﴾﴾.

قال: الأولين الذين كذبوا الرُّسل في طاعة الأوصياء.

قلت: ﴿كَذَلِكَ نَفَعُ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾^(١).

قال: مَنْ أُجْرِمَ إِلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَرَكِبَ مِنْ وَصِيهِ مَا رَكِبَ.

قلت: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ...﴾^(٢).

قال: نحنُ واللّه وشيعتنا، ليس على ملة إبراهيم غيرنا. وسائرُ الناس منها براء.

قلت: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٢٨﴾﴾^(٣).

قال: نحن واللّه المأذون لهم يوم القيامة، والقائلون صواباً.

قلت: ما تقولون إذا تكلمتم؟

قال: نمجد ربنا، ونصلي على نبينا، ونشفع لشيعتنا فلا يردنا ربنا.

قلت: ﴿كَلَّا إِنْ كُنَّ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينَ ﴿٢٧﴾﴾^(٤).

قال: هم الذين فجروا في حق الأئمة واعتدوا عليهم.

قلت: ﴿ثُمَّ يَمُوتُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٧﴾﴾^(٥).

(١) سورة المرسلات من الآية ١٥ إلى ١٨.

(٢) تابع لما سبق.

(٣) سورة النبا: ٣٨ وهذا الجزء مذكور في مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٨٤.

(٤) سورة المطففين: ٧.

(٥) سورة المطففين: ١٧ وانظر الرقم السابق.

قال: يعني أمير المؤمنين .

قلت: تنزيل ١٤ .

قال: نعم^(١) .

ولا عَجَبَ، أن يقول الأئمة عليهم السلام بهذا التنزيل، وبهذا التأويل، فهُمْ
وُلَاةُ الْبَشَرِ، وأصحابُ الأمرِ والنهي، المنصَّبون من لدنهُ تعالى . ولا عَجَبَ
أيضاً أن يَغْضَبَ اللهُ سبحانه لِغَضَبِهِمْ وَلِغَضَبِ كُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، فإنه قد جعل
لهم وللمؤمنين حصانةً كما تجعل الدولة لموظفيها الحصانة، وهو عز وجلُّ
أرأف بالعبد من نفسه ومن أمه وأبيه، كتبَ على نفسه أن يرحمه مطيعاً
وعاصياً، وأن يرزقه مؤمناً وكافراً، لئلا يبقى لأحدٍ عليه حُجَّةٌ . . . ومن نازعَ
أئمتنا صلواتُ اللهُ عليهم في أمرهم شيئاً، فكأنما نازعَ اللهُ تعالى في أمره
وعارَضه في اختياره .



وعن الحسين بن سعيد، عن أبي الحسن عليه السلام في قوله عز وجل:
﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ...﴾^(٢) .

قال: حجابٌ من نور يكشف، فيقع المؤمنون سُجُداً، وتدمجُ أصلابُ
المنافقين فلا يستطيعون السجود^(٣) .

نعم، والساقُ التي يكشف عنها ليست ساقُ الربِّ الذي جلَّ عن أن
يكون له جسمٌ وعلا عن أن يتصوَّر ويتوَهَّم، كما قال بعضُ المُجسِّمةِ
- والعياذُ بالله - فإنه تعالى لا جسمَ له ولا أعضاء، ولكنها قد تكون ساقاً من

(١) تجد هذا الحديث بكامله في الكافي م ١ ص ٤٣٢ إلى ٤٣٥ وفي الصفحة ١٩٦ أوله فقط .

(٢) سورة القلم: ٤٢ .

(٣) التوحيد ص ١٥٤ .

سيقان العرش وأركانها، إذا كُشِفَ لأبصار الناس وظهر لهم يُخِرُّون سُجُوداً كما
خَرَّ موسى صَبِغاً من هيبته النظر إلى ذلك النور الباهر. فلا يذهبن الفكرُ
بدوي الأفهام، ولا ينهني لأحد أن يتصور للمخالق عز وجل صورةً وهيئة
مطلقاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.



قال محمد بن عمير: «سمعتُ موسى بن جعفر عليه السلام يقول:

«لا يَخْلُدُ فِي النَّارِ إِلَّا أَهْلُ الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ، وَأَهْلُ الضَّلَالِ وَالشُّرْكِ،
وَمَنْ اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يُسَأَلْ عَنِ الصِّغَائِرِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى: ﴿إِنْ قَتَيْتُمْ كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكْفِرُوا عَنْكُمْ سِغَايَاتِكُمْ
وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾^(١).

فقلت له: يا بن رسول الله، فالشفاعة لمن تجب من المُذنبين؟

قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن علي عليه السلام، قال: سمعتُ
رسول الله ﷺ يقول: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون
منهم فما عليهم من سبيل.

فقلت له: يا بن رسول الله، فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر، والله
تعالى ذكَّره يقول: ﴿وَلَا يَسْمَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادُوا وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ
مُتَّقُونَ﴾^(٢) وَمَنْ يَرْتَكِبِ الْكِبَائِرَ لَا يَكُونُ مُرْتَضًى ۗ ۱۹.

فقال: يا أبا أحمد، ما من مؤمن يرتكب ذنباً إلا ساءه ذلك وتُدِيمَ عليه،
وقد قال النبي ﷺ: كفى بالندم توبة. وقال عليه السلام: مَنْ سَرَّتْهُ حَسْبَتُهُ،
وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ. فَمَنْ لَمْ يَنْدَمْ عَلَى ذَنْبٍ يَرْتَكِبُهُ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، وَلَمْ

(١) سورة النساء: ٣١.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٨.

تجب له الشفاعة وكان ظالماً، واللَّهُ تعالى ذِكرُهُ يقول: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾^(١).

فقلت له: يا بن رسول الله، وكيف لا يكون مؤمناً من لم يندم على ذنب يرتكبه؟^{١٩}.

فقال: يا أبا أحمد، ما من أحدٍ يرتكبُ كبيرةً من المعاصي وهو يعلم أنه سيُعاقبُ عليها إلا ندمَ على ما ارتكب؛ ومتى ندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة. . ومتى لم يندم عليها كان مُصرّاً، والمُصرُّ لا يُغفر له لأنه غيرُ مؤمنٍ بعقوبة ما ارتكب؛ ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم. وقد قال النبي ﷺ: لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار. أمّا قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ آتَىٰ ﴾ فإنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه. والدينُ الإقرارُ بالجزاء على الحسنات والسيئات. فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكب من الذنوب لمعرفة بعاقبه في القيامة^(٢).

وفي مجال التكلُّم في القرآن ليس مع قول أئمة أهل البيت ﷺ من قولٍ إلا عُدَّ مباحكةً وتضليلًا.

(١) سورة المؤمن: ١٨.

(٢) التوحيد ص ٤٧ - ٤٨.

قوله في فلسفة التوحيد

قال الحسن بن عبد الرحمان الحماني :

قلت لأبي إبراهيم عليه السلام : إن هشام بن الحكم زعم أن الله تعالى جسم ليس كمثل شيء، عالم، سميع، بصير، قادر، متكلم، ناطق، والكلام والقدرة والعلم يجري مجرى واحد، ليس فيها شيء مخلوقاً؟^(١)

فقال: قائله الله، أما علم أن الجسم محدود، والكلام غير المتكلم؟^(١) معاذ الله، وأبرأ إلى الله من هذا القول. لا جسم، ولا صورة، ولا تحديد. وكل شيء سواه مخلوق. وإنما تكون الأشياء بإرادته ومشيتته من غير كلام، ولا تردد في نفس، ولا نطق بلسان^(١).

وليس عند أحد زيادة على هذا القول الشريف.

وعن حمزة بن محمد، قال: «كتب إلى أبي الحسن عليه السلام، أسأله عن الجسم والصورة؟»

(١) ذكره الأردبيلي في جامع الرواة ج ١ ص ٢٨: محمد بن إسماعيل، عن علي بن العباس، عن الحسن بن عبد الرحمان الحماني، عن أبي الحسن، موسى بن جعفر عليه السلام، في الكافي - باب النهي عن الجسم والصورة. والخبر في الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٣٨٥.

فكتب: شُبْحَان مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ؛ لَا جِسْمَ وَلَا صُورَةَ»^(١).

وكذلك جاء عن محمد بن حكيم قوله: «وصفتُ لأبي إبراهيم عليه السلام قولَ هشام بن سالم الجوابي، وحكى له قولَ هشام بن الحكم: إنَّه جسمٌ!.

فقال: إنَّ الله تعالى لا يُشْبِهُه شَيْءٌ. أَيُّ فُحْشٍ، أَوْ خِنْيٍ - أَيُّ فِسادٍ - أعظمُ من قولٍ مَنْ يَصِفُ خَالِقَ الْأَشْيَاءِ بِجِسْمٍ، أَوْ صُورَةٍ، أَوْ بِخِلْقَةٍ، أَوْ بتحديدٍ وأعضاءٍ؟. تعالى اللهُ عن ذلك علواً كبيراً»^(٢).

وكبرتُ كلمةٌ تخرج من أفواه الواصفين له عزَّ اسمه بغير ما وصف به نفسه تبارك وتعالى. حين قال لمحمد ﷺ في القرآن الكريم:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٣﴾﴾
﴿يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾.

وروى يعقوب بن جعفر^(٣) أن أبا إبراهيم عليه السلام قال:

«لا أقول إنَّه قائمٌ فأزيله عن مكانٍ، ولا أحُدُّه بمكانٍ يكون فيه، ولا أحُدُّه أن يتحرَّك في شيءٍ من الأركان والجوارح، ولا أحُدُّه بلفظٍ شقَّ الفم، ولكن كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾»^(٤)

(١) الكافي م ١ ص ١٠٤ و ١٠٥ والتوحيد ص ٩٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ذكره الأردبيلي في جامع الرواة ج ٢ ص ٣٤٦ ونقل عن الكافي والتهذيب عدة روايات عنه، عن الصادق والكاظم عليه السلام، وورد اسمه فيها مرةً يعقوب بن جعفر، وأخرى يعقوب بن جعفر الجعفري، وثالثة يعقوب بن جعفر بن إبراهيم الجعفري.

(٤) سورة يس: ٨٢.

بمشيئته من غير ترددٍ في نفس، صمداً، فرداً، لم يحتج إلى شريك يدبر له ملكه، ولا يفتح أبواب علمه»^(١).

فإنَّ المعلوم أنَّ كلَّ حركةٍ تستلزم المحرك، والمتحرك، وما فيه الحركة، وما إليه الحركة؛ وهذه الأمور الأربعة منفية عنه سبحانه وتعالى.

وكذلك روى يعقوب بن جعفر الجعفري، عن أبي إبراهيم، موسى بن جعفر عليه السلام، أنه قال:

«إنَّ الله تبارك وتعالى كان لم يزل بلا زمانٍ ولا مكان، وهو الآن كما كان، لا يخلو منه مكان، ولا يُشغل به مكان، ولا يحلُّ فيه مكان ﴿مَا يَكُونُ مِنْ شَيْءٍ مِمَّا تَدْعُونَ إِلَّا هُوَ رَازِقُهُمْ وَلَا يَمُوتُ وَلَا يَأْتِيهِ أَجَلٌ مُّسَمًّى وَلَا هُوَ سَاوِيٌّ لَهُمْ وَلَا أدْنُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾»^(٢) ليس بينه وبين خلقه حجابٌ غير خلقه، احتجب بغير حجابٍ محجوب، واستتر بغير سترٍ مستور، لا إله إلا هو الكبير المتعال»^(٣).

وقال يعقوب بن جعفر أيضاً:

«سمعتُ أبا إبراهيم، موسى بن جعفر عليه السلام، وهو يكلم راهباً من النصارى، فقال له في بعض ما ناظره به:

إنَّ الله تبارك وتعالى أجلُّ وأعظمُ من أن يُخذ بيدٍ أو رجلٍ، أو حركةٍ أو سكونٍ أو يوصف بطولٍ أو قصرٍ، أو تبلغه الأوهام، أو تحيط به صفة العقول - أو تحيط بصفته العقول - أنزل مواظفه ووعده ووعيدته؛ أمرٌ بلا شفةٍ ولا لسانٍ، ولكن كما شاء أن يقول له: كُنْ، فكان، خبيراً - أي جليماً - كما كان في اللوح»^(٤).

(١) التوحيد ص ١٨٣ والكافي م ١ ص ١٢٥ والاحتجاج ج ٢ ص ٣٨٦.

(٢) سورة المجادلة: ٧.

(٣) التوحيد ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٤) المصدر السابق ص ٧٥ - ٧٦.

وقال طاهر بن حاتم بن ماهويه :

«كُتِبَ إِلَى الطَّيِّبِ - يَعْنِي أَبَا الْحَسَنِ، مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ -: مَا الَّذِي لَا تُجْزِيهِ مَعْرِفَةُ الْخَالِقِ بِدُونِهِ؟»

فكتب: ليس كمثلِه شيء، ولم يزل سميعاً، وعلماً، وبصيراً؛ وهو الفَعَالُ لِمَا يَرِيدُ^(١).

فَسُبْحَانَ مَنْ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾^(٢)
وعبارة: ليس كمثلِه شيء، تطوي جميع الصور والمعاني التي تخطر في أفكارنا القاصرة. وفي خواطرننا وبالينا. وتلقف جميع ما يَأْفِكُ هذا الفكرُ الإنسانيَّ العنيد الذي يريد أن يتصور الخالق الذي عز وجل عن أن يتصور، لأنه لا صورة له.

وقد قال الربيع بن مسلم: «سمعتُ أبا الحسن عليه السلام، وسئل عن الصَّمَدِ، فقال: الصَّمَدُ الَّذِي لَا جُوفَ لَهُ»^(٣)

وهذا المعنى من جملة معاني الصمد التي تنفي الجسم والصورة خاصة. إذ أن الصمد يعني أيضاً المقصود والذي تتجه إليه الآمال.



وقال محمد بن عمير: «دخلتُ على سيدي موسى بن جعفر عليه السلام، فقلتُ له: يا ابن رسول الله، علمني التوحيد.»

فقال: يا أبا أحمد، لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك. واعلم أن الله تعالى واحد، أحد، صمد، لم يلدُ فَيُورَثُ، ولم

(١) المصدر السابق ص ٢٨٤.

(٢) سورة الشورى: ١١.

(٣) التوحيد ص ٩٣ ومعاني الأخبار ص ٦.

يولد فيشارك، ولم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ولا شريكاً، وأنه الحي الذي لا يموت، والقادر الذي لا يعجز، والقاهر الذي لا يغلب، والحليم الذي لا يعجل، والدائم الذي لا يبدي، والباقي الذي لا يقنى، والثابت الذي لا يزول، والغني الذي لا يفتقر، والعزیز الذي لا يذل، والعالم الذي لا يجهل، والعدل الذي لا يجور، والجواد الذي لا يبخل؛ وأنه لا تُقدَّرُه العقول، ولا تقع عليه الأوهام، ولا تُحيط به الأقطار، ولا يحويه مكان، ولا تُدرکه الأبصار، وهو اللطيف الخبير، وليس كمثل شيء، وهو السميع البصير؛ وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا.

وهو الأول الذي لا شيء قبله، والآخر الذي لا شيء بعده، وهو القديم وما سواه مخلوق مُحدث، تعالى عن صفات المخلوقين علواً كبيراً^(١).

وقد قطع هذا التعريف الكافي الوافي قول كل قائل، لأنه جامع مانع، مُجمل مفصل مُيسر، صدر عن الإمام عليه السلام، وهو ما عرّف الله تعالى به نفسه، فلماذا نحاول أن نعرفه نحن بغير ما عرّف به نفسه؟.

وقال فتح بن عبد الله، مولى بني هاشم: «كتبْتُ إلى أبي إبراهيم عليه السلام، أسأله عن شيء من التوحيد؟».

فكتب إليّ بخطه: الحمد لله المُلهم عباده حمده (وذكرَ مثل ما رواه سهل بن زياد إلى قوله: وقمّع وجوده حوائل الأوهام.. ثم زاد فيه:)^(٢) أول

(١) التوحيد ص ٧٦.

(٢) روى سهل بن زياد، عن جماعة، عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: عجباً لأقوام يدعون على أمير المؤمنين عليه السلام ما لم يتكلم به قطاً. خطب أمير المؤمنين الناس بالكوفة فقال: الحمد لله المُلهم عباده حمده، وفاطرهم على معرفة ربوبيته، الدال على وجوده بخلقه، =

الديانة به معرفته، وكمال معرفته توحيدُه، وكمال توحيدِه نفي الصفات عنه،
 بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنه غير الصفة،
 وشهادتهما جميعاً بالتثنية الممتنع منه الأزل - وورد: الممتنع من الأزل - .
 فَمَنْ وصفَ اللهَ فقد حُدَّه، ومَنْ حُدَّه فقد عدَّه، ومَنْ عدَّه فقد أبطلَ أزلَه،
 ومَنْ قال: كيف؟ فقد استوصفه، ومَنْ قال: فيم؟ فقد ضمَّه، ومَنْ قال:
 علام؟ فقد جهله، ومَنْ قال: أين؟ فقد أخلى منه، ومَنْ قال: ما هو؟
 فقد نعتَه، ومَنْ قال: إلام؟ فقد غاياه؛ عالمٌ إذ لا معلوم، وخالقٌ إذ لا
 مخلوق، وربٌّ إذ لا مربوب، وكذلك يوصفُ ربُّنا، وفوق ما يصفُه
 الواصفون^(١).

وهذا لعمري من أبلغ ما يُقال، كجوابٍ على ذلك السؤال، ومَنْ جرَّب
 التعليقَ عليه لإيضاحه يُفقدُه بلاغته وروعته.



وقال يونس بن عبد الرحمان يوماً لموسى بن جعفر عليه السلام: أين كان
 ربُّك حين لا سماء مبنية، ولا أرض مدججة؟^{١٢}

قال: كان نوراً في نور، ونوراً على نور، وخلق من ذلك النور ماءً
 مُنكبِراً، فخلق من ذلك الماء ظلمةً، فكان عرشه على تلك الظلمة.

قال: أنا سألتك عن المكان.

ويُحدوث خلقه على أزلِه، وباشتباهِهم على أن لا شبيه له، المستشهد بآياته على قدرته،
 الممتنع في الصفات ذاته، ومن الأبصار رؤيته، ومن الأوهام الإحاطة به؛ لا أمَد لِكَونه، ولا
 غاية - أي نهاية - لبقائه، لا تشملُه المشاعر، ولا تحجبُه الحُجب، والحجابُ بينه وبين خلقه
 خلقه إياهم، لا متناجيه عما يُمكن في ذواتهم... (وذلك في الكافي م ١ ص ١٣٩ - ١٤٠ في
 حديث طويل).

(١) الكافي م ١ ص ١٤٠ - ١٤١.

قال [عليه السلام]: كَلِّمًا قَلْتُ: أَيْنَ؟. فَأَيْنَ، هُوَ الْمَكَانُ.

قال: وَصَفْتَ فَأَجِدُتَ، إِنَّمَا سَأَلْتُكَ عَنِ الْمَكَانِ الْمَوْجُودِ وَالْمَعْرُوفِ.

قال: كَانَ فِي عِلْمِهِ لِعِلْمِهِ، فَقَصُرَ عِلْمُ الْعُلَمَاءِ عَنِ عِلْمِهِ.

قال: إِنَّمَا سَأَلْتُكَ عَنِ الْمَكَانِ.

قال: يَا لَكِعْ، أَلَيْسَ قَدْ أَجَبْتُكَ أَنَّهُ كَانَ فِي عِلْمِهِ لِعِلْمِهِ، فَقَصُرَ عِلْمُ

الْعُلَمَاءِ عَنِ عِلْمِهِ؟^(١).

وَخَيْرُ جَوَابٍ لِلْمُجَادِكِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: يَا لَكِعْ. فَإِنَّهُ سَبَحَانَهُ هُوَ خَالِقُ

الْمَكَانِ وَمَا فِي الْمَكَانِ، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْكُونَ وَالْمَكَانِ، وَلَا تُحِيطُ عَقُولُنَا

بِكَيْفِ كَانَ.

وقال الحسن بن راشد: «سُئِلَ أَبُو الْحَسَنِ، مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ مَعْنَى

قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْمَرْثَى اسْتَوَى﴾^(٢).

فَقَالَ: اسْتَوَى عَلَى مَا دَقَّ وَجَلَّ^(٣).

وورد هذا الخبر في مصدر آخر هكذا عن الحسن بن راشد:

«سَأَلْتُ عَنْ مَعْنَى اللَّهِ؟»

قال: اسْتَوَى عَلَى مَا دَقَّ وَجَلَّ^(٣).

(١) الاختصاص ص ٦٠.

(٢) الاحتجاج ج ٢ ص ٢٨٦ والكافي ١ ص ١١٤ - ١١٥ مع تصحيح المجلسي رحمه الله. والآية الكريمة في سورة طه: ٥ والحسن بن راشد عنه الشيخ في رجاله ص ٢٦٧ من أصحاب الصادق عليه السلام، وأنه كوفي، وفي أصحاب الكاظم عليه السلام ص ٣٤٦ باسم الحسين بن راشد، وأنه بغدادى.

(٣) التوحيد ص ٢٣٠ ومعاني الأخبار ص ٤.

والتفسير السابق ينطبق على معنى الاستواء على العرش، لأنه الاستيلاء، وهذا التفسير ينطبق على معنى لفظة الجلالة، فإن (الله) مشتق من لفظ الإله، وهو يعني من له ملك التأثير والتصرف، ويكون غيره مألوماً له.

وروى عبد الأعلى، عن العبد الصالح، موسى بن جعفر عليه السلام، أنه قال:

«إن الله لا إله إلا هو - كان حياً بلا كيف ولا أين، ولا كان في شيء، ولا كان على شيء، ولا ابتدئ لمكانه مكاناً^(١)، ولا قوياً بعدما كَوَّن الأشياء، ولا يُشبهه شيء يكون، ولا كان خلواً من القدرة على الملك قبل إنشائه، ولا يكون خلواً من القدرة بعد ذهابه؛ كان عز وجل إلهاً، حياً بلا حياة حادثة، ملكاً قبل أن يُنشئ شيئاً، ومالكاً بعد إنشائه. وليس لله حد، ولا يُعرف بشيء يُشبهه، ولا يهرم للبقاء، ولا يصعق لدعوة شيء - أي لا يُخيفه أمر - ويخوفه تصعق الأشياء كلها.

وكان الله حياً بلا حياة حادثة، ولا كون موصوف، ولا كيف محدود، ولا أين موقوف، ولا مكان - أي مستقر - بل حي لنفسه، ومالك لم يزل له القدرة، أنشأ ما شاء حين شاء بمشيئته وقدرته.

وكان أولاً بلا كيف، ويكون آخراً بلا أين. كل شيء هالك إلا وجهه، له الخلق والأمر، تبارك رب العالمين^(٢).

(١) أي لم يبتدع لعظمته مكاناً إذ لا تحيط به الأماكن.

(٢) التوحيد ص ١٤١ - ١٤٢.

قال محمد بن الفضيل: «سألت أبا الحسن عليه السلام: هل رأى رسول الله ﷺ ربّه عز وجل؟»

فقال: نعم، بقلبه رآه؛ أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾^(١) أي لم يره بالبصر، ولكن رآه بالفؤاد^(٢).

فلم ير النبي ﷺ كائناً حادثاً، ولا موجوداً محدوداً مائلاً، بل شعر بعظمة ربّه عز وجل.

وقال يونس بن عبد الرحمان: «قلت لأبي الحسن، موسى بن جعفر عليه السلام: لأي علة عرج الله نبيه ﷺ إلى السماء، ومنها إلى سدرّة المنتهى، ومنها إلى حجب النور، وخاطبة وناجاة هناك، والله لا يوصف بمكان؟»

فقال: إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان، ولا يجري عليه زمان، ولكنه عز وجل أراد أن يشرف به - أي بالنبي ﷺ - ملائكته وسكّان سماواته، ويكرمهم بمشاهدته، ويريه من عجائب عظّمته ما يخبر به بعد هبوطه. وليس ذلك على ما يقول المشبهون، سبحانه الله وتعالى عما يُشركون^(٣).

وبالموضوع قال يعقوب بن جعفر الجعفري: «سأل رجل يقال له عبد الغفار السمي، أبا إبراهيم، موسى بن جعفر عليه السلام، عن قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾^(٤) فكان قاب قوسين أو أدنى^(٤)؟ قال: أرى هاهنا

(١) سورة النجم: ١١.

(٢) التوحيد ص ١١٦.

(٣) التوحيد ص ١٧٥.

(٤) سورة النجم: ٨ - ٩.

خروجاً من حُجُبٍ، وتَدَلِّيًّا إلى الأرض. وأرى محمداً رأى ربه بقلبه ونَسَبَهُ إلى بصره. فكيف هذا؟^(١)

فقال أبو إبراهيم: دنا فتدلى، فإنه لم يزل عن موضعٍ، ولم يتدلَّ بِبَدَنٍ.

فقال عبد الغفار: أصفه بما وصف نفسه حيث قال: ﴿دَنَا فَتَدَلَّى﴾ فلم يتدلَّ عن مجلسه إلا وقد زال عنه، ولولا ذلك لم يصف بذلك نفسه.

فقال أبو إبراهيم عليه السلام: إن هذه لغة في قریش، إذا أراد أحدٌ منهم أن يقول: قد سمعتُ، يقول: قد تدلّيت، وإنما التدلّي الفهم^(١).

فقد جلَّ سبحانه عن التدلّي من مكانٍ إلى مكانٍ، أو التحرك من جهة إلى جهة، ولا كان تدلّيه كما زعم عبد الغفار، خروجاً من حُجُبِ عظمته وإطلالاً على السماوات والأرض ومن فيهن.

وعن يعقوب بن جعفر الجعفری، عن أبي إبراهيم عليه السلام، قال:

«ذُكِرَ عنده قومٌ يزعمون أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا، فقال:

إن الله لا ينزل ولا يحتاج إلى أن ينزل؛ إنما منظره - أي نظره وعلمه وإحاطته - في القرب والبعد سواء. فلم يبعد منه بعيدٌ، ولا يقرب منه قريبٌ، ولم يحتج إلى شيء بل يحتاج إليه كلُّ شيء. وهو ذو الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

أما قولُ الواصفين أنه ينزل، فتبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. إنما

(١) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٨٦.

يقول ذلك مَنْ ينسبه إلى نقص أو زيادة، وكلُّ متحركٍ يحتاج إلى من يحركه أو يتحرك به. فَمَنْ ظَنُّ بِاللَّهِ الظُّنُونَ هلك! . فاحذروا من صفاته أن تَقْفُوا له عند حدِّ تحدُّونه بنقص أو زيادة، أو تحريك أو تحرك، أو زوال أو استئزال، أو نُهوض أو قعود، فَإِنَّ اللَّهَ جَلُّ وَعِزُّ عن صفة الواصفين أو نعتِ الناعيتين، وتوهم المتوهمين ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ الَّذِي يَرِنُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿وَتَقَلِّبَكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ (١).

والتعليق على هذا القول يُفسد بلاغته، وشرحه يُبعد عن معناه ويشوهُ مبناه ويجلب إليه الركاكة.

قال صفوان بن يحيى:

«قلت لأبي الحسن عليه السلام: أخبرني عن الإرادة، من الله ومن المخلوق؟»

فقال: الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل.

وأما من الله عز وجل فإرادته إحدائه، لا غير ذلك. لأنه لا يُروى ولا يهَمُّ ولا يتفكر. وهذه الصفات منفية عنه، وهي من صفات الخلق. فإرادة الله هي الفعل لا غير ذلك، يقول له: كُنْ، فيكون، بلا لفظ، ولا نطق لسان، ولا همة ولا تفكير، ولا كيف لذلك كما أنه بلا كيف (٢).

والمراد بالضمير عند المخلوق، هو ما يحدث في قلبه بين تصور الفعل ووقوع الفعل. وأما عند الله سبحانه وتعالى فليس بين علمه وفعله

(١) الكافي م ١ ص ١٢٥ والاحتجاج ج ٢ ص ٣٨٦ والتوحيد ص ٧٦ والآية الكريمة في سورة الشعراء: ٢١٧-٢١٩.

(٢) التوحيد ص ١٤٧.

تصوّر ولا تفكّر ولا همّة حتى يحدث الفعل . وليس بين إرادته وتكوينه إلا :
كُنْ، فيكون . ولقد أجاب الإمام عليه السلام سائله على مسأله بأخصر بيان
وأوضح برهان .

ونقل زكريا بن عمران أنه عليه السلام قال :

«لا يكون شيء في السماوات ولا في الأرض إلا بسبب قضاء،
وقدر، وإرادة، ومشية، وكتاب، وأجل، وإذن . فمن زعم غير هذا فقد
كذب على الله، أورد على الله عز وجل»^(١) .

وقال علي بن إبراهيم الهاشمي : «سمعت أبا الحسن، موسى بن
جعفر عليه السلام يقول :

لا يكون شيء إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى .



قلت : ما معنى شاء ؟ .

قال : ابتداء الفعل .

قلت : ما معنى قدر ؟ تحت كسرة طير علوم رسول

قال : تقدير الشيء من طوله وعرضه .

قلت : ما معنى قضى ؟ .

قال : إذا قضى أمضاء . فذلك الذي لا مرد له^(٢) .

ولا يخفى أن في أفعالنا الاختيارية مشيئة، وتقديراً، وقضاءً . لأن
المشيئة والإرادة هما المعنى الذي لا بد في الفعل الاختياري من تحققه في
نفس الفاعل مناً، بعد العلم وقبل الفعل . وهذا المعنى من حيث ارتباطه

(١) الكافي ١م ص ١٥٠ .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

بالفعل يسمّى مشيئةً به . ومن حيث ارتباطه بالفعل يسمّى إرادة . والتقديرُ تعيينُ مقدار الفعل من حيث تعلق المشيئة به . والقضاء هو الحُكْمُ الأخيرُ الذي لا واسطةَ بينه وبين الفعل .

وروي عن الحسن بن علي بن محمد العسكري عليه السلام ، أن أبا الحسن ، موسى بن جعفر عليه السلام ، قال :

«إنَّ اللهَ خلقَ الخلقَ فَعَلِمَ ما هم إليه صائرون . وأمرهم ، ونهاهم ؛ فما أمرهم به من شيءٍ فقد جعل لهم السبيلَ إلى الأخذ به ، وما نهاهم عنه من شيءٍ فقد جعل السبيلَ إلى تركه . ولا يكونون آخذين ، ولا تاركين ، إلا بإذنه . وما جبرَ اللهَ أحداً من خلقه على معصيته ، بل اختبرهم بالبلوى ، وكما قال : ﴿ يَسْبُلُوْكُمْ أَجْمَعِينَ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾^(١) .

وقوله : ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بإذنه ، يعني : بعلمه وبتخليّة منه وتركه للاختيار لهم بالأخذ أو الترك . فلاذنه هنا لا يعني أمره مطلقاً .

وقد قال يونس بن عبد الرحمان رحمته الله : سورة هود

«قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام : بِمَ أَوْحَدُ اللهُ ؟ .

فقال : يا يونس ، لا تكوننّ مُبتدعاً . من نظرَ برأيه هلك ومن تركَ أهلَ بيتِ نبيّه عليه السلام ضلّ ، ومن تركَ كتابَ اللهِ وقولَ نبيّه كفر»^(٢) .

فاجعلنا اللهم من المؤمنين بك وبنبيك وبما جاء به من عندك ، ومن المتمسكين بولاية أهل بيته الطاهرين المعصومين ، إنك أنت أكرم الأكرمين .

(١) سورة هود: ٧ . وانظر الكافي م ١ ص ٥٦ .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

من فلسفته.. .. وعلمه عليه السلام

قال عليه السلام :

● ينبغي لِمَنْ عقلَ عن الله، أن لا يَسْتَبطِئَه في رزقه، ولا يَتَّهمه في قضاة.

● سئل عن اليقين، فقال عليه السلام : يتوكل على الله، ويُسلم لله، ويرضى بقضاء الله، ويقوِّض إلى الله.

● قال عبد الله بن يحيى : كتبت إليه في دعاء : الحمد لله مُنتهى علمه، فكتب عليه السلام : لا تقولنُ منتهى علمه، ولكن قل : مُنتهى رضاه.

● وسأله رجلٌ عن الجواد، فقال عليه السلام : إن لكلامك وجهين : فإن كنت تسأل عن المخلوقين، فإن الجوادَ الذي يؤدي ما افترضَ الله عليه، والبخيل من يبخل بما افترضَ الله . وإن كنتَ تعني الخالق، فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منَعَ، لأنه إن أعطاك أعطاك ما ليس لك، وإن منَعك منَعك ما ليس لك^(١).

(١) انظر الاختصاص ص ٢٢ نقلاً عن تحف العقول ص ١٠٨ وانظر أيضاً الأنوار البهية ص ١٥٧.

● وقال له وكيله: واللّه ما خُنتك. فقال عليه السلام له: خيانتك، وتضييعك عليّ مالي سواه، والخيانة شرهما عليك.

● قال عليه السلام: إياك أن تمنع في طاعة الله، فتُنْفِقَ مثليه في معصية الله.

● المؤمن مثل كفتي الميزان، كلما زيد في إيمانه، زيد في بلائه.

● وقال عليه السلام على قبر حضره: إن شيئاً هذا آخره خليق أن يزهد في أوله. وإن شيئاً هذا أوله لخليق أن يخاف آخره^(١).

● وقال عليه السلام: من تكلم في الله هلك، ومن طلب الرسالة هلك، ومن دخله العُجب هلك.

● وقال عليه السلام: اشتدت مؤونة الدنيا والدين. فأما مؤونة الدنيا فإنك لا تمُدُّ يدك إلى شيءٍ منها إلا وجدتَ فاجراً قد سبقك إليه، وأما مؤونة الآخرة فإنك لا تجد أعواناً يُعينونك عليها^(٢).

● وقال عليه السلام: أربعة من الوسواس: أكلُ الطين، وفَتْ الطين - أي سحقه بين الأصابع - وتقليمُ الأظافر بالأسنان، وأكلُ اللحية. وثلاث يجلين البصر: النظرُ إلى الحُضرة، والنظرُ إلى الماءِ الجاري، والنظرُ إلى الوجه الحسن.

● ليس حُسْنُ الجوارِ كَفُّ الأذى، ولكنَّ حَسْنَ الجوارِ الصبرُ على الأذى.

(١) الأنوار البهية ص ١٥٧ ومعاني الأخبار ص ٣٤٣.

(٢) الأنوار البهية ص ١٥٧ هي وما قبلها.

● لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك، وأبق منها، فإن ذهابها ذهاب الحياء.

● قال عليه السلام لبعض ولده: يا بني، إياك أن يراك الله في معصية نهاك عنها، وإياك أن يفقدك الله في طاعة أمرك بها. وعليك بالجد، ولا تخرجن نفسك من التقصير في عبادة الله وطاعته، فإن الله لا يعبد حقَّ عبادته. وإياك والمزاح فإنه يذهب بنور إيمانك ويستخفُّ مروءتك. وإياك والضجر والكسل، فإنهما يمنعان حظك من الدنيا والآخرة.

● وقال عليه السلام: ليس الثبلة على الفم إلا للزوجة والولد الصغير.

● وقال عليه السلام: اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان والثقات الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم. وبهذه الساعة تقدر على الثلاث ساعات. لا تحدثوا أنفسكم بفقر ولا بطول عمر، فإنه من حدث نفسه بالفقر بخل، ومن حدث بطول العمر يحرص. . . إجعلوا لأنفسكم حقاً من الدنيا بإعطائها ما تشتهي من الحلال وما لا يثلم المروءة ومالا سرف فيه، واستعينوا بذلك على أمور الدين، فإنه روي: ليس من آمن ترك دنياه لدينه، أو ترك دينه لدنياه.

● وقال عليه السلام: إذا كان الجور أغلب من الحق، لم يحل لأحد أن يظن بأحد خيراً حتى يعرف ذلك منه.

● تفقهوا في دين الله، فإن الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرفيعة والرُتب الجليلة في الدين والدنيا. وفضل الفقيه على العابد. كفضل الشمس على الكواكب. . . ومن لم يتفقه في دينه، لم يرض الله له عملاً.

● وقال عليه السلام لعلي بن يقطين: كفارة عمل السلطان، الإحسان إلى الإخوان.

● كلما أحدث الناس من الذنوب ما لم يكونوا يعملون، أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعلمون! (١).

●

● إذا كان الإمام عادلاً كان له الأجرُ وعليك الشكر، وإذا كان جائراً كان عليه الوزرُ وعليك الصبر.

● قال له أبو أحمد الخراساني: الكفرُ أقدمُ أم الشركُ؟

فقال عليه السلام: ما لك ولهذا؟ ما عهدي بك تكلم الناس.

قال: أمرني هشام بن الحكم أن أسألك.

فقال: قل له: الكفرُ أقدم. أولُ من كفرَ إبليس ﴿أَبَى وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢) والكفرُ شيءٌ واحدٌ، والشركُ يُشْبِثُ واحداً ويشرك معه غيره.

● ورأى رجلين يتسابان فقال عليه السلام: البادىءُ أظلمُ، ووزرُهُ ووزرُ صاحبه عليه ما لم يعتدِ المظلوم.

● وقال عليه السلام: ينادي مُنادٍ يومَ القيامة: ألا من كان له على الله أجرٌ فليُتَمِّمْ. فلا يقوم إلا من عفا وأصلح، فأجره على الله.

● السخِيُّ الحَسَنُ الخُلُقِ في كَتَفِ اللَّهِ. لا يتخلى الله عنه حتى يدخله الجنة. وما بعث الله نبياً إلا سخياً، وما زال أبي يوصيني بالسخاء وحسن الخلق حتى مضى.

(١) الأنوار البهية ص ١٥٨.

(٢) سورة البقرة: ٣٤.

● وقال عليه السلام لأحد أصحابه: أبلغ خيراً، وقل خيراً، ولا تكن إمعة.

قال: وما الإمعة؟

قال: لا تقل: أنا مع الناس، وأنا كواحد من الناس؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا أيها الناس إنما هما نجدان - أي طريقان - : نجدٌ خير، ونجدٌ شرٌّ. فلا يكن نجدُ الشر أحبَّ إليكم من نجدِ الخير.

● وقال عليه السلام: لا تصلح المسألة إلا في ثلاثة: في دم منقطع، أو غرمٍ مثقل، أو حاجةٍ مُدقعة.

● تَعَجَّبُ الجاهل من العاقل، أكثر من تَعَجَّبِ العاقل من الجاهل^(١).

● المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان.

● يعرف شدة الجور من حُكم به عليه^(٢).

● صلاة النوافل قربانٌ إلى الله لكل مؤمن، والحجُّ جهادٌ كل ضعيف. ولكل شيء زكاة، وزكاة الجسد [الصيام وقيام] النوافل.

● أفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج.

● من دعا قبل الشاء على الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، كان كمن رمى بسهم بلا وتر.

● من أيقن بالخلف جاداً بالعطية وإن امرؤ اقتصد.

● التدبير نصف العيش.

● التودد إلى الناس نصف العقل.

(١) تجد كل ما سبق في تحف العقول من ص ٣٠١ إلى ص ٣٠٥.

(٢) الأنوار البهية ص ١٥٨.

- كثرة الهم يورث الهرم .
- العجلة هي الخرق .
- قلة العيال أحد اليسارين .
- من أحزن والديه فقد عقهما .
- من ضرب بيده على فخذه، أو ضرب بيده الواحدة على الأخرى عند المصيبة فقد حبط أجره .
- المصيبة لا تكون مصيبةً يستوجب صاحبها أجرها إلا بالصبر والاسترجاع عند الصدمة .
- الصنعة لا تكون صنعة إلا عند ذي دين أو حسب .
- من اقتصد وقنع بقيت عليه النعمة، ومن بذر وأسرف زالت عنه النعمة .
- أداء الأمانة، والصدق، يجلبان الرزق، والخيانة والكذب يجلبان الفقر والتفاق .
- الصنعة لا تتم صنعة عند المؤمن لصاحبها إلا بثلاثة أشياء: تصغيرها، وسترها، وتعجيلها . فمن صغر الصنعة عند المؤمن فقد عظم أخاه، ومن عظم الصنعة عنده فقد صغر أخاه . ومن كتم ما أولاه من صنعة فقد كرم فعاله، ومن عجل ما وعد فقد هنىء العطية^(١) .

سئل ~~عليه السلام~~ عن حد الإناء، فقال:

حدّه أن لا تشرب من موضع كسير إن كان به . فإنه مجلس الشيطان فإذا

(١) كل ما سبق موجود في تحف العقول ص ٢٩٧ .

شربت سميت، فإذا فرغت حمدت الله^(١).

وقال عليه السلام: إنما ينزل المعونة على القوم، على قدر مؤونتهم. وإن الضيف لينزل بالقوم فينزل رزقه معه في حجره^(٢).

وقال عليه السلام: واللّه ينزل المعونة على قدر المؤونة، وينزل الصبر على قدر المصيبة... وإذا أراد الله بالثملة شراً أنبت لها جناحين، فطارت، فأكلها الطير^(٣).

وقال عليه السلام: أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلا به. وأوجب العمل عليك ما أنت مسؤول عن العمل به. وألزم العلم لك ما ذلك على صلاح قلبك وأظهر لك فسادَه. وأحمد العلم عاقبة ما زاد في علمك العاجل. فلا تشغلن بعلم ما لا يضرّك جهله، ولا تغفلن عن علم ما يزيد في جهلك تركه^(٤).

● قال علي بن سويد المدني: سألتُه عن العُجب الذي يُفسد العمل، فقال:

ألعُجبُ درجات: منها أن يُزيّن للعبد سوءَ عمله فيراه حسناً، فيعجبه ويحسب أنه يُحسِنُ صنْعاً. ومنها أن يؤمن العبدُ بربه، فيمنُّ على الله تبارك وتعالى، ولله تعالى عليه فيه المَن^(٥).

(١) المحجة البيضاء ج ٤ ص ١٦ عن الكافي ص ١٧٤.

(٢) المحجة البيضاء ج ٣ ص ٣٣ نقلاً عن الكافي ص ٢٨٤.

(٣) الأنوار البهية ص ١٥٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) معاني الأخبار ص ١٤٣ - ١٤٤.

وسمع رجلاً يتمنى الموت فقال له :

هل بينك وبين الله قرابة يُحاييك لها - أي يسامحك ويتساهل معك - .

قال : لا .

قال : فهل لك حسنات قلعتها تزيد على سيئاتك ؟ .

قال : لا .

قال : فأنت تتمنى هلاك الأبداء^(١) .



وقال عليه السلام : من استوى يومه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون، ومن لم يعرف الزيادة في نفسه فهو في النقصان، ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة^(٢) .

وروي أنه قال : إتخذوا القيان فإن لهن فطناً وعقولاً ليست لكثير من النساء^(٣) .

- وتلفت النظر أن كل عبدٍ وخدامٍ فهو عند العرب قَيْنٌ، والأمة قَيْنَةٌ . وبعضُ الناس يظنُّ أن المغنيَّةُ خاصةٌ هي قَيْنَةٌ، وليس هو كذلك في اللغة . فكأنه عليه السلام يحثُّ الناس على التزوُّج بأُمَّهاتِ الأولاد، لأنَّ النِّجابَةَ والفصاحةَ تظهران في أولاد الإمامِ غالباً .



عن ابن حمدون في تذاكرته :

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

قال موسى بن جعفر عليه السلام : وجدتُ علّمَ الناس في أربع :
أولها أن تعرف ربك ؟ .

والثانية أن تعرف ما صنع بك .

والثالثة أن تعرف ما أراد منك .

والرابعة أن تعرف ما يُخرجك من دينك .

معنى هذه الأربع :

الأولى وجدتُ معرفة الله تعالى التي هي اللطف .

الثانية معرفة ما صنع بك من النعم التي يتعين عليك لأجلها الشكرُ
والعبادة .

الثالثة أن تعرف ما أراده منك فيما أوجبه عليك وندبك إلى فعله ،
لتفعله على الحد الذي أراده منك ، فتستحق بذلك الثواب .

الرابعة أن تعرف الشيء الذي يُخرجك من طاعة الله فتجتنبه^(١) .



روى إسماعيل ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن أبيه ، عن جدّه عليّ بن
الحسين ، عن أبيه ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : نظرُ الولد إلى والديه حُبًّا لهما عبادة^(٢) .

لاوعنه ، عن آباءه عليهم السلام :

قال الحسين : جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام يسعى بقوم - أي ينمُّ

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٤٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٨ .

عليهم - فأمرني أن دعوتُ له قنبراً - الخادم - فقال له عليٌّ عليه السلام :
أخرج إلى هذا الساعي - المُفسد - فقل له : قد أسمعنا ما كره الله
تعالى ، فأنصرف في غير حفظ الله تعالى ^(١) .

ولو أن كلَّ إنسانٍ أتبع سيرةَ هذا الإمام العظيم عليه السلام ، وطرَدَ المُفسِدَ
ولم يسمع له وحقَّره وصغَّره في عين نفسه ، لكُنَّا وقفنا بوجه النميمة وخطْمنا
المفسدين من بين الناس وأميرُ المؤمنين عليه السلام هو معلِّمنا ، وهادينا إلى
طُرق الخير بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ومنقذنا من سلوك سبُل الشيطان المؤدية
إلى الهلاك .

قال محمد بن حكيم : «قلتُ لأبي الحسن ، موسى عليه السلام : جعلت
فِداك ، فقَّهنا في الدين ، وأغنانا الله بكم عن الناس ، حتى أن الجماعة منَّا
لتكون في المجلس ما يسأل رجلٌ صاحبه تحضره المسألة ويحضره جوابها
فيما منَّ الله علينا بكم . فربَّما وردَ علينا شيءٌ لم يأتنا فيه عنك ولا عن آبائك
شيءٌ ، فننظر إلى أحسن ما يحضرنا ، وأوفق الأشياء لِمَا جاءنا عنكم فتأخذ
به ؟» .

فقال : هيهات هيهات في ذلك !؟ . والله هلك من هلك يابن حكيم . .
لعنَ الله [من] يقول : قال عليٌّ ، وقلتُ ^(٢) .

وسأل عليُّ بن جعفر أخاه عليه السلام عن المُحرَّم إذا اضطرَّ إلى أكل الصيد
أو الميتة ؟ .

فقال : يأكل الصيد .

(١) المصدر السابق ص ٤١٢ .

(٢) الكافي م ١ ص ٥٦ .

قلت: إن الله عز وجل حرم الصيد، وأحل له الميتة.

فقال عليه السلام: يأكل الصيد ويقديه، فإنما يأكل من ماله.

وقال علي بن جعفر: وسألته عن رمي الجمار، ولم يجعل؟.

قال: لأن إبليس اللعين كان يترأى لإبراهيم عليه السلام في موضع الجمار، فرجمه إبراهيم عليه السلام، فجرت العادة بذلك^(١).

فلكل حكم عند الإمام عليه السلام حيلة يستند إليها فتظهر صدقه وصحته، فلا يمكن لأحد من الناس أن يرد حكماً يصدر عنه لأن حكمه حكم الله تعالى.



وقال عليه السلام: «لعن رسول الله ﷺ ثلاثة: الأكل زاده وحده، والنائم في بيت وحده، والراكب في الفلاة وحده»^(٢).

● من خرج في سفر وحده فليقل: ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله. اللهم آتس وحشتي، وأعني في وحدتي، وأدغيبني^(٣).

● في وصية رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: لا تخرج في سفر وحدك، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد.

يا علي، إن الرجل إذا سافر وحده فهو غاوي، والاثنان غاويان، والثلاثة نقر^(٤).

وقال عليه السلام: «أنا ضامن لمن خرج يريد سفرًا مُعْتَمًا تحت خنك»

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٤.

(٢) المحجة البيضاء ج ٣ بين الصفحة ٦٠ والصفحة ٦٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

ثلاثاً، أن لا يُصيّبه السرقة، والغرق، والحرق»^(١).

والجمع بين هذه الأقوال الكريمة يدلُّ صراحةً على كراهية السفر وحيداً، لما في ذلك من تعرُّضٍ للأخطار والمفاجآت التي لا تُنقذ منها، ولا مُساعدٍ عليها.

قال ﷺ: «قال رسول الله ﷺ:

تَحَلَّلُوا، فَإِنْ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ أَنْ يَرَوْا فِي أَسْنَانِ الْعَبْدِ طَعَاماً»^(٢).

وهذا أمرٌ صحيٌّ، فإنَّ عدم تنظيف الأسنان يُفسد رائحة الفم، ويعرِّض الأسنان للتسوس والتلف، فضلاً عما ذكره النبي ﷺ.

وقال ﷺ: «نهى رسول الله ﷺ عن طعامٍ وليمةٍ يُخصُّ بها الأغنياء ويترك الفقراء»^(٣).

وعنه أيضاً، عن أبيه، عن جده ﷺ، قال:

إِنَّ فِيمَا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيّاً ﷺ، قَالَ:

يَا عَلِيُّ، لَا تُجَامِعْ أَهْلَكَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنَ الْهَلَالِ، وَلَا فِي لَيْلَةِ النُّصْفِ، وَلَا فِي آخِرِ لَيْلَةٍ، فَإِنَّهُ يَتَخَوَّفُ عَلَى وُلْدِهِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ الْخَبْلُ. - أَيِ الْجَنُونَ -.

فَقَالَ عَلِيُّ ﷺ: وَلِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

(١) المصدر السابق ص ٧٤ نقلًا عن مكارم الأخلاق ص ٢٨١.

(٢) المصدر السابق ص ١٨ عن مكارم الأخلاق ص ١٧٦.

(٣) المحجة البيضاء ج ٣ ص ٣٧ وص ٩٦.

فقال: إن الجنَّ يكثرُونَ غشيانَ نساءهم في أول ليلةٍ من الهلال، وليلة النُصف، وفي آخر ليلة. أمّا رأيتَ المجنونَ يُصرع في أول الشهر، وفي وسطه، وفي آخره؟»^(١).

وعنه عليه السلام أيضاً: «مَن أتى أهله في محاق الشهر، فليسلم السقط الولد»^(٢).

وقال عليه السلام: «إنَّ العقيقةَ واجبة»^(٣).

وقال إسحاق بن عمار: «سألتُ أبا الحسن عليه السلام عن العقيقة على الموسر والمُعسر؟»

فقال: ليس على من لا يجد، شيء»^(٤).

أي ليس شيءٌ واجباً على من لا يجد ما يُنفقه.

وقال عليه السلام: «جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ما حقُّ ابني هذا؟»

قال: تُحسِنُ اسمَهُ، وأدبُهُ، ووضَعُهُ موضعاً حسناً»^(٥).

وصلواتُ الله وسلامُهُ على من أوتيَ جوامعَ الكَلِم، فاختصرَ واجبَ الأب نحو ابنه بثلاث مراحلٍ قد يتفرَّع على كلِّ منها ثلاثٌ وثلاثٌ وثلاثٌ.

(١) المصدر السابق ص ١١١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ص ١٢٤ وص ١٢٥ نقلاً عن الكافي.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق ص ٤٤٣ نقلاً عن الكافي.

سأل هشامُ بنُ الحكمِ موسى بنَ جعفرٍ عليه السلام؛ لأيِّ عِلَّةٍ صارَ التكبيرُ في الافتتاحِ سبعَ تكبيراتٍ، ولأيِّ عِلَّةٍ يقالُ في الركوعِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وبِحَمْدِهِ، وفي السجودِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وبِحَمْدِهِ؟.

قالَ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ سَبْعاً، وَالْأَرْضَيْنِ سَبْعاً؛ فَلَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَصَارَ مِنْ مَلَكُوتِ الْأَرْضِ كَقَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، رَفَعَ لَهُ جِجَاباً مِنْ حُجْبِهِ فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ وَجَعَلَ يَقُولُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَقَالُ فِي الْإِفْتِتَاحِ.

فَلَمَّا رَفَعَ لَهُ الثَّانِيَ كَبَّرَ.

فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى رَفَعَ سَبْعَةَ حُجُبٍ، وَكَبَّرَ سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ. فَلِذَلِكَ - فَلْتلكِ - الْعِلَّةُ يَكْبَرُ فِي الْإِفْتِتَاحِ سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ.

فَلَمَّا ذَكَرَ مَا رَأَى مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ ارْتَعَدَتْ فَرَائِضُهُ، فَابْتَرَكَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَأَخَذَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ.

فَلَمَّا اهْتَدَلَ مِنْ رُكُوعِهِ قَائِماً، نَظَرَ إِلَى تِلْكَ الْعَظَمَةِ فِي مَوْضِعِ أَعْلَى مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، فَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ.

فَلَمَّا قَالَهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ، سَكَنَ ذَلِكَ الرَّعْبُ، فَلِذَلِكَ جَرَتْ بِهِ السَّنَةُ ^(١).

وَرَوَى حَمَادُ بْنُ عَيْسَى، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْهُ عليه السلام، قَالَ:

«الْحُمْسُ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: مِنَ الْغَنَائِمِ، وَالْفُؤُصِ، وَمِنَ الْكُنُوزِ، وَمِنَ الْمَعَادِنِ، وَالْمَلَّاحَةِ - مِنْبِتِ الْمَلْحِ -، يُؤْخَذُ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الصَّنُوفِ الْحُمْسُ

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٤-٣١٥.

فِيُجْعَلُ لِمَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ، وَيُقَسَّمُ الْأَرْبَعَةُ الْأَخْمَاسُ بَيْنَ مَنْ قَاتَلَ عَلَيْهِ
- يعني في الغنائم - وَوَلِيَّ ذَلِكَ .

وَيُقَسَّمُ بَيْنَهُمُ الْخُمْسُ عَلَى سِتَّةِ أَصْهُمٍ : سَهْمٌ لِلَّهِ، وَسَهْمٌ لِرَسُولِ اللَّهِ،
وَسَهْمٌ لِلذَّوِيِّ الْقَرْبِيِّ، وَسَهْمٌ لِلْيَتَامَى، وَسَهْمٌ لِلْمَسَاكِينِ، وَسَهْمٌ لِأَبْنَاءِ
السَّبِيلِ .

فَسَهْمُ اللَّهِ، وَسَهْمُ رَسُولِ اللَّهِ، لِأَوْلِي الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَرِثَةٌ؛ فَهِيَ ثَلَاثَةُ أَصْهُمٍ : سَهْمَانِ وَرِثَةٌ - يعني من رسول الله ﷺ - وَسَهْمٌ
مَقْسُومٌ لَهُ مِنَ اللَّهِ - هُوَ سَهْمُ ذِي الْقَرْبَى - وَلَهُ نِصْفُ الْخُمْسِ كَمَلًّا .

وَنِصْفُ الْخُمْسِ الْبَاقِي بَيْنَ أَهْلِ بَيْتِهِ : فَسَهْمٌ لِيَتَامَاهُمْ، وَسَهْمٌ
لِمَسَاكِينِهِمْ، وَسَهْمٌ لِأَبْنَاءِ سَبِيلِهِمْ، يُقَسَّمُ بَيْنَهُمْ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ - وَقِيلَ
وَالسُّعَةِ - مَا يَسْتَفْتُونَ بِهِ فِي سَتِّيهِمْ . فَإِنَّ فَضْلَ عَنْهُمْ شَيْءٌ فَهُوَ لِلْوَالِيِّ، وَإِنْ
عَجَزَ أَوْ نَقَصَ عَنْ اسْتِغْنَائِهِمْ، كَانَ عَلَى الْوَالِيِّ أَنْ يُنْفِقَ مِنْ عِنْدِهِ بِقَدْرِ مَا
يَسْتَفْتُونَ بِهِ . وَإِنَّمَا صَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَهُمْ - أَيِ يَمُوتَهُمْ وَزَنًا وَمَعْنَى - لِأَنَّ لَهُ مَا
فَضْلَ عَنْهُمْ .

وَإِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ هَذَا الْخُمْسَ خَاصَّةً لَهُمْ دُونَ مَسَاكِينِ النَّاسِ وَأَبْنَاءِ
سَبِيلِهِمْ، عَوَضًا لَهُمْ مِنْ صَدَقَاتِ النَّاسِ، وَتَنْزِيهًا مِنَ اللَّهِ لَهُمْ لِقَرَابَتِهِمْ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكِرَامَةً مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مِنْ أَوْسَاخِ النَّاسِ . فَجَعَلَ لَهُمْ خَاصَّةً
مِنْ عِنْدِهِ مَا يُغْنِيهِمْ بِهِ عَنْ أَنْ يُصْبِرُ هُمْ فِي مَوْضِعِ الدُّلِّ وَالْمَسْكِنَةِ . وَلَا بَأْسَ
بِصَدَقَاتِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ .

وهؤلاء الذين جعل الله لهم الخمس هم قرابة النبي ﷺ، الذين
ذكرهم الله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ^(١) وهم بنو عبد المطلب

(١) سورة الشعراء: ٢١٤ .

أنفسهم، الذكور منهم والأنثى، ليس فيهم من أهل بيوتات قريش ولا من العرب أحد. ولا فيهم، ولا منهم في هذا الخمس من مواليتهم. ولقد تجل صدقات الناس لمواليهم، وهم والناس سواء. ومن كانت أمه من بني هاشم، وأبوه من سائر قريش، فإن الصدقات تجل له، وليس له من الخمس شيء. لأن الله تعالى يقول: ﴿أَدْوَاهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾^(١).

وللإمام صفو المال أن يأخذ من هذه الأموال صفوها: الجارية الفارهة - أي الصبية الحسنة - والدابة الفارهة - أي الجيدة - والثوب والمتاع بما يحب ويشتهي؛ فذلك له قبل القسمة، وقبل إخراج الخمس. وله أن يسد بذلك المال جميع ما ينوبه - أي ما يصيبه - من مثل إعطاء المؤلفه قلوبهم وغير ذلك مما ينوب. فإن بقي بعد ذلك شيء أخرج الخمس منه، فقسمه في أهله، وقسم الباقي على من ولي ذلك. وإن لم يبق بعد سد النوائب شيء، فلا شيء لهم. وليس لمن قاتل شيء من الأرضين، ولا ما غلبوا عليه إلا ما احتوى عليه المسكر.

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

وليس للأعراب من القسمة شيء وإن قاتلوا مع الوالي، لأن رسول الله ﷺ صالح الأعراب أن يدعهم في ديارهم ولا يهاجروا، على أنه إن دهم - أي فوجيء - رسول الله ﷺ من عدوه، دهم أن يستنفرهم فيقاتل بهم وليس لهم في الغنيمة نصيب. وسنته جارية فيهم وفي غيرهم، والأرضون التي أخذت عنوة - إذلالاً وغصباً - بخيل ورجال، فهي موقوفة متروكة في يد من يعمرها ويحييها ويقوم عليها، على ما يصلحهم الوالي على قدر طاقتهم من الحق؛ النصف، أو الثلث، أو الثلثين، وعلى قدر ما يكون لهم صلاحاً ولا يضرهم. فإذا أخرج منها ما أخرج، بدأ فأخرج منه

(١) سورة الأحزاب: ٥.

العُشْرَ من الجميع ممَّا سَقَتِ السماءُ أو سُقِيَ سَبْحاً - أي جَرِيماً بدون واسطة دَفَع - ونصف العُشْرَ ممَّا سُقِيَ بالدوالي والنواضح، فأخذَه الوالي فوجهه في الجهة التي وجهها الله على ثمانية أسهم: للفقراء، والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم. وفي الرقاب، والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل. ثمانية أسهم يُقسم بينهم في مواضعهم بقدر ما يستغنون به في سنتهم بلا ضيق ولا تقدير. فإذا فَضِّلَ من ذلك شيءٌ رُدَّ إلى الوالي، وإن نقص من ذلك شيءٌ ولم يكتفوا به، كان على الوالي أن يموئهم من عنده بقدر سَعَتِهِمْ حتى يستغنوا. ويؤخذ بعد ما بقي من العُشْرَ فيقسم بين الوالي وبين شركائه الذين هم عمال الأرض وأكرتها - أي المأجورون لزرعها - فيُدفع إليهم أنصباؤهم على ما صالحهم عليه، ويؤخذ الباقي فيكون بعد ذلك أرزاق أعوانه على دين الله، وفي مصلحة ما ينوبه من تقوية الإسلام وتقوية الدين، في وجوه الجهاد وغير ذلك مما فيه مصلحة العامة، وليس لنفسه من ذلك قليل ولا كثير.

وله بعد الخمس الأنفال. والأنفال كل أرض خربة قد باد أهلها، وكل أرض لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، ولكن صالحوا صلحاً وأعطوا بأيديهم على غير قتال. وله رؤوس الجبال، وبطن الأودية، والآجام، وكل أرض ميتة لا رب لها. وله صوافي الملوك - أي ما كان قد اصطفاه الملوك لأنفسهم من مالٍ وغيره - ما كان في أيديهم من غير وجه الغصب، لأن الغصب كل مردود. وهو وارث من لا وارث له، يعول من لا عيلة له.

وقال عليه السلام: إن الله لم يترك شيئاً من صنوف الأموال إلا وقد قسمه على كل ذي حق حقه، الخاصة والعامة، والفقراء والمساكين، وكل صنّف من صنوف الناس. فقال: لو عدل في الناس لاستغنوا. ثم قال: إن العدل أحلى من العسل، ولا يعدل إلا من يجس العذل.

وقال: وكان رسول الله ﷺ يقسم صدقات البوادي في البوادي، وصدقات أهل الحضرة في أهل الحضرة. ولا يقسم بينهم بالسوية على ثمانية، حتى يعطي أهل كل سهم ثمناً؛ ولكن يقسمها على قدر من يحضره من أصناف الثمانية على قدر ما يُقيم كل صنف منهم يُقدّر لستته، ليس في ذلك شيء موقوف - أي مفروض في الأوقات - ولا مسمى، ولا مؤلف، إنما يضع ذلك على قدر ما ترى وما يحضره، حتى يسد كل فاقة - أي حاجة - كل قوم منهم، وإن فضل من فقراء أهل المال فضل، عرضوا المال جملة إلى غيرهم.

والأنفال إلى الوالي، وكل أرض فتحت في أيام النبي ﷺ إلى آخر الأبد، وما كان افتتاحاً بدعوة أهل الجور وأهل العدل، لأن ذمة رسول الله في الأولين والآخرين ذمة واحدة، لأن رسول الله ﷺ قال:

المسلمون إخوة، تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم.

وليس في مال الخمس زكاة، لأن فقراء الناس جعل أرزاقهم في أموال الناس على ثمانية أسهم، فلم يبق منهم أحد. وجعل للفقراء قرابة الرسول ﷺ نصف الخمس، فأغناهم به عن صدقات الناس، وصدقات النبي ﷺ، وولي الأمر؛ فلم يبق فقير من فقراء الناس، ولم يبق فقير من فقراء قرابة رسول الله ﷺ، إلا وقد استغنى، فلا فقير. ولذلك لم يكن على مال النبي ﷺ، والوالي، زكاة، لأنه لم يبق فقير محتاج. ولكن عليهم أشياء تنوبهم من وجوه، ولهم من تلك الوجوه كما عليهم^(١).

وصيته عليه السلام لهشام بن الحكم البغدادي الكندي - مولى بني شيبان - الذي اتفق الأصحاب على وثاقته وعظيم قدره ورفيع منزلته:

(١) الكافي ١٦ من ص ٥٣٩ إلى ص ٥٤٣.

صفاته للعقل:

إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَنْبِيَاءِ ﴿١٨﴾﴾ (١).

يا هشام بن الحكم، إن الله عز وجل أكمل للناس الحجج بالعقول، وأفضى إليهم بالبيان، ودلهم على ربوبيته بالأدلاء فقال: ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ وَإِنَّا لِلَّهِ إِلهٌ إِلهٌ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١١٦﴾﴾. ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَنْجَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَرِّكَ فِيهَا مِنْ مَجْذِذِ الْمُنْتَهَى وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١٧﴾﴾ (٢).

يا هشام، قد جعل الله عز وجل ذلك دليلاً على معرفته، بأن لهم مديراً فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١٦﴾﴾ (٣) وقال: ﴿حَمَّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ (٤) وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾﴾ (٥).

يا هشام، ثم وعظ أهل العقل ورغبهم في الآخرة فقال: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّ الَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (٦) وقال:

(١) سورة الزمر: ١٧ - ١٨.

(٢) سورة البقرة: ١٦٣ - ١٦٤.

(٣) سورة النحل: ١٢.

(٤) سورة الزخرف: ١ - ٣.

(٥) سورة الروم: ٢٤.

(٦) سورة الأنعام: ٣٢.

﴿ وَمَا أُرْسِلُوا مِنْ شَيْءٍ فَفَتَحْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيِّنْهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١)

يا هشام، ثم خوف الذين لا يعقلون عذابه فقال عز وجل: ﴿ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴾ (٢) ﴿ وَالْكَافِرُونَ عَلَيْهِمْ مُصِيبَاتٌ ﴾ (٣) ﴿ وَإِنِّي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٤)

يا هشام، ثم بين أن العقل مع العلم فقال: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (٥)

يا هشام، ثم ذم الذين لا يعقلون فقال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنْتَهِجُ مَا آتَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَاقِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٦) وقال: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٧) وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٨)

ثم ذم الكثرة فقال: ﴿ وَإِن تَلْعَبْ أَكْثَرًا مِنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ... ﴾ (٩) وقال: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٠) ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١١)

يا هشام، ثم مدح القيلة فقال: ﴿ وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾ (١٢)

(١) سورة القصص: ٦٠.

(٢) سورة الصافات: ١٣٦-١٣٨.

(٣) سورة العنكبوت: ٤٣.

(٤) سورة البقرة: ١٧٠.

(٥) سورة الأنفال: ٢٢.

(٦) سورة لقمان: ٢٥.

(٧) سورة الأنعام: ١١٦.

(٨) سورة الأنعام: ٣٧ والأعراف: ١٣٠ وهي مكررة في عدة سور.

(٩) سورة الزخرف: ٦٦.

(١٠) سورة سبأ: ١٣.

وقال: ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ (١) وقال: ﴿ وَمَا أَمِنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٢).

يا هشام، ثم ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر، وحلاهم بأحسن الجلية فقال: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٣).

[وانفرد الكافي م ١ ص ١٥ بهذه الزيادة التي بين قوسين، وهي:]

[وقال: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمِنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٤) وقال: ﴿ إِنَّكَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَتَأْتَسُو بِالْأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٥) وقال: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ أَصْحَبٌ إِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٦) وقال: ﴿ أَمَنْ هُوَ قَلْبُكَ إِتَانَةَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَلَامًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٧) وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَأَمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ (٨) وقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هَذَا وَذَكَرْنِي بِالْأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٩) وقال: ﴿ وَذَكَرْنَا فِي الذِّكْرِ نَفْعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠)].

(١) سورة ص: ٢٤.

(٢) سورة هود: ٤٠.

(٣) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٤) سورة آل عمران: ٧.

(٥) سورة آل عمران: ١٩٠.

(٦) سورة الرعد: ١٩.

(٧) سورة الزمر: ٩.

(٨) سورة ص: ٢٩.

(٩) سورة المؤمن: ٥٣ - ٥٤.

(١٠) سورة الداريات: ٥٥.

يا هشام، إن الله يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ . . .﴾^(١)
يعني العقل؛ وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ . . .﴾^(٢) قال: الفهم والعقل.

يا هشام، إن لقمان قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقل الناس؛ يا بني
إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله،
وحشوها الإيمان، وشراعها التوكل، وقيمها العقل، ودليلها العلم،
وسكاتها الصبر - أي مقدمها الذي يوجهها - .

يا هشام، لكل شيء دليل، ودليل العاقل التفكير، ودليل التفكير
الصمت. ولكل شيء معيئة، ومعية العاقل التواضع؛ وكفى بك جهلاً أن
تركب ما نهيت عنه.

يا هشام، لو كان في يدك جوزة وقال الناس إنها لؤلؤة، ما نفعت وأنت
تعلم أنها جوزة، ولو كان في يدك لؤلؤة وقال الناس إنها جوزة، ما ضرك
وأنت تعلم أنها لؤلؤة؟ .

يا هشام، ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله،
فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة لله؛ وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً،
وأعقلهم أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة.

يا هشام، ما من عبد إلا وملك أخذ بناصيته، فلا يتواضع إلا رفعه
الله، ولا يتعاضم إلا وضعه الله.

يا هشام، إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة، وحجة باطنة. فأمَّا
الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة؛ وأمَّا الباطنة فالعقول.

يا هشام، إن العاقل [هو] الذي لا يشغل الحلال شكره، ولا يغلب
الحرام صبره.

(١) سورة ق: ٣٧.

(٢) سورة لقمان: ١٢.

يا هشام، مَنْ سَلَطَ ثَلَاثًا عَلَى ثَلَاثٍ فَكَأَنَّمَا أَعَانَ هَوَاهُ عَلَى هَدْمِ عَقْلِهِ :
مَنْ أَظْلَمَ فِكْرُهُ لِيَطُولَ أَمَلُهُ ، وَمَا طَرَأَتْ حِكْمَتُهُ بِفُضُولِ كَلَامِهِ ، وَأَطْفَأَ نُورَ
عِبْرَتِهِ بِشَهَوَاتِ نَفْسِهِ فَكَأَنَّمَا أَعَانَ هَوَاهُ عَلَى هَدْمِ عَقْلِهِ . وَمَنْ هَدَمَ عَقْلَهُ أَفْسَدَ
عَلَيْهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ .

يا هشام، كَيْفَ يَزْكُو عِنْدَ اللَّهِ عَمَلُكَ ، وَأَنْتَ قَدْ شَغَلْتَ عَقْلَكَ عَنْ أَمْرِ
رَبِّكَ ، وَأَطَعْتَ هَوَاكَ عَلَى غَلْبَةِ عَقْلِكَ ؟ ۱۹ .

يا هشام، الصَّبْرُ عَلَى الْوَحْدَةِ عَلَامَةٌ قُوَّةُ الْعَقْلِ ؛ فَمَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى اعْتَزَلَ أَهْلَ الدُّنْيَا وَالرَّاعِبِينَ فِيهَا ، وَرَغِبَ فِيهَا عِنْدَ رَبِّهِ [وَكَانَ
اللَّهُ] آيَسُهُ فِي [الْوَحْشَةِ] وَصَاحِبُهُ فِي الْوَحْدَةِ ، وَغِنَاهُ فِي الْعَيْلَةِ ، وَمُعِزُّهُ فِي
غَيْرِ عَشِيرَةٍ .

يا هشام، نُصِبَ الْخَلْقُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ ، وَلَا نَجَاةَ إِلَّا بِالطَّاعَةِ . وَالطَّاعَةُ
بِالْعِلْمِ ، وَالْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ ، وَالتَّعَلُّمُ بِالْعَقْلِ يَعْتَقِدُ . وَلَا عِلْمَ إِلَّا مِنْ عَالِمٍ رَبَّانِيٍّ ،
وَمَعْرِفَةَ الْعَالِمِ بِالْعَقْلِ .

مرکز تحقیقات کتب و تفسیر علوم اسلامی

يا هشام، قَلِيلُ الْعَمَلِ مِنَ الْعَاقِلِ مَقْبُولٌ مُضَاعَفٌ ، وَكَثِيرُ الْعَمَلِ مِنْ
أَهْلِ الْهَوَى وَالْجَهْلِ مُرْدُودٌ .

يا هشام، إِنَّ الْعَاقِلَ رَضِيَ بِالدُّنُونِ مِنَ الدُّنْيَا مَعَ الْحِكْمَةِ ، وَلَمْ يَرْضَ
بِالدُّنُونِ مِنَ الْحِكْمَةِ مَعَ الدُّنْيَا .

يا هشام، إِنْ كَانَ يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ ، فَإِنَّ مَا فِي الدُّنْيَا يَكْفِيكَ ، وَإِنْ كَانَ
لَا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا يُغْنِيكَ .

يا هشام، إِنْ الْعُقَلَاءُ تَرَكَوا فَضُولَ الدُّنْيَا ، فَكَيْفَ الدُّنُوبُ ؟ ۱۹ . وَتَرَكَ
الدُّنْيَا مِنَ الْفَضْلِ ، وَتَرَكَ الدُّنُوبَ مِنَ الْفَرْضِ ! .

يا هشام، إِنْ الْعُقَلَاءُ زَهَدُوا فِي الدُّنْيَا وَرَغَبُوا فِي الْآخِرَةِ ، لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا

أن الدنيا طالبة ومطلوبة، والآخرة طالبة ومطلوبة. فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته.

يا هشام، من أراد الغنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين، فليترضع إلى الله في مسألته بأن يكمل عقله. فمن عقل قنع بما يكفيه، ومن قنع بما يكفيه استغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبداً.

يا هشام، إن الله جل وعز حكي عن قوم صالحين أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (١) حين علموا أن القلوب تزيع وتعود إلى عماها ورداها - أي هلاكها - . إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه. ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقاً، وسيره لإعلانيته موافقاً، لأن الله لم يدل على الباطل الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناظر عنه.

يا هشام، كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما من شيء عند الله به أفضل من العقل، وما تم عقل امرئ حتى يكون فيه خصال شتى: الكفر والشر منه مأمونان، والخير والرشد منه مأمولان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف. نصيبه من الدنيا القوت، ولا يشبع من العلم دهره، الذل أحب إليه مع الله، من العز مع غيره. والتواضع أحب إليه من الشرف. يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه، ويرى الناس كلهم خيراً منه، وأنه شرهم في نفسه، وهو تمام الأمر.

(١) سورة آل عمران: ٨.

يا هشام، مَنْ صدقَ لسأته زكاه عمله، وَمَنْ حَسُنَتْ نِيَّتُهُ زِيدَ فِي رِزْقِهِ،
وَمَنْ حَسُنَ بَرُّهُ بِإِخْوَانِهِ وَأَهْلِهِ مُدَّ فِي عُمُرِهِ.

يا هشام، لا تمنحوا الجهالَ الحكمةَ فتظلموها، ولا تمنعوا أهلها
فتظلموهم.

يا هشام، كما تركوا لكم الحكمة، فاتركوا لهم الدنيا.

يا هشام، لا دينَ لِمَنْ لا مَرُوءةَ له، ولا مَرُوءةَ لِمَنْ لا عقلَ له؛ وإنَّ أعظمَ
الناسِ قدراً الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطراً. أما إنَّ أبدانكم ليس لها ثمنٌ إلاَّ
الجنة، فلا تبيعوها بغيرها.

يا هشام، إنَّ أميرَ المؤمنين عليه السلام كان يقول: لا يجلس في صدر
المجلس إلاَّ رجلٌ فيه ثلاث خصال: يُجيب إذا سُئِلَ، وينطق إذا عجزَ القومُ
عن الكلام، ويُشير بالرأي الذي فيه صلاحُ أهله. فَمَنْ لم يكن فيه شيءٌ منهنَّ
فجلسَ فهو أحمق.

وقال الحسن بن علي عليه السلام: إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها.
قيل: يا بن رسول الله، وَمَنْ أهلها؟ قال: هم أولو العقول.

وقال عليُّ بنُ الحسين عليه السلام: مُجالسةُ الصالحين داعيةٌ إلى الصلاح،
وأدبُ العلماءِ زيادةٌ في العقل، وطاعةُ ولاةِ العدلِ تمامُ العزِّ، واستثمارُ المالِ
تمامُ المروءة، وإرشادُ المستشارِ قضاءٌ لحقِّ النعمة، وكفُّ الأذى من كمالِ
العقل وفيه راحةُ البدنِ عاجلاً وآجلاً.

يا هشام، إنَّ العاقلَ لا يُحدِّثُ مَنْ يخافُ تكذيبه، ولا يسألُ مَنْ يخافُ
منعَهُ، ولا يعدُّ ما لا يقدر عليه، ولا يرجو ما يُعنفُ برجائه - أي ما يلام عليه -
ولا يتقدَّم على ما يخافُ العجزَ عنه.

وكان أميرَ المؤمنين عليه السلام يوصي أصحابه، يقول: أوصيكم بالخشية

مَنْ اللَّهُ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْعَدْلِ فِي الرُّضَا وَالغَضَبِ، وَالْاِكْتِسَابِ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَنْ تَصِلُوا مَنْ قَطَعَكُمْ، وَتَعْفُوا عَمَّنْ ظَلَمَكُمْ، وَتَعَطَفُوا عَلَى مَنْ حَرَمَكُمْ. وَلْيَكُنْ نَظْرُكُمْ حَبْرًا، وَصَمْتُكُمْ فِكْرًا، وَقَوْلُكُمْ ذِكْرًا، وَطَبِيعَتُكُمْ السَّخَاءُ فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِخَيْلٍ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ سَخِيًّا.

يا هشام، رَحِمَ اللَّهُ مَنْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، فَحَفِظَ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى، وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَى - أَيِ احْتَوَى - وَذَكَرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، وَعَلِمَ أَنَّ الْجَنَّةَ مُحْفَوَّةٌ بِالْمَكَارِهِ، وَالنَّارَ مُحْفَوَّةٌ بِالشَّهَوَاتِ.

يا هشام، مَنْ كَفَّ نَفْسَهُ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ أَقَالَهُ اللَّهُ عَشْرَةَ يَوْمٍ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَفَّ نَفْسَهُ عَنِ النَّاسِ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ غَضَبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

يا هشام، إِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَكْذِبُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ هَوَاهُ.

يا هشام، وَجِدَ فِي ذُوَابَةِ سَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَعْتَى النَّاسِ عَلَى اللَّهِ مَنْ ضَرَبَ غَيْرَ ضَارِبِهِ، وَقَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ. وَمَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ فَهُوَ كَافِرٌ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَمَنْ أَحْدَثَ حَدِيثًا، أَوْ آوَى مُخْدِثًا، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا.

يا هشام، أَفْضَلُ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ، بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ بِهِ، الصَّلَاةُ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَتَرْكُ الْحَسَدِ، وَالْعُجْبِ وَالْفَخْرِ.

يا هشام، أَصْلَحُ أَيَّامِكَ الَّذِي هُوَ أَمَامَكَ، فَانظُرْ أَيَّ يَوْمٍ هُوَ، وَأَعِدْ لَهُ الْجَوَابَ فَإِنَّكَ مَوْقُوفٌ وَمَسْئُولٌ. وَخُذْ مَوْعِظَتَكَ مِنَ الدَّهْرِ وَأَهْلِهِ، فَإِنَّ الدَّهْرَ [أَيَّامُهُ] طَوِيلَةٌ قَصِيرَةٌ. فَاعْمَلْ كَأَنَّكَ تَرَى ثَوَابَ عَمَلِكَ لِتَكُونَ أَطْمَعًا فِي ذَلِكَ وَأَعْقَلَ عَنِ اللَّهِ. وَانظُرْ فِي تَصَرُّفِ الدَّهْرِ وَأَحْوَالِهِ، فَإِنَّ مَا هُوَ آتٍ مِنَ الدُّنْيَا لَكُمْمَا وَلَى مِنْهَا، فَاصْتَبِرْ بِهَا^(١).

(١) هذه الوصية موجودة إلى هنا في الكافي ١٣ من ص ١٣ إلى ص ٢٠.

وقال علي بن الحسين عليه السلام : إن جميع ما طلعت عليه الشمس في مشارق الأرض ومغاربها، بحرّها وبرّها، وسهلها وجبليها، عند وليّ من أولياء الله وأهل المعرفة بحقّ الله، كفيء الظلال.

ثم قال عليه السلام : أولاً حرّ يدع [هذه] اللماظة لأهلها - واللماظة بقية الطعام في الفم، وكلّ شيء قليل؛ ويريد بها هنا الدنيا - فليس لأنفسكم ثمّن إلا الجنة، فلا تبيعوها بغيرها، فإنه من رضي من الله بالدنيا فقد رضي بالخييس..

يا هشام، إن كلّ الناس يُبصر النجوم، ولكن لا يهتدي بها إلا من يعرف مجاريها ومنازلها، وكذلك أنتم تدرسون الحكمة ولكن لا يهتدي بها منكم إلا من عمل بها.

يا هشام، إن المسيح عليه السلام قال للحواريين :

يا عبيد السوء، يهولكم طول النخلة وتذكرون شوكتها ومؤنة مراقبها، وتنسون ثمرها ومرافقها - أي منافعتها - كذلك تذكرون مؤنة عمل الآخرة فيطول عليكم أمده، وتنسون ما تنفصون إليه من نعيمها ونورها وثمرها..

يا عبيد السوء، نَقُوا القمح وطَيّبوه تجدوا طعمه ويهتكم أكله. كذلك فأخلصوا الإيمان وأكملوه تجدوا حلاوته وينفعكم غيبه - أي عافيته وما بعده..

بحقّ أقول لكم: لو وجدتم سراجاً يتوقّد بالقطران في ليلة مظلمة لاستظّأتم به ولم يمنعكم ريحٌ تبيته؛ كذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها معه، ولا يمنعكم منها سوء رغبته فيها.

يا عبيد الدنيا، بحقّ أقول لكم: إن من ليس عليه دين من الناس، أروح وأقلّ همّاً ممن عليه الدين وإن أحسن القضاء. وكذلك من لم يعمل الخطيئة

أَرْوَحُ مِمَّا مَنَّ عَمَلُ الْخَطِيئَةِ وَإِنْ أَخْلَصَ التَّوْبَةَ وَأَنَابَ . وَإِنْ صَغَارَ الذُّنُوبُ
وَمَحَقَّرَاتِهَا مِنْ مَكَائِدِ إِبْلِيسَ ، يَحْقِرُهَا لَكُمْ ، وَيَصْفُرُهَا فِي أَعْيُنِكُمْ ، فَتُجْمَعُ
وَتَكْتَفَرُ فَتُحْبِطُ بِكُمْ .

بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ : إِنَّ النَّاسَ فِي الْحِكْمَةِ رَجْلَانِ : فَرَجُلٌ أَتَقَنَهَا بِقَوْلِهِ
وَصَدَقَهَا بِفِعْلِهِ ، وَرَجُلٌ أَتَقَنَهَا بِقَوْلِهِ وَضَيَّعَهَا بِسُوءِ فِعْلِهِ ، فَشَتَّانَ بَيْنَهُمَا .
فَطُوبَى لِلْعُلَمَاءِ بِالْفِعْلِ ، وَوَيْلٌ لِلْعُلَمَاءِ بِالْقَوْلِ ! .

يَا عِبِيدَ السُّوءِ اتَّخِذُوا مَسَاجِدَ رَبِّكُمْ سَجُونَاً لِأَجْسَادِكُمْ وَجِبَاهِكُمْ ،
وَاجْعَلُوا قُلُوبَكُمْ يُبَوِّتاً لِلتَّقْوَى ، وَلَا تَجْعَلُوا قُلُوبَكُمْ بِيوتاً لِلشَّهَوَاتِ . إِنَّ
أَجْزَعَكُمْ عِنْدَ الْبَلَاءِ لِأَشَدُّكُمْ حُبّاً لِلدُّنْيَا ، وَإِنْ أَصْبَرَكُمْ عَلَى الْبَلَاءِ لِأَزْهَدَكُمْ فِي
الدُّنْيَا .

يَا عِبِيدَ السُّوءِ ، لَا تَكُونُوا شَبِيهاً بِالْجِدَاءِ الْخَاطِفَةِ - أَيِ الطَّيُورِ الَّتِي
تَخْتَفِ ، وَهِيَ جَمْعُ حِدَاةٍ - وَلَا بِالشَّعَالِ الْخَادِعَةِ ، وَلَا بِالذَّنَابِ الْغَادِرَةِ ، وَلَا
بِالْأَسَدِ الْعَاتِيَةِ ، كَمَا تَفْعَلُ بِالْفِرَاسِ كَذَلِكَ تَفْعَلُونَ بِالنَّاسِ : فَرِيقاً تَخْتَفُونَ ،
وَفَرِيقاً تَخْدَعُونَ ، وَفَرِيقاً تَغْدِرُونَ بِهِمْ .

بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ : لَا يُغْنِي عَنِ الْجَسَدِ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهُ صَاحِحاً وَبَاطِنُهُ
فَاسِداً ؛ كَذَلِكَ لَا تُغْنِي أَجْسَادُكُمْ الَّتِي قَدْ أَعْجَبْتُمْكُمْ ، وَقَدْ فَسَدَتْ قُلُوبُكُمْ وَمَا
يُغْنِي عَنْكُمْ أَنْ تُنْقُوا جُلُودَكُمْ ، وَقُلُوبُكُمْ دَنَسَةٌ ، لَا تَكُونُوا كَالْمَنْخَلِ يَخْرُجُ مِنْهُ
الدَّقِيقُ الطَّيِّبُ وَيُمْسِكُ النِّخَالَةَ . كَذَلِكَ أَنْتُمْ تُخْرِجُونَ الْحِكْمَةَ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ ،
وَيَبْقَى الْغُلُّ فِي صُدُورِكُمْ .

يَا عِبِيدَ الدُّنْيَا ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ مَثَلُ السَّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ ، وَيُحْرَقُ نَفْسَهُ .
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، زَاجَمُوا الْعُلَمَاءَ فِي مَجَالِسِهِمْ وَلَوْ جُثُّوا عَلَى الرُّكَبِ ، فَإِنَّ
اللَّهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ ، كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ وَابِلُ
الْمَطَرِ .

يا هشام، مكتوب في الإنجيل: طوبى للمتراحمين، أولئك هم
المرحومون يوم القيامة. طوبى للمصلحين بين الناس، أولئك هم
المقربون يوم القيامة. طوبى للمطهرة قلوبهم، أولئك هم المتقون يوم
القيامة. طوبى للمتواضعين في الدنيا، أولئك يرتقون منابر الملك يوم
القيامة.

يا هشام، قلُّ المنطق جلمٌ عظيمٌ، فعليكم بالصمت فإنه دعةٌ حسنةٌ،
وقلُّ وزر، وخفةٌ من الذنوب. فحصنوا باب الحليم فإن باب الصبر. وإن الله
عز وجل يُغض الضحك من غير عجب، والمشاء إلى غير أرب. ويجب على
الوالي أن يكون كالراعي لا يغفل عن رعيته ولا يتكبر عليهم. فاستحيوا من
الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم. واعلموا أن الكلمة
من الحكمة ضالة المؤمن، فعليكم بالعلم قبل أن يرفع، ورفع غيبة عالمكم
بين أظهركم.

يا هشام، تعلم من العلم ما جهلت، وعلم الجاهل مما علمت. عظم
العالم ليعلمه ودغ منازعته، وصغر الجاهل لجهله، ولا تطرده، ولكن قربه
وعلمه.

يا هشام، إن كل نعمةٍ حجزت عن شكرها، بمنزلة سيئةٍ تؤخذ بها.
وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: إن لله عبادةً كسرت قلوبهم خشيته
فأسكتهم عن المنطق وإنهم لفصحاء عقلاء؛ يستبقون إلى الله بالأعمال
الآلية، ولا يستكثرون له الكثير، ولا يرضون لهم من أنفسهم بالقليل، ويرون
في أنفسهم أنهم أشرار، وإنهم لأكياس أبرار.

يا هشام، الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء،
والجفاء في النار.

يا هشام، المتكلمون ثلاثة: فربح، وسالم، وشاجب - أي مهذار الكلام - . فأما الربح فالذاكر لله، وأمّ السالم فالساكت، وأمّا الشاجب الذي يخوض في الباطل . . إن الله حرم الجنة على كل فاحش بذي قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه . وكان أبو ذر - رضي الله عنه - يقول: يا مُبتغي العلم، إن هذا اللسان مفتاح خيرٍ ومفتاح شرٍّ، فاختم على فمك كما تختم على ذهبك وورقك .

يا هشام، بش العبد عبدٌ يكون ذا وجهين وذا لسائين، يُطري أخاه إذا شاهده، ويأكله إذا غاب عنه؛ إن أُعطي حسده، وإن ابتلي خذله . إن أسرع الخير ثواباً البر، وأسر الشر عقوبة البغي، وإن شر عبادة الله من تكوره مُجالسته لِفحشه . وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائدُ ألسنتهم ١٩ . ومن حُسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه .

يا هشام، لا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً . ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو .

يا هشام، قال الله جلّ وهز: وهزني وجلالي، وعظمتي وقدرتي، وبهائي وعُلوي في مكاني، لا يُؤثر عبدة هواي على هواه، إلا جعلتُ الغنى في نفسه، وهمه في آخرته، وكففتُ عليه [في] ضيعته، وضممتُ السماوات والأرض رزقه، وكننتُ له من وراء تجارة كل تاجر .

يا هشام، الغضب مفتاح الشر، وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً . وإن خالطت الناس، فإن استطعت أن لا تُخالط أحداً منهم إلا من كانت يدك عليه العُليا، فافعل .

يا هشام، عليك بالرفق، فإن الرفق يُمن، والخرق شوم . إن الرفق، والبر، وحسن الخلق يعمر الديار ويزيد في الرزق .

يا هشام، قولُ الله: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾^(١) جرتُ في المؤمن والكافر، والبرِّ والفاجر. من صنَّع إليه معروف فعلية أن يكافئ به. وليست المكافأة أن تصنع كما صنع حتى ترى فضلك؛ فإن صنعت كما صنع فله الفضلُ بالابتداء.

يا هشام، إن مثلَ الحياة مثلَ الحية، مشها لئِن، وفي جوفها السُّمُّ القاتل، يحذرُها الرجالُ ذُوو العقول، ويهوي إليها الصبيانُ بأيديهم.

يا هشام، اصبرْ على طاعة الله، واصبرْ عن معاصي الله، فإنما الدنيا ساعة، فما مضى منها فليس تجدُ له سروراً ولا حزناً، وما لم يأت منها فليس تعرفه. فاصبرْ على تلك الساعة التي أنت فيها، فكأنك قد اغتبطت.

يا هشام، مثلُ الدنيا، مثلُ ماء البحر، كلما شرب منه العطشانُ ازدادَ عطشاً حتى يقتله.

يا هشام، إياك والكِبَرُ، فإنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقالَ حبة من كِبَر. الكِبَرُ رداءُ الله، فمن نازعه رداءه أكبه الله في النار على وجهه.

يا هشام، ليس مناً من لم يحاسب نفسه كل يوم، فإن عملَ حسناً استزاد منه، وإن عملَ سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه.

يا هشام، تمثلت الدنيا للمسيح عليه السلام في صورة امرأة زرقاء، فقال لها: كم تزوجتِ؟ فقالت: كثيراً. قال: فكلِّ طَلِّقِكِ؟ قالت: لا، بل كُلاً قَتَلْتُ. قال المسيح عليه السلام: فويلٌ لأزواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بالماضين؟

يا هشام، إن ضوؤَ الجسد في عينه، فإن كان البصرُ مُضيئاً استفادَ

(١) سورة الرحمن: ٦٠.

الجسد كله، وإن ضوؤه الروح العقل، فإذا كان العبد عاقلاً، كان عالماً بربه، وإذا كان عالماً بربه أبصر دينه، وإن كان جاهلاً بربه لم يقم له دين. وكما لا يقوم الجسد إلا بالنفس الحية، فكذلك لا يقوم الدين إلا بالنية الصادقة، ولا تثبت النية الصادقة إلا بالعقل.

يا هشام، إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا - أي الصخر - .
فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار، لأن الله جعل التواضع آلة العقل، وجعل التكبر من آلة الجهل. ألم تعلم أن من شمع إلى السقف برأسه شجوه، ومن خفض رأسه استظل تحته وأكثه! .
وكذلك من لم يتواضع لله خفضه الله، ومن تواضع لله رفعه.

يا هشام، ما أقبح الفقر بعد الغنى، وأقبح الخطيئة بعد النسك؛ وأقبح من ذلك العابد لله، ثم يترك عبادته.

يا هشام، لا خير في العيش إلا للرجلين: للمستمع واع، وعالم ناطق.

يا هشام، ما قسيم بين العباد أفضل من العقل. نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل. وما بعث الله نبياً إلا عاقلاً حتى يكون عقله أفضل من جميع جهد المجتهدين. وما أدى العبد فريضة من فرائض الله حتى عقل عنه.

يا هشام، قال رسول الله ﷺ: إذا رأيت المؤمن صموتاً فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة. والمؤمن قليل الكلام، كثير العمل، والمنافق كثير الكلام، قليل العمل.

يا هشام، أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: قل لعبادي لا يجعلوا بيني وبينهم عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّهم عن ذكرى، وعن طريق محبتي ومناجاتي؛ أولئك قطع الطريق من عبادي! . إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة محبتي ومناجاتي من قلوبهم.

يا هشام، مَنْ تعظّم في نفسه لعنته ملائكة السماء وملائكة الأرض.
وَمَنْ تكبّر على إخوانه واستطال عليهم فقد ضاد الله، وَمَنْ ادعى ما ليس له،
فهو أعتى لغير رُشده.

يا هشام، أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود حذّر وأنبّر
أصحابك عن حُب الشهوات، فإنّ المعلقة قلوبهم بشهوات الدنيا قلوبهم
محبوبة عني.

يا هشام، إياك والكبير على أوليائي والاستطالة بعلمك فيمقتك الله فلا
تنفعك بعد مقتته دنياك ولا آخرتك. وكن في الدنيا كساكن دار ليست له، إنّما
ينتظر الرحيل.

يا هشام، مُجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة، ومُشاورة العاقل
الناصح يُمنّ وبركة ورشد وتوفيق من الله. فإذا أشار عليك العاقل الناصح
فإياك والخلاف فإنّ في ذلك العطب.

يا هشام، إياك ومخالطة الناس والأئس بهم، إلا أن تجد منهم عاقلاً
ومأموناً فأنس به، واهرب من سائرهم كهربك من السباع الضارية. وينبغي
للعاقل إذا عمل عملاً أن يستحي من الله، وإذا تفرد له بالنعم أن يشارك في
عمله أحداً غيره. وإذا مرّ بك أمران لا تدري أيهما خير وأصوب، فانظر أيهما
أقرب إلى هواك فخالفه، فإن كثير الصواب في مخالفة هواك. وإياك أن
تغلب الحكمة وتضعها في الجهالة.

قال هشام: فقلت له: فإن وجدت رجلاً طالباً [لها] غير أن عقله لا
يشع لضبط ما ألقى إليه؟.

قال عليه السلام: فتلطّف له في النصيحة؛ فإن ضاق صدره [فلا تُعرضنّ

نفسك للفتنة . واحذر رد المتكبرين ، فإن العلم يدل على أن يُملَى على من لا يُفِق - أي لا يتبته من الغفلة ..

قلت : فإن لم أجد من يعقل السؤال عنها؟ .

قال **عليه السلام** : فافتنم جهله عن السؤال حتى تسلم من فتنة القول ، وعظيم فتنة الرد . واعلم أن الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم ، ولكن رفعهم بقدر عظمته ومجده . ولم يؤمن الخائفين بقدر خوفهم ، ولكن آمنهم بقدر كرمه وجوده . ولم يُفْرِج المحزونين بقدر حزنهم ، ولكن بقدر رحمته ورافته . فما ظنك بالرووف الرحيم الذي يتودد إلى من يؤذيه بأوليائه ، فكيف بمن يؤذى فيه؟ . وما ظنك بالتواب الرحيم الذي يتوب على من يعاديه ، فكيف بمن يترضاه ويختار عداوة الخلق منه؟ .

يا هشام ، من أحب الدنيا ذهب خرف الآخرة من قلبه . وما أوتي عبدٌ علماً فازدادَ للدنيا حباً ، إلا ازدادَ من الله بعداً ، وازدادَ الله عليه غضباً .

يا هشام ، إن العاقل اللبيب من ترك ما لا طاقة له به . وأكثر الصواب في خلاف الهوى . ومن طال أمله ، ساء عمله .

يا هشام ، لو رأيتَ مسيرَ الأجل ، ألهاك عن الأمل .

يا هشام ، إياك والطمع ، عليك باليأس مما في أيدي الناس . وأمتِ الطمع من المخلوقين ، فإن الطمع مفتاح للدُّل ، واختلاس للعقل ، واختلاق المروآت ، وتدنيسُ العِرض ، والذهابُ بالعلم . وعليك بالاعتصام بربك والتوكل عليه ، وجاهد نفسك لردّها عن هواها ، فإنه واجبٌ عليك كجهاد عدوك .

قال هشام : فقلت له : فأي الأعداء أوجبهم مجاهدة؟ .

قال **عليه السلام** : أقربهم إليك ، وأعداهم لك ، وأضرهم بك ، وأعظمهم

لك عداوة، وأخفاهم لك شخصاً مع دُئُوبِ منكَ، ومَنْ يحرضُ أعداءَكَ عليك، وهو إبليس الموكَّل بوسواس القلوب. فلهُ فلتشتدُّ عداوتُكَ. ولا يكونُنَّ أصبرَ على مجاهدتك لِهَلَكَتِكَ منكَ على صبرِكَ لمجاهدته. فإنه أضعف منكَ رُكناً في قوَّته، وأقلُّ منكَ ضرراً في كثرة شرِّه إذا أنت اعتصمت بالله فقد هُديت إلى صراطٍ مستقيم.

يا هشام، مَنْ أكرمه الله بثلاثٍ فقد لُطفَ له: عقلٌ يكفيه مؤونة هِواه، وعلمٌ يكفيه مؤونة جهله، وغنىٌ يكفيه مخافة الفقر.

يا هشام، احذرْ هذه الدنيا واحذرْ أهلها، فإنَّ النَّاسَ فيها على أربعة أصناف: رجلٌ متردُّ مُعَانِقٍ لِهِواه، ومتعلِّمٌ مُقرئٌ كَلِّمًا ازدادَ علماً ازدادَ كِبَراً، يستعلي بقراءته ويعلمه على مَنْ هو دونه. وعابدٌ جاهلٌ يستصغر مَنْ هو دونه في عبادته، يُحبُّ أن يُعظَّم ويُوَقَّر. وذو بصيرة، عالم، عارفٍ بطريق الحق، يحبُّ القيامَ به، فهو عاجزٌ أو مغلوبٌ، فلا يقدر على القيام بما يعرف، فهو محزونٌ مغمومٌ بذلك؛ فهو أمثلُ أهلِ زمانه وأوجههم عقلاً.

يا هشام، اعرفِ العقلَ وجنَّده، والجهلَ وجنَّده، تكن من المهتدين.

قال هشام: فقلت: جعلتُ فداك، لا نعرف إلا ما عرفتنا.

فقال عليه السلام: يا هشام، إنَّ الله خلقَ العقلَ. وهو أولُ خلقِ خلقه الله من الرُّوحانيِّين عن يمين العرش، من نُوره، فقال له: أدبر، فأدبر؛ ثم قال له: أقبل فأقبل. فقال الله جلُّ وعزُّ: خلقتُك خلقاً [عظيماً] وكرمتُك على جميعِ خلقي. ثم خلقَ الجهلَ من البحرِ الأجاجِ الظُّلْمانيِّ، فقال له: أدبر، فأدبر؛ ثم قال له: أقبل، فلم يقبل. فقال: استكبرتِ ا. فلعننه. ثم جعلَ للعقلِ خمسةً وسبعين جنَّداً. فلما رأى الجهلُ ما كرمَ الله به العقلَ وما أعطاه، أضمَرَ له العداة. فقال الجهلُ: يا ربِّ هذا خلقٌ مثلي، خلقتَه وكرمتَه وقويته، وأنا ضيِّدُه ولا قوَّةَ لي به. أعطني من الجنِّدِ مثلما أعطيته، فقال تبارك

وتعالى: نعم، فإن عصيتني بعد ذلك أخرجتك وجُنْدَكَ من جَوَارِي ومن رحمتي. فقال: قد رضيت. فأعطاه الله خمسة وسبعين جُنْدًا. فكان ممًا أعطى العقل من الخمسة والسبعين جُنْدًا الخَيْرُ، وهو وزيرُ العقل. وجعلَ ضدَّه الشرُّ، وهو وزيرُ الجهل.

[وهذه جنود العقل، وما يقابلها من جنود الجهل:]

الإيمان - الكفر، التصديق - التكذيب، الإخلاص - النفاق، الرجاء - القنوط، العدل - الجور، الرضى - السخط، الشكر - الكفران، اليأس - الطمع، التوكل - الحرص، الرأفة - الغلظة، العلم - الجهل، العفة - التهتك، الزهد - الرغبة، الرفق - الخرق، الرهبة - الجرأة، التواضع - الكبر، التؤدة - العجلة، الجلم - السفه، الصمت - الهذر، الاستسلام - الاستكبار، التسليم - التجبر، العفو - الحقد، الرحمة - القسوة، اليقين - الشك، الصبر - الجزع، الصبر - الانتقام، الغنى - الفقر، التفكر - السهو، الحفظ - النسيان، التواصل - القطيعة، القناعة - الشره، المواساة - المنع، المودة - العداوة، الوفاء - الغدر، الطاعة - المعصية، الخضوع - التطاول، السلامة - البلاء، الفهم - الغباوة، المعرفة - الإنكار، المداراة - المكاشفة، سلامة الغيب - المماكرة، الكتمان - الإفشاء، البر - العقوق، الحقيقة - التسويف، المعروف - المنكر، التقية - الإذاعة، الإنصاف - الظلم، التقى - الحسد، النظافة - القذر، الحياء - القحة، القصد - الإسراف، الراحة - التعب، السهولة - الصعوبة، العافية - البلوى، القوام - المكاثرة، الحكمة - الهوى، الوقار - الخفة، السعادة - الشقاء، التوبة - الإصرار، المحافظة - التهاون، الدعاء - الاستتكاف، النشاط - الكسل، الفرح - الحزن، الألفة - الفرقة، السخاء - البخل، الخشوع - العجب، صون الحديث - النميمة، الاستغفار - الاغترار، الكياسة - الحمق.

يا هشام، لا تُجمع هذه الخصال إلا لنبيٍّ أو وصيٍّ، أو مؤمنٍ امتحنَ الله قلبه للإيمان. وأما سائرُ الناس من المؤمنين فإنَّ أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعضُ هذه الجنود من أجناد العقل، حتى يستكمل العقل ويتخلص من جنود الجهل؛ فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء عليهم الصلاة والسلام. وفقنا الله وإياكم لطاعته^(١).



وعند مثل هذه الوصية الكريمة الجامعة المانعة يقف كلُّ فكرٍ عن الزيادة والتعليق، ويقف كلُّ قلمٍ عن التحليل والتأويل، إذ يقصر كلُّ ذهنٍ عن بلوغ معانيها السامية، ويسير كلُّ مفكرٍ لاهثاً وراء بيان محتواها ثم لا يدرك أن يقول كلمةً حولها.

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً.



مركز تحقيقات كميوتير علوم إسلامي

(١) هي بكاملها في تحف العقول من ص ٢٨٣ إلى ص ٢٩٧ وانظر إلى قسم كبيرٍ منها في الكافي م ١ من ص ١٣ إلى ص ٢٠.

مصادر الكتاب

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - بصائر الدرجات : محمد بن الحسن الصفار - طبع إيران .
- ٣ - تحف العقول عن آل الرسول : الحسن بن علي الحراني - طبع بيروت سنة ١٩٦٩ م .
- ٤ - تواريخ أهل البيت : محمد الشيخ ظاهر السماوي - طبع النجف سنة ١٣٨٥ هـ . و ١٩٦٥ م .
- ٥ - جامع الرواة : محمد بن علي الأربلي - طبع بيروت سنة ١٤٠٣ هـ و ١٩٨٣ م .
- ٦ - حلية الأبرار : السيد هاشم البحراني : طبع إيران - قم سنة ١٣٥٦ هـ .
- ٧ - الاحتجاج : الطبرسي : طبع بيروت - سنة ١٤٠١ هـ . و ١٩٨١ م .
- ٨ - المحجة البيضاء : محمد بن المرتضى الكاشاني - طبع إيران سنة ١٣٤٠ هـ .
- ٩ - الاختصاص : الشيخ المفيد - طبع إيران سنة ١٣٧٩ هـ .
- ١٠ - ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى : أحمد بن عبد الله الطبري - طبع مصر سنة ١٣٥٦ م .

- ١١ - تذكرة الخواص: سبط بن الجوزية - طبع النجف الأشرف سنة ١٣٦٩هـ.
- ١٢ - الإرشاد: الشيخ المفيد - طبع طهران سنة ١٣٥٨هـ.
- ١٣ - إعلام الوري بأعلام الهدى: الطبرسي - طبع إيران سنة ١٣٣٨هـ.
- ١٤ - معاني الأخبار: الصدوق - طبع إيران سنة ١٣٧٩هـ.
- ١٥ - عيون أخبار الرضا: الصدوق - طبع النجف سنة ١٣٩٠هـ. و ١٩٧٠م.
- ١٦ - كشف الغمة في معرفة الأئمة: الحسن الإربلي - طبع إيران سنة ١٣٨٢هـ.
- ١٧ - الكافي: الكليني - طبع إيران سنة ١٣٨٨هـ.
- ١٨ - مروج الذهب: المسعودي - طبع بيروت.
- ١٩ - مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب - طبع بيروت سنة ١٩٨٥م.
- ٢٠ - الأنوار البهية: الشيخ عباس القمي - طبع بيروت سنة ١٤٠٤هـ. و ١٩٨٤م.
- ٢١ - التوحيد: الصدوق - طبع النجف الأشرف سنة ١٣٨٦هـ. و ١٩٦٩م.
- ٢٢ - وفاة الإمام موسى الكاظم.
- ٢٣ - ينابيع المودة: القندوزي - طبع إسلامبول سنة ١٣٠١هـ.

فهرس الكتاب

| | |
|-----|------------------------------|
| ٥ | تحية الإمام |
| ٧ | الإهداء |
| ٩ | بين يدي البحث |
| ١٧ | من هو الكاظم (ع)؟ |
| ٣٢ | بزوغ الفجر وأفول النور |
| ٦٦ | العائلة النجبية |
| ٧٥ | النص عليه بالإمامة |
| ٨٩ | عبادته وكرمه |
| ١١٠ | علمه الموهوب وعظمته |
| ١٣٧ | مع السلاطين والظالمين |
| ١٤٨ | مع أبي جعفر المنصور |
| ١٥٦ | مع محمد المهدي |
| ١٦٩ | مع موسى الهادي |
| ١٧٣ | مع هارون الرشيد |
| ٢٣١ | علمه بما يكون |
| ٢٦٣ | علمه بما في النفوس |
| ٢٧٤ | آياته ومعجزاته |

| | |
|-----|--------------------------------|
| ٣٠٠ | سيرته (ع) مع شيعته |
| ٣١٩ | علمه في التفسير والتأويل |
| ٣٣٥ | قوله في فلسفة التوحيد |
| ٣٤٨ | من فلسفته وعلمه (ع) |
| ٣٨٥ | مصادر الكتاب |



مركز تحقيقات کامپیوتر علوم اسلامی

الكتب المطبوعة للمؤلف

- ١ - الحسن بن علي عليه السلام دراسة وتحليل
 - ٢ - يوم الخلاص في ظل القائم المنتظر (عج) وعلامات الظهور
 - ٣ - الإمام المعجزة دراسة وتحليل سيرة الإمام الجواد عليه السلام
 - ٤ - الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتحليل
 - ٥ - الإمام الهادي عليه السلام سيرة وتحليل
 - ٦ - الإمام العسكري عليه السلام سيرة وتحليل
 - ٧ - مفتاح الخلاص في علل تشريع الصلاة
 - ٨ - صك الخلاص في الولاية
 - ٩ - الجديد في قواعد التجويد
 - ١٠ - الفوز العظيم نصوص من القرآن الكريم وتحليلها
- في الترجمة عن الفرنسية:
- ١١ - الاتجاهات الحديثة في الإسلام (دجيب)
 - ١٢ - كن رئيساً
 - ١٣ - المانيا الغربية

١٤ - الحب والطبيعة

١٥ - مروضه الرجال

١٦ - التربية: كتاب علمي لدور المعلمين بالاشتراك مع الأستاذ علي
عبد الله

١٧ - سلسلة كتيبات تربوية للمعلمين بالاشتراك مع الدكتور محمد كاظم
مكي

في الشعر:

١٨ - من قلبي

١٩ - إشراق

٢٠ - سبيل يا عطشان

٢١ - ديوان (معد للطبع)

٢٢ - وسلاسل مدرسية في القراءة والقواعد والعلوم والرياضيات بالاشتراك
مع الدكتور محمد كاظم والأستاذ علي عبد الله